هيكل
أو
الملف السري للذاكرة العربية

رياض الصيداوي

الناشر
مكتبة مدبولى

الكتاب : هيكل .. أو .. الملف السري للذاكرة العربية

الكاتب : رياض الصيداوي

الناشـر : مكتبة مدبولي 6 ميدان طلعت حرب

القاهرة - ت 5756421 ف 5752854

عنوان موقعنا على الإنترنت : www.madbuli.com

الطبعـة : الأولى 1993 خاصة بتونس والمغرب العربي - فيفري

الثانية 2000 مكتبة مدبولي 6 ميدان طلعت حرب - القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 10441 - 1999

الترقيم الدولي : ISBN : 977 - 208 - 270 - 5

لوحة الغلاف : هشام مصطفى

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة مدبولي

MADBOULI BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

6 Talat Harb SQ. Tel: 5 756421

الإهــداء

إلى .. أحمـد الصيداوي

(الأب والصديق)

شكـــــــــر

نشكر كل من ساعدنا على انجاز هذا العمل المتواضع، وخاصة: (حسب الحروف الأبجدية)

* من جمهورية مصر العربية

1 - **امام، عبد الله**، الصحفي بمجلة «روز اليوسف»، ةالكاتب القدير، لما قدمه لنا من مساعدات كثيرة، ساهمت في انجاز هذا البحث.

2 - **داوود، ضياء الدين**، وزير الشؤون الاجتماعية ووزير الدولة لمجلس الأمة، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات، وهو اليوم، أمين الحزب العربي الديمقراطي الناصري... لمساعدته لنا بادلاء شهادته، حول موضوع البحث.

3 - **هيكل، محمد حسنين**، الصحفي الكبير والكاتب المشهور، الذي استقبلنا في مكتبه وتحمس لموضوع البحث.

4 - **حمروش، احمد**، الصحفي بمجلة «روز اليوسف» والكاتب القدير، واحد الضباط الاحرار الذين فجروا ثورة 23 جويلية 1952.

5 - **حسنين، مجدي**، أمين صندوق الضباط الاحرار ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب جمال عبد الناصر، لتفضله واعطائه لنا معلومات حول البداية الأولى لعلاقة هيكل بالرئيس جمال عبد الناصر.

6 - **نقابة الصحفيين المصريين**، وخاصة سكرتيرة النقابة، الاستاذة أمينة

شفيق، لاستضافتها لنا، فكنا نشعر أننا بين أصدقاء حميمين...

7 - **عساف، منير،** مدير مكتب محمد حسنين هيكل، لما وجدنا عنده من حسن استقبال وحماس لموضوع البحث، وكل ما طلبناه الا ووفره لنا.

8 - **فائق، محمد،** وزير الخارجية ووزير الاعلام في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وبداية عهد الرئيس أنور السادات، وهو اليوم أمين عام الجمعية العربية لحقوق الانسان، لمساعدته لنا في الاجابة عن كل أسئلتنا.

9 - **فوزي، الفريق أول محمد،** لوضوحه معنا، وتفضله بشرح أسباب عدم حديثه عن هيكل.

10 - **الصباحي، حمدين،** الصحفي، مدير مكتب اعلام الوطن العربي - ضاعد - وكل الصحفيين العاملين في هذا المكتب، وخاصة جمال الجمل... لشتى المساعدات التي قدموها لنا...

11 - **شرف، سامي،** مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات، لكرمه الفذ معنا، حيث استقبلنا في بيته مرات عديدة، وتحدث معنا طويلا حول موضوع البحث، باذلا مجهودا جبارا في تذكر الأحداث وترتيبها، وقد تطوع للحديث معنا، رغم امتناعه الدائم عن الكلام للصحافة منذ أكثر من عشر سنوات، ومبادرته وشجاعته في تقديم معلومات جديدة، طريفة، وخطيرة، ومحاولاته المتكررة في التزام الموضوعية...

* من تونس

1 - **بلخوجة، ممدوح،** مدير دار نُقوش عربية

2 - **بن رمضان، يوسف،** الأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، الذي تفضل

وأشرف على هذه الرسالة، وتحمس لها وأعطاها من وقته... وللنصائح القيمة التي قدمها لنا...

3 - **الحيزاوي، عبد الكريم**، الأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار.

4 - **الطالبي، خليفة**، أستاذ اللغة العربية.

5 - **الميساوي، محسن**، أستاذ اللغة العربية.

6 - **رحيم، عبد القادر**، الأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، الذي تحمس لهذه الرسالة، وقدم نصائح هامة للباحث.

7 - **الظاهري، المنصف**، أستاذ العلوم الاسلامية.

تقديم

هيكل... أي هيكل هذا؟... محمد حسنين هيكل ذلك اللّغز القائم من سماء الناصرية منذ زمن بعيد... منذ قيام الناصرية كتجربة سياسية وكفكر، هيكل صحفي... لا بل ظاهرة معقدة. فمن الصعب ان تحدد له موقعا مضبوطا في مجالات السياسة والصحافة وكتابة التاريخ، وغيرها.

ولعل ذلك التنوع في ريشته وفي شخصيته من العوامل التي تزيد مغامرة رياض الصيداوي معه طرافة وغرابة.

كيف يدخل شاب طموح متحف محمد حسنين هيكل احد فراعنة القلم العربي ويرفع الستار عن ثنايا فكره ويكشف للقارىء عن بعض أسرار هذه الظاهرة العملاقة.

والسؤال في بداية البحث الذي يقدمه الصحفي الشاب رياض الصيداوي وكذلك في نهايته، السؤال الذي يتردد في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب هو من هو محمد حسنين هيكل؟. أهو الوفاء لجمال عبد الناصر وللمبادىء العالية التي قامت عليها تجربته كالعروبة، وعدم الانحياز، وحركة التحرر في الوطن العربي وفي العالم وقضية فلسطين ثم داخل المجتمع المصري الصّاخب: محاولة رؤيا اجتماعية قوامها مزيد من العدل لصالح الانسان ومزيد من الاعتبار

لقيمة الانسان. أين هيكل من جمال عبد النّاصر؟ كيف واكب تجربته وكيف تفاعل مع الصفحات الموالية من تاريخ مصر وتاريخ الأمة العربية. بعض من كتبوا عن هيكل نعتوه بالتلوّن كالحرباء وبعضهم رأى في مسيرته محاولة للتأقلم مع المتغيرات المحلية والعربية والدولية.

هل هو الغباء بعينه ام هو عصارة فطنته وذكاء؟ هذا الصحفي الكبير اختار ان يولي الحدث كل اهتمامه... الحدث ولا شيء غير الحدث ولكن من قال ان الحدث مستقل عن الايديولوجيا، الفن الذي ارتقى اليه محمد حسنين هيكل والذي سعى الصيداوي الى ضبطه عنده يمكن في قدرته على التأثير في الفكر السياسي العربي المعاصر والمساهمة بقسط وافر في تجديد أطره ومفاهيمه دون اعلان حرب على القديم. فن هيكل في ربط القلم بالعلاقات العامة اللامحدودة التي تربطه بكبار القوم في مصر وفي الوطن العربي وفي العالم بأسره، وفنّه في ربط الحدث بالمناهج العامة للسياسة وللتاريخ.

انه ناصري الى أبعد حدود فكره وهو واقعي الى أبعد حدود عمله السياسي او قل الى أبعد حدود علاقاته السياسية، ناصرية هيكل في حداثته فهو تغيير شامل لمهمة القلم الصحفي مثلما كان عبد الناصر تحوّل شامل في الرؤى وممارسة مسالك السياسة الوعرة.

هيكل جدل متواصل بين الحدث والأحداث، بين ما يثير القلم وما يثير الفكر.

في هذا الجدل توغّل بحث رياض الصيداوي متخذا مناهج أكاديمية في شكلها لكنها غنيّة بالتجديد والجرأة والمغامرة وانتهى الى صورة جديدة لهيكل مختلفة عن تلك التي صوّرها أبناء جيله ممّن اطنبوا في تشويهه أو في ذكر مزاياه.

المنصف الشابي

المقدمة العامة

«وما أظن ان كاتبا صحفيا منذ عرفت الصحافة في مصر عندما صدرت «التنبيه» في عهد الحملة الفرنسية ثم «الوقائع» في عهد محمد علي، قد استقطب كل هذا الاهتمام مثل محمد حسنين هيكل... فهيكل شخصية أحاطت بها علامات الاستفهام ومازالت، وله أنصار وخصوم...».

أحمد حمروش

المقدمــــة العامــــة

1 - الموضوع

يتناول موضوع الرسالة «محمد حسنين هيكل صحفيا وسياسيا» الفترة الخصبة من حياة هيكل الصحفية والسياسية، الممتدة من سنة 1952 الى سنة 1981، وهي الفترة التي كان فيها صحفيا لامعا وسياسيا نجما، ولم يركز الموضوع على هيكل في الفترتين: الاولى، ما قبل سنة 1952، عندما كان صحفيا مشهورا، ولم نوله كبير اهتمام لان هذه السنوات لم تعرف هيكل السياسي، اما الفترة الثانية فهي فترة ما بعد اغتيال الرئيس أنور السادات في 6 أكتوبر 1981، حيث خرج هيكل من السجن، وانتهى نشاطه السياسي، واكتفى بكتابة المقالات وتأليف كتب شهدت رواجا وانتشارا كبيرين.

فهذه الرسالة تبحث أساسا في تلك الفترة التي كان فيها هيكل صحفيا وسياسيا في نفس الوقت، قريبا كل القرب من الرئيس جمال عبد الناصر، ثم الرئيس أنور السادات قبل ان يختلفا...

هذه المدة الزمنية، حوالي الثلاثين سنة (1952 - 1981) لعبت فيها مصر دورا قياديا في الوطن العربي، وجهت الاحداث الكبار، وشاركت ودعمت ثورات، وواجهت «الكيان الصهيوني» في أربعة حروب، واصطدمت مع الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها من الدول الغربية، وتحالفت مع المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي، وكانت من المؤسسين الاوائل لحركة عدم الانحياز، كذلك شهدت مصر تحولا اجتماعيا عميقا، حينما اختارت طريق التحول الاشتراكي، وتأميم كل القطاعات الاقتصادية المنتجة في البلاد بما

فيها قطاع الصحافة والاعلام الذي كان له وضع خاص، سماه هيكل «بتنظيم الصحافة»... هذه الاحداث جميعها وقعت في عهد جمال عبد الناصر (1954 - 1970)، وبعد رحيله في 28 سبتمبر 1970، وصعود أنور السادات الى هرم السلطة، وبعد حرب أكتوبر 1973، عرفت مصر منعرجا جديدا، حينما استبدلت نهجها القديم، بنهج جديد، تصالحت من خلاله مع «الكيان الصهيوني»، وتحالفت مع الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية الرأسمالية، وقامت بتحرير الاقتصاد، «الانفتاح»، وبالتفريط في القطاع العام، وانقلبت الشعارات السياسية التي رفعت في الستينات الى شعارات جديدة، ترجمت الى حملة ضد مشروع عبد الناصر، وضد كل ما يمت اليه بصلة.

في ظل هذين العهدين، كان لمحمد حسنين هيكل أدوار صحفية وسياسية كثيرة، وصل عن طريقها الى قمة السلطة، وأوصلته أيضا الى السجن في اعتقالات سبتمبر 1981.

والحديث عن محمد حسنين هيكل، في الوسط الصحفي والسياسي المصري والعربي، يثير دائما ردود أفعال متناقضة، حادة، عنيفة، فاما يكون رد الفعل منفعلا ضد هيكل حد التعصب، مثلما كان رد أحد الضباط الاحرار الذين شاركوا في ثورة 23 جويلية 1952، عندما رد على سؤالنا بعنف: «أوقف التسجيل، ان هيكل هو الذي خرب مصر وعبد الناصر والناصرية معا (!!)».[1]

---

(1) مقابلة خاصة مع احد الضباط الاحرار، رفض نشر اسمه، وهاجم هيكل بشدة، القاهرة، اوت 1991.

أو يكون مع هيكل أيضا حد التعصب، فمحمد فائق، وزير الاعلام في عهد عبد الناصر والسادات يقول: «انطلاقا من موقعي كوزير للاعلام يمكن ان اقول انه لم يخدم احد الصحافة والصحافيين في مصر، كما خدم وفعل محمد حسنين هيكل... ان تميزه، يعود الى اجتهاده وكفاءته العالية جدا، وكسبه لثقة جمال عبد الناصر، فأصبح قريبا من موقع القرار».(2)

ويطرح الكاتب والصحفي المصري احمد حمروش هذه الاشكالية في قوله: «وما أظن ان كاتبا صحفيا منذ عرفت الصحافة في مصر عندما صدرت «التنبيه» في عهد الحملة الفرنسية ثم «الوقائع» في عهد محمد علي، قد استقطب كل هذا الاهتمام مثل محمد حسنين هيكل... فهيكل شخصية أحاطت بها علامات الاستفهام ومازالت، وله أنصار وخصوم...».(3)

وقال عنه «أنتوني ناتنج» وزير الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية في وزارة «ايدن» «عندما كان قرب القمة كان الكل يهتمون بما يعرفه... وعندما ابتعد عن القمة تحول اهتمام الكل الى ما يفكر فيه» وذلك ضمن برنامج عن محمد حسنين هيكل، اخرجته هيئة الاذاعة البريطانية ووضعته على موجاتها يوم 14 ديسمبر 1978 في سلسلة صور «شخصية» بعد ان سئل عن تقييمه له في فترة اقترابه من القمة في مصر وفترة ابتعاده عنها.(4)

---

(2) محمد فائق، وزير الخارجية ثم الاعلام، مقابلة خاصة اجراها معه الباحث، القاهرة اوت 1991.

(3) احمد حمروش «زيارة جديدة لهيكل»، مجلة «روز اليوسف» المصرية عدد 24 - 11 - 1986.

(4) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، رسائل الى صديق هناك، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 16.

ورغم ابتعاده عن هرم السلطة منذ أكثر من خمسة عشر سنة، فان الاهتمام بما يكتبه، مازال قويا، ومتابعة آرائه وتحاليله ومواقفه مازالت تشكل مادة مرغوبة كثيرا لوسائل الاعلام.

فهيكل، اصبح موثقا و«مؤرخا» لعهد بأكمله، وهو الصحافي الكاتب، السياسي المتمرس، النجم المبدع، وهو دائما يشكل موضوعا يثير حماسا كبيرا للنقاش، حتى ان السؤال يصبح ملحا عن هيكل، أين الحقيقة فيه وأين الاسطورة؟...

وتصبح الاجابة عن هذا السؤال، مشروعة ومطلوبة في نفس الوقت.

فهذه الرسالة تهدف اذن الى:

- توضيح جوانب من تاريخ الصحافة المصرية (ومن ثمة العربية) المعاصرة، وازالة تلك المساحات الضبابية التي تراكمت بفضل النزعات الشخصية الذاتية.

- توضيح جوانب من تاريخ السياسة المصرية (ومن ثمة العربية) المعاصرة في علاقتها بالصحافة، وازالة تلك المساحات الضبابية التي تراكمت بفضل النزعات الشخصية الذاتية.

- التوثيق لتجربة صحفية نموذجية، تكاد تكون فريدة من نوعها في الوطن العربي، فهذا الوطن يفتقد الى مرجعية صحفية من خلال تجربة حية، حيث يلاحظ غياب سلوكية صحفية عريقة، فصحيح ان الصحافة كحقل من حقول العلوم الاجتماعية هي نسبيا حديثة العهد في العالم، ولكنها في الوطن العربي مازالت تعاني من معيقات ذاتية (ارادة انسان) وموضوعية (امكانيات مادية) كثيرة، تجعلها شديدة التخلف عن غيرها من الصحافة الغربية.

- انتاج بحث أكاديمي، يؤصل او ينفي هذا النموذج المتميز.

2 - الموضوع في علاقته مع بحوث سابقة

ان الكتابات عن محمد حسنين هيكل كثيرة ومتنوعة، لكن يلاحظ انها تتميز بخاصيتين بارزتين:

الخاصية الاولى: ان أغلب هذه الكتابات كان من نوع المقال، او الحوار الصحفي، ونشرت في صحف ومجلات عربية، وخاصة المصرية منها.

الخاصية الثانية: ان أغلب هذه الكتابات كان من ذلك النوع الذي يبرز في الحملات الصحفية الدعائية والحملات المضادة لها، فالذين كتبوا عن هيكل، كانوا اما منتقدين، مهاجمين حد الابتذال، أو مادحين حد التمجيد.

أما المقاربات الاكاديمية، العلمية، الهادئة، المتخلصة: من الاحكام الماقبلية، الملتزمة بمنهج علمي فهي نادرة، حتى أننا لم نرصد في الوطن العربي - وربما غاب عنا بعض ما يمكن رصده - الا رسالتي «ماجستير» قدمتا في كلية الاعلام بجامعة القاهرة، الاولى رسالة تحت عنوان «صفحة الرأي في الاهرام»، لليلى عبد المجيد، والثانية تحت عنوان «أهرام هيكل»، لتهاني حافظ.

وربما يعود السبب الى ان الباحث ومؤسسات البحث العربية، تعودت على ان لا تدرس الشخصيات - الظواهر، الا بعد وفاتها وانسحابها من ساحة التأثير الاجتماعي، عندئذ تخلد أسماءها في الشوارع، وتقام لها التماثيل ويحتفل بذكراها، وتبدأ البحوث والدراسات تتهاطل في غزارة.

في هذا البحث نحاول ان نلج منطقة، لم يقع الدخول اليها أكاديميا من قبل.

3 - الاشكالية والفرضيات

ان ظاهرة السياسي الذي عمل في الصحافة، ظاهرة متكررة عبر التاريخ، فهؤلاء الساسة يستخدمون الصحافة كوسيلة للدعاية لافكارهم ونشرها عبر اجهزة الاعلام الجماهيري، ويستفيدون من هذه المهنة لما توفره لهم من علاقات اجتماعية كثيرة، تقربهم من ساحة التفاعل الاجتماعي، ان لم تجعلهم في قلبها، هؤلاء كانوا محترفي سياسة، وظفوا الصحافة لنشاطهم السياسي، والامثلة عبر التاريخ كثيرة.

فكارل ماركس، أب الفكر الشيوعي، عمل في بداية حياته في «مجلة الراين» حتى منعتها السلطات البروسية سنة 1843[5].

وكذلك فلادمير اليتش أوليانوف لينين، الذي قاد اكبر الثورات التي هزت العالم في القرن العشرين، فقد تفطن الى أهمية الصحافة، فأسس سنة 1900 صحيفة «اسكرا» (askra) بألمانيا ثم أسس الصحيفة الشهيرة «البرافدا» (pravda) سنة 1912 بروسيا.[6]

وأيضا بينيتو موسيليني، (Benito Mussolini) الذي ترأس تحرير صحيفة «الى الامام» سنة 1908، ثم أسس صحيفة «شعب ايطاليا» التي

---

(5) برتراند رسل، ترجمة فؤاد زكريا، حكمة الغرب، الجزء الثاني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ديسمبر 1983، ص 228.

(6) عبد المجيد الذويب، وآخرون، تحرير الشعوب المستعمرة، الجزء الاول، كتاب التاريخ المدرسي، المركز القومي البيداغوجي، بدون تاريخ طبع، تونس، ص 40.

ساعدته على نشر أفكاره، ومن ثمة الوصول الى السلطة في 30 أكتوبر 1922[7].

وارتبط العمل السياسي للحبيب بورقيبة بالصحافة، حيث شكلت صحيفة «العمل» و«l'Action» نقطتا تحول في حياة القائد السياسي، وكان لهما فضل كبير في وصوله الى قمة القيادة في تونس.

ان هذه النماذج المتكررة عبر التاريخ تطرح مسألة معقدة وهامة، وهي علاقة الصحافة بالسياسة عندما يمارسهما نفس الفرد، اي ماذا يحدث حينما يكون السياسي صحفيا؟

لكن في الحالة التي ندرسها، نلاحظ ان محمد حسنين هيكل كان صحفيا محترفا مقدرا، محبا، لمهنته، وفيا لها، قبل ان ينشط في الحقل السياسي، وأكثر من ان يهتم بمستقبله في السياسة، بل يكاد يكون عكس النماذج التي ذكرناها، فهو كثيرا ما وظف السياسة لصالح الصحافة، لانه يعتبر نفسه صحفيا قبل اي شيء آخر. ورغم ذلك فهو، عاش مثلهم تجربة السياسة والصحافة معا بتشعباتها وتعقيداتها المختلفة.

3 - 1 - الاشكاليــــات

والاشكالية التي تطرحها هذه الرسالة، ليست من النوع البيوغرافي البحت، ذلك انها تبحث في حياة هيكل من جانبيها الصحفي والسياسي وتهتم أساسا بالفترة الممتدة من سنة 1952 الى سنة 1981.

---

(7) المرجع السابق - ص ص 287 - 288

ان المشكل المطروح يتمثل في السؤال التالي: كيف عاش محمد حسنين هيكل حياته صحفيا وسياسيا طيلة الثلاثين سنة تقريبا؟

وعن هذا السؤال المركزي تتفرع تساؤلات ثانوية اخرى.

اوْلاً: فيما يتعلق بهيكل الصحافي.

- كيف كانت تجربته الصحفية قبل دخوله صحيفة الاهرام سنة 1957؟
- ما هي أهم ملامح تجربته في صحيفة الاهرام؟
- كيف كان يتصور «تنظيم الصحافة» في عهد الرئيس جمال عبد الناصر؟
- ما هو دور المعلومات الحقيقي في صعود نجم هيكل؟
- هل كان محمد حسنين هيكل مؤرخا للعهد الناصري؟

ثانيا: فيما يتعلق بهيكل السياسي:

- ما هي طبيعة علاقته بالعهد الناصري؟
- ما هي المراحل التي مرت بها علاقته مع العهد الساداتي؟
- أين يتجه الفكر السياسي عند هيكل؟

3 - 2 - الفرضيـــات

للاجابة على هذه الاسئلة تتقدم مجموعة من الفرضيات، تحاول ان تجيب مؤقتا عنها، وهذه الفرضيات هي:

اولا صحفيا:

- ساهمت صحف «الاجبشيان جازيت» و«آخر ساعة» و«أخبار اليوم» في تحقيق نجاح كبير للصحفي الشاب، جعلته يقترب من موقع القرار

السياسي.

- تعتبر «الاهرام» قمة النجاح المهني الذي وصل اليه هيكل، فأضاف اليه كثيرا، كما أخذ منه أيضا الكثير.

- يرفض هيكل ان تكون الصحف مملوكة للدولة او للحزب السياسي الحاكم، ويفضل على ذلك، «الملكية التعاونية للصحف».

- تعتبر المعلومات السلاح الاساسي الذي اوصل هيكل الى قمة العمل السياسي وجعلته مقربا لصانع القرار، فأعطى معلومات للقيادة، وسرعان ما فتحت له بعد مدة أسرار الدولة على مصراعيها.

- يعتبر هيكل مؤرخا للعهد الناصري.

ثانيا سياسيا:

- ان علاقته بالعهد الناصري كانت اساسا علاقة شخصية بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر.

- دخل في صراع كبير مع بعض اجهزة الدولة، والتنظيم السياسي الحاكم في البلاد

- تحالف مع الرئيس السادات ضد رجال العهد الناصري، حفاظا على مستقبله وأمنه الخاص.

- اختلف مع السادات حد القطيعة، لان الرئيس الجديد لا يريد مشاركته في الراي والقرار.

- يتجه الفكر السياسي، عند محمد حسنين هيكل، نحو الوسط والاعتدال رافضا لليسار المغامر، ولليمين المحافظ معا.

4 - المنهجية

4 - 1 - المنهجية والمناهج

ان المنهجية التي ستستخدم في هذه الرسالة هي المنهجية البيوغرافية، وتعني حسب Larousse Encyclopédique Tome 2 تاريخ شخصية معينة يقع تتبع أهم آثار حياتها، والبحوث المعاصرة اليوم تستخدم مناهج عدة للاحاطة بالشخصية المدروسة، ويجب ان نلاحظ هنا، ان هذه الرسالة ليست عملا تأريخيا لشخص او لفترة زمنية محددة، وان استفادت كثيرا من المنهج التأريخي، انها رسالة تحاول ان تكشف بعض الحقائق وتزيل بعض المساحات الضبابية، فتسلط الضوء على بعض القضايا المحددة المتعلقة بالحياة الصحفية والسياسية لمحمد حسنين هيكل.

ونظرا لتشعب الموضوع، وتنوعه، وتعقيداته فاننا اهتدينا الى ضرورة اسخدام اكثر من منهج، فوظفنا مناهج المقاربة الوثائقية حينا، وتحليل المضمون حينا آخر، وجمع الشهادات الشفهية حينا ثالثا، والمنهج التأريخي حينا رابعا، كل ذلك في اطار المنهجية البيوغرافية التي توخيناها.

4 - 2 - مرحلة التساؤلات التمهيدية

انطلقت فكرة البحث في حياة محمد حسنين هيكل الصحفية السياسية من ملاحظات اولية رصدناها في الصحافة والمكتبة العربيتين، اذ تميزت الاولى بتركيز شديد على ما يكتبه هيكل، فكانت اهم الصحف العربية واكثرها توزيعا تنشر له كتبه في حلقات متسلسلة، وتنشر تعليقات كثيرة لاشهر الكتاب والصحافيين العرب حول ما كتبه هيكل، كما تجاوزت ظاهرة هيكل

المجال العربي الى مجال ارحب، فنشرت له اكبر الصحف في العالم مقالات وحوارات معه وتلاخيص لكتبه.

كما تميزت المكتبة العربية، بترحيبها بكل ما يكتبه هذا الصحفي، فوجدت كتبه انتشارا قويا.

وتطورت فكرة البحث في مرحلة لاحقة نتيجة مطالعات مكثفة لكل ما كتبه الرجل وما كتب عنه من مقالات متناثرة في صحف ومجلات عديدة، وتراكمت المعلومات شيئا فشيئا، وفي كل مرة تزال بعض النقاط الغامضة.

وتقدمت تساؤلات جديدة اكثر وضوحا، واكثر دقة، لتأخذ مكان تساؤلات سابقة عامة ليست لها حدود.

وساهمت عوامل جديدة في تدقيق اتجاه البحث، كان الفضل فيها يعود الى مناقشات طويلة جماعية جرت مع الباحث في فندق «شبرد» بالقاهرة حول الرجل، شارك فيها كتاب وصحافيون من جريدة الاهرام ومجلة روز اليوسف ووزراء العهد الناصري... كانت مناقشات غير منظمة بدون قصد سابق، وانما طرح موضوع هيكل كان يثير الجميع ويدفعهم الى الحديث بحماس.

4 - 3 - مرحلة التصميم والاعداد

بعد مرحلة التساؤلات التمهيدية، جاءت مرحلة التصميم والاعداد، فتم رسم الملامح الكبرى للخطة النظرية، فحدد الموضوع نهائيا. وحددت المساحة الزمنية له، حيث تناول الفترة التي عمل فيها هيكل في الصحافة والسياسة معا (1952 - 1981) وحددت الاشكالية والفرضيات بعد ان استبعدت المقاربة

البيوغرافية البحتة، واكتفينا بمقاربة شبه بيوغرافية تجمع بين الشخصية وتحليل أهم قضايا العصر التي عملت واثرت فيه.

4 - 4 - مرحلة جمع المعلومات

هذه المرحلة اعتمدت على مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة ومتباينة، منها كتابات هيكل، كتبا ومقالات وكذلك الحوارات التي أدلى بها للصحافة، وأيضا ما كتبه الاخرون عن هيكل، بالاضافة الى ما جمعناه من أحاديث وتصريحات لشخصيات شاركت هيكل في الحياة السياسية والصحفية التي عاشها، والصعوبة الاساسية التي واجهت هذا البحث، تمثلت في الكم الهائل من المعلومات والاراء عن هيكل، وهي متضاربة، متناقضة، فالبعض من أنصار الرجل والبعض الاخر من أعدائه، فكان لابد من التثبت ومن مقارنة المعلومات، وقد واجه البحث مشكلة اخرى. تمثلت في ان بعض خصوم هيكل الكبار تصالحوا معه قبل التقائنا بهم. فتحولت شهاداتهم لتصبح لصالحه بعدما عرفوا به من مواقف مناهضة للرجل، وهو ما رصدناه في احاديثنا معه، فكثيرا ما يطلب منا ايقاف التسجيل ليوردوا معلومات خاصة، يرفضون نشرها او استخدامها متعللين بان المصلحة العليا «للناصريين» تجعلهم يتفادون ويرفضون الصدام مع هيكل، منوهين بما قدمه «للناصرية» بعد موت الرئيس جمال عبد الناصر.

وفي جانب اخر كثيرا ما عثرنا أثناء البحث على مواقف كثيرة لصحافيين وكتاب معادين لهيكل، يهاجمونه من زاوية علاقاته باجهزة

مخابرات اجنبية ويوردون في ذلك قصصا وروايات ووقائع وارقام وتعاملنا مع هذه المراجع بحذر شديد، وتجنبنا اي تركيز عليها، لان البحث في صحتها او عدم صحتها يتجاوز امكانيات الباحث، فهي مسائل معقدة تخص الاجهزة «المعقدة»، لكن لاحظنا ان هذه الحملة وقعت بعد اختلاف هيكل مع الرئيس أنور السادات وان القائمين بها من انصار الرئيس فلم نأخذها الا في اطار حملة «لتشويه» الرجل.

وركزنا في جمع الشهادات على سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة. وذلك لانه اقرب رجال الحكم الى عبد الناصر ويحتل موقعا شديد الحساسية حيث تمر اغلب المعلومات الواردة الى الرئيس عن طريق مكتبه، كذلك لان الرجل لم يتحدث ولم يكتب للصحافة العربية منذ ماي 1971 تاريخ اعتقاله.

وفي مرحلة لاحقة وقع تمحيص هذه المعلومات وغربلتها وتصنيفها حسب المواقع، ثم استغلالها في رواية الوقائع وتثبيت التقييمات والنتائج.

4 - 5 - مرحلة كتابة التقرير النهائي

هذه المرحلة كانت أسهل المراحل، فهي لم تقم الا باختيار الصياغات الملائمة لتربط بين المعلومات والفقرات والفصول، وتوضح الافكار والنتائج في لغة واضحة، حاولنا من خلالها - ونظراً لطبيعة الموضوع - ان نبتعد اكثر ما يمكن عن المستوى التجريدي في اللغة الى مستوى محسوس، يقدم الحركة والمشهد على اللغة المجردة.

5 - بنيــة البحــث

ان الاستراتيجية النظرية التي اعتمدت في هذه الرسالة، انطلقت من فكرة الفصل بين الحياة الصحفية والحياة السياسية عند محمد حسنين هيكل، وهو فصل اعتباطي، لا يمكن ان يحدث في الواقع وانما استدعته ضرورة منهجية ملحة، حتى لا نسقط في التقسيم الزمني البسيط (chronologie)، ونواكب مسيرة هيكل سنة بسنة، هنا قد يسقط البحث في سهولة مبتذلة ويصبح مجرد عرض أحداث ووقائع متتالية لا تربط بينها غير الايام والسنوات، في حين كان مطلوبا ان تقسم حياة هيكل الصحفية والسياسية الى مجموعة قضايا، واشكاليات لكل منها استقلالية محدودة عن الاخرى، وفي نفس الوقت مرتبطة بعضها ببعض.

كما تم اختيار ان تبدأ الرسالة، بالجانب الصحفي في حياة هيكل، ذلك ان التفوق واللمعان الذي شهده محمد حسنين هيكل، يعود الفضل فيه الى الصحافة، فهي التي أدخلته الى عالم السياسة، وهي التي ابتدأ بها حياته، وهي التي مازال يعيش فيها ومنها الى اليوم، وهي التي جعلته مشهورا في العالم كصحفي لامع، قبل ان يكون سياسيا مقربا من صانع القرار.

5 - 1 - محــاور البحــث

يشتمل هذا البحث على مقدمة عامة، تقدم هذا البحث وتبرره. ثم ينقسم الى قسمين، الاول خاص بهيكل صحفيا، ويرصد هذا الجزء تجربة

الصحفي الشاب في صحف «الاجبشيان جازيت» و«آخر ساعة» ثم «أخبار اليوم» ثم تأتي تجربته في صحيفة «الاهرام»» ويبحث هذا الفصل في كيفية دخوله الصحيفة وانجازاته فيها، ثم كيف خرج منها، كذلك يتعرض هذا القسم الى مسألة «تنظيم الصحافة» في عهد جمال عبد الناصر، ووجهة نظر الرئيس فوجهة نظر هيكل.

ويليه فصل متعلق بالمعلومات في حياة هيكل، حيث يعالج هذا الفصل، أهمية المعلومات، وتدفق المعلومات من هيكل الى عبد الناصر، ثم تدفقها من عبد الناصر الى هيكل، ثم كيف استخدم هيكل «سلاح المعلومات» للدفاع عن نفسه.

ويتناول هذا القسم ايضا فرضية ان يكون هيكل مؤرخا «للعهد الناصري».

5 - 2 - القسم الثاني : سياسيا

اما القسم الثاني، المتعلق بهيكل السياسي فسيتناول، مسألة ارتباط هيكل «بالعهد الناصري» وكيف بدأت العلاقة ونمت لتصبح ذات بعد شخصي متميز، ثم يتعرض الفصل الموالي الى طبيعة علاقته بالعهد الناصري، والادوار السياسية التي قام بها، وطبيعة علاقته بالاجهزة الحاكمة وموقعه من «التكتلات السياسية».

ثم سيتعرض هذا القسم الى التحالف الذي تم بين هيكل والسادات، وما هو حقيقة الدور الذي لعبه في «أحداث ماي 1971» ثم يتعرض الى الاختلاف مع السادات في مرحلة لاحقة مبينا اسبابه ومراحله، وكيف انتهى الى قطيعة.

وسيتناول الفصل الاخير، موضوع اتجاه الفكر السياسي عند هيكل، مبرزا رؤيته للصراع، وصورة الولايات المتحدة الامريكية في كتاباته كذلك صورة الاتحاد السوفياتي، ثم صورة هيكل نفسه في تصوراته الفكرية الايديولوجية.

5 - 3 - خاتمة عامة وملاحق

ثم سينتهي البحث بخاتمة عامة، تستخلص نتائج ستليها مجموعة ملاحق تحتوي على مقال عن عالم هيكل، ومجموعة حوارات عن هيكل أنجزت مع:

- سامي شرف: مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة.
- ضياء الدين داوود: وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات.
- محمد فائق: وزير الخارجية ثم الاعلام في عهد عبد الناصر ثم بداية عهد السادات.
- مجدي حسنين: أمين صندوق الضباط الاحرار ومدير مكتب محمد نجيب، فمدير مكتب جمال عبد الناصر.
- الفريق أول محمد فوزي: القائد العام للقوات المسلحة المصرية (1967 - 1970).
- أحد الضباط الاحرار الذي رفض ذكر اسمه وهاجم هيكل بشدة.

القسم الأول

هيكل صحفيا

ولد محمد حسنين هيكل في 23 سبتمبر 1923 بالقاهرة، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، ودرس في بلده حتى نال ديبلوما في التجارة، وما ان بلغ سن التاسع عشر، حتى دخل الصحافة، وبدأ حياته في «الأجيبشان جازيت».

الفصل الأول

تجربة ما قبل الاهرام:

1- «الاجبشيان جازيت» (1942 - 1944)

بدأ محمد حسنين هيكل حياته الصحفية في جريدة «الاجبشيان جازيت»، وامتدت فترة العمل فيها من سنة 1942 حتى سنة 1944[1]. وكانت وقتها اكبر الصحف الاجنبية التي تصدر في مصر عن شركة الاعلانات الشرقية التي تملكها اسرة «فيني»، وكان التحاقه للتدريب بها فرصة اتاحها له ولثلاثة غيره من الشباب الناشيء، واحد من خيرة محرريها وهو «سكوت واطسن»[2] الذي فتح خياله نحو الصحافة المغامرة ويصف هيكل تفاعله مع أستاذه الأول قائلا «كنا بين الجالسين أمامه في محاضرة عن «عناصر الخبر» واذا به يتطرق من موضوع محاضرته الى ذكرياته ايام كان مراسلا في الحرب الاهلية الاسبانية وكنا نستمع اليه في انبهار وشبه خشوع، فلقد طاف بنا فيما يشبه الملحمة بين تضاريس ومعالم تلك الحرب التي انقسمت اوروبا بسببها بين الفاشية والديمقراطية وحين ختم محاضرته كانت دعوته لمن يريد منا ان يتدرب عمليا ان يلقوه في اليوم التالي بمكتبه في «الاجبشيان جازيت».وفي اليوم التالي وقبل ان يصل هو الى مكتبه كنا نحن الاربعة قد سبقناه اليه ننتظر».[3]

---

(1) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1984، الطبعة الثانية ص25.

(2) المصدر السابق، ص 25.

(3) المصدر السابق، ص 25.

ويبدو ان هذه المحاضرة قد شكلت أول دفع قوي لهيكل حتى يرتمي في العمل الصحفي بكل طاقته، ويستفيد من خبرات صحفيين اجنبيين قديرين، الأول كان «سكوت واطسون» صاحب الكفاءة المهنية، والمثقف اليساري الذي صاغته تجربة الحرب الاهلية في اسبانيا بكل عناصرها الفكرية والانسانية العظيمة.(4)

اما الثاني فهو «هارولد ايرل» رئيس تحرير «الجازيت» وكان صحفيا كلاسيكيا قديرا يعمل في نفس الوقت مراسلا لجريدة «المانشستر جارديان» في مصر.(5)

ومضت السنة الاولى في حياة هيكل الصحفية عادية حيث عمل مساعد مخبر صحفي في قسم الحوادث(6) ، ولم يرصد في هذه الفترة اي تفوق متميز حتى جاءت الفرصة المناسبة التي مثلت منعرجا حاسما في حياة الصحفي الناشىء، ويصفها قائلا: «دعانا هارولد الى مكتبه يوما - نحن الشبان الاربعة - وقال لنا، تجري الآن حرب في مصر ومع ذلك لم يصفها أحد بعين مصرية ولم يكتبها بقلم مصري، ثم سأ لنا هل فينا من هو مستعد للمخاطرة في تجربة جديدة وعلى مسؤوليته وحده. وتحمست للتجربة، ولعلني في ذلك الوقت كنت متأ ثرا باعجابي بواطسون وتجربته في الحرب الاهلية الاسبانية . وهكذا بعد شهور وجدتني في «العلمين» شاهدا مصريا على الحرب العظمى واعترف ان تجربة العمل كمراسل

---

(4) المصدر السابق - ص 26.

(5) المصدر السابق - ص 26.

(6) المصدر السابق - ص 26.

حربي قد استهوتني».[7]

ورغم النجاح الذي حققه في «الاجبشيان جازيت» فان طموح هيكل يبدو انه كان اقوى من امكانيات الصحيفة الانجليزية، فتوزيعها لم يكن كبيرا، فهي لم تتجاوز بضعة عشرات ألوف[8]، وينتظر ان تعود الى بضعة ألوف، فيتقلص توزيعها بانتهاء الحرب.

ولعبت الصدفة دورها في حدوث المنعرج الثاني في حياة الصحفي الشاب، فعندما دخل مكتب رئيس التحرير «هارول ايرل» لشأن من شؤون عمله وجد عنده زائر قدمه له، الاستاذ محمد التابعي صاحب مجلة «آخر ساعة» ورئيس تحريرها، وبدا له ان الاستاذ التابعي قد تابع بعض نشاطه او ان «هارولد ايرل» قد حدثه عنه.

وكان الاستاذ التابعي رقيقا معه ومجاملا.[9]

ولم يقف تعارفهما على المجاملة، بل سرعان ما اتصل به يدعوه الى لقاء معه، وعند اللقاء ساله الاستاذ التابعي «كيف ترى مستقبلك»؟

وكان السؤال مفاجئا، فلقد كان يتصور ان عمله في «الجازيت» يكفيه ولكن الاستاذ التابعي كان له راي مختلف فخاطبه «مهما فعلت في «الجازيت» فان المستقبل محصور وضيق فهي جريدة تصدر في مصر بلغة اجنبية... صحفي مصري مجاله في الصحافة المصرية باللغة العربية وبقرائه فيها

---

(7) المصدر السابق - ص 26 - 27.

(8) المصدر السابق - ص 28.

(9) المصدر السابق - ص 28.

هذا هو المستقبل».[10]

وهكذا انتقل من «الجازيت» الى «اخر ساعة» وهو يمثل انتقالا من التحرير بالانجليزية الى التحرير باللغة العربية، ومن جمهور الجالية الاجنبية الى جمهور مصري وعربي ضخم العدد، ومن قضايا العالم الى قضايا مصر والحركة الوطنية المصرية وتناقضاتها وصراعاتها مع القصر والانجليز... وهنا يدخل هيكل في «قلب» المجتمع المصري، وفي زواياه وخفاياه الكثيرة... وهو ما سيؤهله فيما بعد الى الانغماس في العمل السياسي حتى القمة.

2 - «آخر ساعة» (1944 - 1946)

لم يكن انتقاله من تجربة الى تجربة مسألة سهلة، ذلك ان عملية انتقاله تعني خروجه من مدرسة «هارولد ايرل» التي ترى ان «الجريمة» و«الحرب» هما مجال «التكوين» الاصلح والامثل لصحفي ودخوله الى مدرسة «محمد التابعي» التي ترى ان «المسرح» و«البرلمان» هما المجال الانسب والاوفق.[11]

فسرعان ما وجد نفسه في كواليس مسارح القاهرة بدلا من ميادين القتال، ثم وجد نفسه في شرفة مجلس النواب بدلا من محافظة القاهرة التي تصب فيها اخبار كل جريمة تحدث في مصر.

(10) المصدر السابق - ص 28.

(11) المصدر السابق - ص 28 - 29.

وقد أتاح له مقعد «آخر ساعة» في شرفة المجلس فرصة الاقتراب من أجواء السياسة المصرية.[12]

ويقيم هيكل هذه الفترة باعتبار ان «تجربة العمل مع الاستاذ التابعي ممتعة واشهد اني تعلمت منه الكثير. ولقد وجدتني شديد الاعجاب باسلوبه الحلو السلس، وفي البداية رحت اقلده».

«وفي الحقيقة كانت تلك الفترة، مهنيا، فترة العثور على توازن معقول بين ثلاثة تأثيرات تجاذبتني: عقلانية «هارولد ايرل» ورومانسية «سكوت واطسون» ثم حلاوة أسلوب محمد التابعي».[13]

ويبدو ان هذه التاثيرات الثلاثة، ساهمت بدرجات متفاوتة حسب الظرف في تشكيل مقالات هيكل الصحفية.. وساعدته على التميز فيما يكتب.

وكانت «آخر ساعة» في ذلك الوقت مجلة «وفدية» فوجد هيكل نفسه بحكم طبيعة المصادر المتاحة اقرب الى حزب «الوفد» من اي حزب آخر، غير انه يعترف بان قربه من الوفد هو «احساس غالب بان ذلك مجرد تاثير مناخ وليس نتيجة مؤكدة لاختيار وقرار».[14]

وكان «الوفد» قد خرج من الحكم باقالة 8 أكتوبر 1944 الشهيرة، واصبحت مجلة «آخر ساعة» في المعارضة امام حكومة ائتلاف احزاب الاقلية

---

(12) المصدر السابق - ص 28 - 29.

(13) المصدر السابق - ص 29.

(14) المصدر السابق - ص 29.

التي شكلها الدكتور ماهر (باشا) رئيس حزب السعديين تحت جناح القصر[15].

وفي هذه الفترة بالذات شهدت الحياة الصحفية في مصر حدثا متميزا وهو صدور «أخبار اليوم» الاسبوعية بعد شهر واحد من اقالة النحاس، حيث كان صدورها ونجاحها حدثا صحفيا ضخما وكذلك كان حدثا سياسيا.

ففي كل الاحوال فان «أخبار اليوم» أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة الى «الوفد» تدك مواقعه دكا عنيفا صباح كل سبت.[16]

وازاء هذه التطورات الجديدة وجدت «آخر ساعة» نفسها في موقف حرج مما دفع صاحبها الى العمل على تطويرها حتى تتمكن من الدفاع عن «الوفد» ومن مواجهة المنافس الجديد.

ورغم ان هيكل كان يشغل خطة سكرتير تحرير المجلة فان عملية التطوير الجديدة تولاها التابعي بنفسه، وظلت معظم بنودها في رأسه ينفذها واحدا بعد واحد، ولقد كانت لهيكل - بغير تجاوز - آراء وملاحظات لكن التابعي كان بعواطفه كلها مندفعا الى ما يراه. ومن سوء الحظ ان التجربة لم تنجح وفوق ذلك فان مصروفات آخر ساعة - بحكم وجود الانفاق على مشروع التطوير - زادت باكثر من توقعات التابعي، الى جانب ان الشحنة العاطفية التي دفعت محاولة التطوير كانت قد استنفذت نفسها، وهكذا قرر

---

(15) المصدر السابق - ص 29.

(16) المصدر السابق - ص 30.

التابعي - ربما في نوبة ملل او نوبة يأس - ان الوقت قد حان ليرفع عن كاهله اعباء ملكية مجلته.[17]

وقام «التابعي» بادارة مفاوضات مع مصطفى وعلي امين صاحبي دار أخبار اليوم من اجل بيعهما المجلة ولم يكن هيكل يعلم بهذه المفاوضات حتى دعاه التابعي ذات يوم في بداية سنة 1946 ليقول له كل الاسرار مرة واحدة... لقد باع «آخر ساعة» الى دار «اخبار اليوم» وانتهى الامر[18].

واخبره التابعي في شكل مفاجيء، بانهم يريدون ان يعمل معهم ويكتب مقالا اسبوعيا في «اخبار اليوم» واضاف بانهم يطلبون هيكل ايضا... بل اصروا عليه بالتحديد.[19]

ويدل هذا الاصرار على ان الصحفي الشاب، قد توصل في ظرف اربع سنوات من العمل في الصحافة الانجليزية ثم الصحافة العربية على ان يحقق لنفسه مكانا متميزا في الوسط الصحفي المصري، جعلت مالكا مثل مصطفى امين وصاحب تجربة صحفية ناجحة، يهتم بما يكتبه هيكل ويسعى الى انضمامه الى مؤسسته الصحفية.

بل ويضاعف من اهمية تميز هيكل الصحفي اتصال الاستاذ اميل زيدان احد صاحبي دار الهلال به ودعوته للقائه، حيث عرض عليه رئاسة تحرير «مجلة الاثنين» وكانت مجلة سياسية تصدر وقتها عن دار الهلال، وفيما

---

(17) المصدر السابق - ص 31.

(18) المصدر السابق - ص 31.

(19) المصدر السابق - ص 32.

سبق كان رئيس تحريرها هو الاستاذ مصطفى امين، وفي عهده بلغت أوج انتشارها وبعد خروجه منها في نوفمبر 1944 تولاها غيره وتأثرت احوالها.[20]

شكر هيكل اميل زيدان على عرضه، وطلب منه ان يترك له فرصة التفكير اياما قليلة، يجيبه بعدها بالقبول او الرفض.

وفكر كثيرا، واحس انه اقرب الى قبول عرضه لاكثر من سبب «فمجله الاثنين» بدت له تحديا مستقلا وبدت رئاسة تحريرها اطراء لخيلاء الشاب فيه، فها هي رئاسة تحرير مجلة سياسية من مجلات الدرجة الاولى تعرض عليه وهو لم يتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين.[21]

لكنه تراجع عن رايه هذا، بتأثير من استاذه القديم التابعي عندما خاطبه مباشرة «راجع نفسك... ان مجالك سوف يكون اوسع وارحب في أخبار اليوم». وايضا بتأثير من الاستاذ علي أمين الذي التقى به فجأة، واقبل عليه فاتحا ذراعيه يقبله على الخدين ويقول له انه لا يهنئه بانضمامه الى اخبار اليوم ولكنه ايضا يهنىء اخبار اليوم بانضمامه اليها... وبعد ان حدثه «التابعي» عن عرض دار الهلال، هز علي امين راسه بشدة نفيا ورفضا وقال «مكانه الحقيقي معنا في اخبار اليوم».[22]

وأخيرا، قبل بعرض «أخبار اليوم» معتذرا لدار «الهلال»، وكما يبدو خضع اختياره هذا الى تفكير عميق، والى نصيحة التابعي والحاح علي امين،

---

(20) المصدر السابق - ص 33.

(21) المصدر السابق - ص 33.

(22) المصدر السابق - ص 34.

ويمكن ان نضيف ان النجاح الكبير الذي حققته «أخبار اليوم» بمجرد دخولها الى السوق الصحفية وفي ظرف وجيز، سبب من الاسباب التي دفعته الى اختياره خاصة وان مؤشرات اولية اشارت الى قدرة مادية جيدة لهذه الدار اضافة الى حرفية اصحابها.

ولقد مثلت تجربة «أخبار اليوم» المنعرج الثالث الاهم في حياة الصحفي الشاب، ويبدو ان اختياره كان صائبا حيث ستقدم له هذه الدار الكثير من امكانياتها.

3 - «أخبار اليوم» (1946 - 1956)

دخل هيكل «أخبار اليوم» في ربيع سنة 1946، وقد انشأ هذه الدار الاخوان مصطفى وعلي امين في نوفمبر سنة 1944، ولم يكن هيكل منتميا الى المدرسة الصحفية التي ظهرت مع انشائها.[23]

وشغل خطة محرر في دار «أخبار اليوم» وسكرتيرا لتحرير «آخر ساعة» في نفس الوقت.[24]

ثم تعرف على الاستاذ مصطفى امين، الذي بدا له رجلا شديد الذكاء فيما يقصد اليه، شديد النشاط مع بعض المبالغة في الحركة، لطيف المعشر حين يريد، لكنه ليس بالضبط مثل توأمه كتابا مفتوحا تقرأ صفحاته في يسر وسهولة، ولم يجد غرابة فذلك بالطبع شأن مخبر صحفي كبير له اتصالاته الواسعة ومصادره المتشعبة وحساباته المعقدة.

---

(23) المصدر السابق - ص 34.

(24) المصدر السابق - ص 38.

ولقد وقعت بينهما في الشهور الاولى من عمله في «أخبار اليوم» احتكاكات سريعة، لكن العمل المشترك والصحبة الدائمة أزاحا كل شيء جانبا.[25]

وتعرف بمحرري «أخبار اليوم» وجلس الى مكتب في واحدة من حجراتها. وراح يتأقلم مع عالمه الجديد، ولم تكن العملية سهلة وان كانت نتائجها سعيدة بالنسبة اليه وبالنسبة الى كل الاطراف.[26]

وحاول ان يتميز في عمله، فبدت له التغطية الاخبارية في السياسة المحلية جهدا عقيما، وفكر في العودة الى التحقيق الصحفي.[27] وعاوده الحنين الى المخاطرة، والاقتراب من بؤر الموت، فاستغل فرصة تفشي وباء الكوليرا في مصر. وغادر القاهرة مع الاستاذ محمد يوسف كبير مصوري «أخبار اليوم» وذهبا ليقيما في منطقة ظهور الوباء بمحافظة الشرقية، وتقرر عزل المحافظة عن بقية مصر وهما متواجدان فيها، وكانت رسائله تصل كل اسبوع الى اخبار اليوم تنقل الى قرائها صورة شاملة انسانية للحياة في ظلال الموت...[28] ونجحت هذه التحقيقات نجاحا كبيرا فلفتت اليها أنظار كثيرين في مصر، فقد وجدت تشجيعا كبيرا توج بفوز هيكل بجائزة «فاروق الاول للصحافة العربية» وكانت جائزة لها شأنها في ذلك الوقت خصوصا بين

---

(25) المصدر السابق - ص 38 - 39.

(26) المصدر السابق - ص 38.

(27) المصدر السابق - ص 40.

(28) المصدر السابق - ص 40.

الصحفيين الشبان[29].

واراد هيكل ان يضاعف نجاحه المهني، ويفتح له حدود دولية خارج مصر، فينفرد بين زملائه جميعا في اجراء تحقيقات خارج بلده، وساعده علي امين في تحقيق رغبته بعد ان تحمس لاقتراحه رغم انه لم تجازف اي دار صحفية اخرى بمثل ما فعلته «أخبار اليوم» مع هيكل.[30]

قام الصحفي الشاب بتغطية الحوادث الساخنة في الشرق الاوسط وفي العالم، فغطى الحرب الاهلية في اليونان ومنطقة البلقان وحرب فلسطين من اولها الى آخرها. وكذلك سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا، وايضا عمليات الاغتيال الكبرى في المنطقة، من اغتيال الملك عبد الله الى اغتيال رياض الصلح في عمان الى قتل حسني الزعيم في دمشق ثم الى ثورة مصدق في ايران، ثم اتسعت المسافات فاذا به يغطي المشاكل الملتهبة في قلب افريقيا ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الاولى.[31]

وبعد خمس سنوات من التجوال استقر به المقام في القاهرة بعد ان حصل على جائزة فاروق الاول للصحافة العربية ثلاث مرات، ثم قرر بعدها الا يتقدم للجائزة ويتركها لغيره[32]...

لقد حقق نجاحا كبيرا جعله تقريبا من ألمع الصحفيين الشبان في مصر، وتمكن من ربط مجموعة من العلاقات الخاصة مع كبار الساسة والصحفيين في

---

(29) المصدر السابق - ص 40.

(30) المصدر السابق - ص 40.

(31) المصدر السابق - ص 41.

(32) المصدر السابق - ص 41.

العالم يقول عنها: «انني اصبحت على معرفة وثيقة باحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها، وعلى صلة بجيلي من الصحفيين في العالم الواسع، فقد جمعتنا معا ميادين القتال ومواقع الاحداث على طول المسافة الممتدة من شواطىء المحيط الى شواطىء الاطلنطي».[33]

اما في مصر فان نجاحه جعل القادة السياسيين ورجال الدولة والاحزاب يهتمون بالتعرف عليه، والتعاون معه، واعطائه الاخبار بل وصل الامر الى ان استعان به رئيس الحكومة واخذ رايه في مسالة دخول الحرب في فلسطين ويبين ذلك هيكل في قوله «ان ابواب السياسة المصرية تفتحت امامي على مصراعيها، وكان من حسن حظي إنني لم أقف على باب أحد ولم أسأل أحدا في شيء اثناء مروره في ردهة او نزوله على سلم، وكان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعات من الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسات والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الاخبار. ولقد سبب لي ذلك حساسيات مع البعض، ومع الاسف لم استطع اقناعهم ان الحياة مع الخطر، هي التي فتحت لي الابواب واعفتني من الوقوف على الاعتاب.

واتذكر على سبيل المثال انني حين عدت لاول مرة بعد ان كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان «النار فوق الارض المقدسة» تلقيت دعوة من رئيس الوزراء في ذلك الوقت محمود فهمي النقراشي (باشا) يطلبني الى مكتبه ليسألني عما رايت ويدقق في سؤالي، ولم تكن مصر قد قررت دخول

(33) المصدر السابق - ص 41.

الحرب.[34]

وفي داخل مؤسسة «أخبار اليوم» كافأه علي ومصطفى امين بان عرضا عليه رئاسة تحرير «آخر ساعة» ومنصب مساعد رئيس تحرير «أخبار اليوم» وقبل عرضهما وكان استاذه «التابعي» اكثرهم سعادة فقد دعاهم جميعا الى العشاء ليلتها ببيته ومعهم ام كلثوم.[35]

ويصف هيكل هذه الفترةقائلا: «كانت أخبار اليوم هي محور حياتي كلها وتحولت العلاقة التي تربطني باصحابها الى ما يشبه علاقة أخوة خصوصا بالنسبة لعلي امين الذي كنت شاهد زواجه الاول ثم اصبح بدوره شاهد زواجي بعد ذلك سنة 1955».[36]

لكن، لابد من ملاحظة ان هذا الانسجام كان يتخلله مناقشات ومحاورات واحيانا خلافات راي يدور معظمها حسب راي هيكل حول ثلاثة محاور:

*قرب «أخبار اليوم» من القصر باكثر مما هو صحي وعداؤها الشديد (للوفد) باكثر مما هو صحي ايضا.

* والمحور الثاني، مطالبته الدائمة بان تدار «أخبار اليوم» على قواعد مؤسسية تضمن سلامة العمل وتكفل الاستمرار.

* والمحور الثالث، الحاحه المستمر على تغطية اكثر عمقا للحوادث والتيارات لان القارىء المصري يتغير ويتطور ولان «حواديت» الثلاثينات

(34) المصدر السابق - ص 41.

(35) المصدر السابق - ص 42.

(36) المصدر السابق - ص 42.

والاربعينات لم تعد صالحة للخمسينات والستينات خصوصا وقد اصبحت مصر جزءا من عالم باسره تهدده مخاطر عظيمة وتراوده آمال اعظم.[37]

ومع قيام ثورة 23 جويلية 1952، وجد هيكل نفسه قريبا جدا من قائد الثورة جمال عبد الناصر خاصة وان علاقة نشأت بينهما منذ فترة سبقت الثورة، وتطورت الاحداث بسرعة، حيث اعتقلت السلطة الثورية الجديدة في مصر الاخوين مصطفى وعلي امين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك.

وذهب هيكل الى لقاء جمال عبد الناصر... محتجا، وقال له، ان القبض على صاحبي اخبار اليوم في هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل يعرفه، ثم ان الحرج يمتد منهما الى الدار نفسها وكل من فيها.

وعاد في المساء ومعه الاستاذ التابعي يرجو ويلح، ثم عاد صباح اليوم التالي يشرح الضغوط التي احس بها في دار «أخبار اليوم» بالامس ثم دخل امام جمال عبد الناصر وآخرين من اعضاء «مجلس قيادة الثورة» في شرح مفصل لعلاقة الصحافة في مصر بالسياسة ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز في ظل الظروف الموضوعية السائدة.[38]

وأخيرا تقرر الافراج عن مصطفى وعلي امين واخذهما هيكل معه، بصحبة محمد التابعي وكامل الشناوي، وذهبوا جميعا الى «مجلس قيادة الثورة» وهناك قدمهما لجمال عبد الناصر وآخرين من اعضاء المجلس...[39]

---

(37) المصدر السابق - ص 44.

(38) المصدر السابق - ص 58.

(39) المصدر السابق - ص 59.

وانطلاقا من هذه الحادثة اصبح مصطفى وعلي امين مشكوك في ولائهما للثورة، رغم ما كتباه لصالحها، وذلك لارتباطاتهما المعقدة بالسفارة الامريكية في القاهرة.

وكثيرا ما دافع هيكل عنهما وحماهما من رجال الثورة، مستغلا في حمايته علاقته الشخصية بجمال عبد الناصر، وتعرض في سبيل هذه الحماية الى مشاكل كثيرة، قال عنها «تعرضت لمشاكل لا حدود لها بسبب هذا الحال فقد راح كثيرون يدعون انني بصداقتي الوثيقة لجمال عبد الناصر احمي اخبار اليوم واتستر على مصطفى امين، بل ذهب البعض الى ما هو ابعد ومؤداه ان ارتباطي الى هذه الدرجة باخبار اليوم لا يعني غير انني من نفس النوع وذات العينة».(40)

لكن رغم ذلك استمرت علاقته الجيدة بالأخوين حتى سنة 1965 عندما اكتشفت اجهزة الامن المصرية خيانة مصطفى أمين وأثبتت عمالته لجهاز المخابرات الأمريكية، وتم القاء القبض عليه، وحوكم بتهمة الجوسسة.(41)

وبدأت علاقة هيكل وعبد الناصر تتوطد شيئا فشيئا، فحين فكرت الثورة في اصدار جريدة تعبر عنها وهي جريدة «الجمهورية» طلب منه جمال عبد الناصر ان يتولى الاشراف على اصدارها ولكنه اعتذر، وكانت وجهة نظره انه متمسك بأخبار اليوم وعمله فيها وصداقته مع اصحابها. ثم يعتقد

---

(40) المصدر السابق - ص 68.

(41) أفرج على مصطفى أمين في عهد السادات وشارك في الحملة الاعلامية الكبيرة ضد عبد الناصر وعهده، وأيضا ضد محمد حسنين هيكل الذي رد عليه بكتاب «هيكل بين الصحافة والسياسة» بين فيه القصة كاملة.

ان الفارق بين الثورة والحكومة ضائع، وفي النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وانما عن الحكومة وهو لا يتصور نفسه في جريدة حكومية.

وثالثا يرى ان الثورة لا تحتاج جرائد تعبر عنها، لان كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء.(42)

وفي سنة 1955 وفي لقاء في نادي الجزيرة مع علي الشمسي (باشا) رئيس مجلس ادارة البنك الاهلي ورئيس مجلس ادارة الاهرام وقتها تلقى عرضا لرئاسة تحرير الاهرام، وكان عل الشمسي (باشا) قد ألح عليه للعمل في الاهرام سنة 1951، وكان المنصب الذي عرضه عليه وقتها هو منصب مساعد رئيس التحرير، واعتذر، والان سنة 1955 كان علي الشمسي يعرض عليه منصب رئيس التحرير واعتذر مرة ثانية.(43) لكن بعد سنة يتكرر العرض، ويقبل به هيكل، ويدخل بذلك المنعرج الرابع والحاسم في حياته الصحفية حيث يصل الى قمة صعوده وتشتبك الصحافة بالسياسة عنده، حتى يصعب الفصل بينهما.

لقد لخص هيكل رأيه في السنوات التي قضاها في «أخبار اليوم» بقوله «كانت السنوات العشر التي قضيتها في اخبار اليوم (1946 - 1956) سنوات خصبة وفيها وضعت الاساس لاي شيء يمكن ان اصل اليه مهنيا، وفيها وصلت بالفعل الى مكان الرجل الثاني بعد صاحبيها».(44)

---

(42) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق 63 - 64.

(43) المصدر السابق - ص 64.

(44) المصدر السابق - ص 66.

ويعود الفضل الى دار «أخبار اليوم» في تفوق هيكل الصحفي وجعله نجم الصحافة في مصر، فهي التي مهدت له السبيل الحقيقي من اجل ابراز موهبته، وذلك بمغامرتها في ارساله خارج حدود مصر وفتح آفاق دولية للصحفي الشاب مكنته من تغطية الاحداث التاريخية الكبرى التي هزت العالم في منتصف القرن، ومكنته ايضا من نسج شبكة من العلاقات مع المع ساسة وصحفيي العالم في هذه الفترة.

كذلك تعتبر مدرسة «أخبار اليوم» من المدارس الليبيرالية في الصحافة، التي لا تحبذ اسلوب صحف الراي والاحزاب وتعتمد على الاثارة والتشويق، متأثرة بالصحف الغربية، خاصة الامريكية منها، مما ساعد هيكل على صقل موهبته.

وأثبت هيكل كفاءته كصحفي ومحرر ممتاز في «أخبار اليوم» لكنه لم يجد بعد الفرصة التي يبرز فيها موهبته كمدير مسؤول وموجه لصحيفة وهي فرصة سيجدها في جريدة «الاهرام» حيث سيصبح المسؤول الاول عن «دار الاهرام».

كما برز دوره في «أخبار اليوم» منحصرا في دور الصحفي حتى 23 جويلية 1952، حينما بدأ أول خطواته في العمل السياسي الى جانب عبد الناصر... اما في «الاهرام» فستكون التجربة مختلفة خاصة عندما يبرز دوره السياسي بقوة على السطح.

الفصل الثاني

تجربة "الاهرام" (1957 - 1974)

كان «سليم تقلا» صاحب «الاهرام» واحد من الصحفيين الذين جاءوا الى مصر من سوريا تزلفا للخديو اسماعيل الذي كان يميل بطبعه الى الدعاية ويسيطر عليه حب الظهور، وكان في حاجة الى صحافة تؤيده... وقد جاء صاحب «الاهرام» لهذا السبب وايضا هربا من جور السلطان العثماني عبد الحميد وبطشه.

وفي 27 ديسمبر 1875 قدم ملتمسا لانشاء مطبعة الاهرام ووافقت عليه الحكومة.

وصدر العدد الاول من «الاهرام» في 5 أوت سنة 1876 متكونا من 4 صفحات ثم اصبح صحيفة يومية ابتداءا من يوم الاثنين 3 جانفي 1881[1].

وفي سنة 1957 يصبح محمد حسنين هيكل رئيسا لتحريره.

1- دخول «الاهرام»

ثاني محاولة لدخول هيكل «للاهرام» تمت في ربيع سنة 1956 عندما عاد الشمسي (باشا) يلح عليه ويبدي لالحاحه اسبابا كثيرة بينها ان «الاهرام» سوف يكون امتحانا حقيقيا لما يستطيع عمله كصحفي...[2] ولاسباب متعددة

---

(1) سمير صبحي، صحيفة تحت الطبع، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1980، ص ص 54 - 55 - 56.

(2) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 64.

وقتها وجد نفسه يسمع باهتمام الى علي الشمسي (باشا) ثم وجد نفسه يذهب الى صديق يثق به وهو شيخ المحامين الاستاذ مصطفى مرعي وتحمس الاستاذ مرعي وقال انه سيكون محاميه في التعاقد مع اصحاب «الاهرام» وبالفعل ذهب معه لعدة لقاءات مع عضو مجلس الادارة المنتدب وقتها الاستاذ ريمون شميل، وتقدمت محادثاتهم الى درجة كتابة عقد وقعوا عليه بالاحرف الاولى تسجيلا للنوايا وتمهيدا لاتفاق نهائي.

ثم رجا منهم هيكل ترك الموضوع حيث هو حتى يتحدث فيه مع اصحاب «أخبار اليوم».(3)

لكن اصحاب «أخبار اليوم» تمكنا من اقناعه بضرورة الغاء العقد واستمراره معهما... وتواصل هذا الوضع الى يوم 6 أفريل 1957، ففي هذا اليوم، التقى هيكل في «نادي الجزيرة» مع علي الشمسي (باشا) ودون اية حسابات، ولعله كان العقل الباطن يدفع الكامن فيه على السطح، وجد نفسه يقول للشمسي (باشا) «انني سوف اريحك الى ابعد حد، في العام الماضي عرضوا علي «الاهرام» واعتذرت، وفي هذا العام انا الذي اعرض نفسي على «الاهرام»...».(4)

وجرت اتصالات وحضر آخرون وانتهى المساء بتوقيع العقد الملزم للطرفين، واخذ نسخته منه وذهب الى بيت الاستاذ مصطفى مرعي يسأله رأيه وكان تعليقه «خير ما فعلت».(5)

---

(3) المصدر السابق - ص 65.

(4) المصدر السابق - ص 75.

(5) المصدر السابق - ص 71.

وحتى لا يصطدم مع اصحاب «أخبار اليوم» ولا يخضع مرة اخرى لتأثيرهما، استقر رأيه على تأدية استقالته كتابيا وعن طريق خطاب يشرح فيه المسألة للاستاذين مصطفى وعلي امين، فلم يكن يريد لهما ولا لنفسه تكرار ذلك المشهد المشحون في مكتب علي امين قبل عام واحد.

وهكذا ترك لهما خطابا وسافر الى الاسكندرية دون ان يترك عنوانه لاحد.

وحين عاد الى القاهرة بعد عشرة ايام كان النبأ قد تسرب واصبح حديث المحافل الصحفية، واصبحوا جميعا امام امر واقع يفرض نفسه على الكل.(6)

ورغم دخوله «الاهرام» فقد التقى هيكل مع الاخوين في مكتب علي امين... واتفقوا على شيئين:

أولهما: انه تحت اي ظرف لا ينبغي ان يبدو انتقاله الى «الاهرام» انفصالا في نفس الوقت عن «أخبار اليوم» وهكذا فانه سيحتفظ برئاسة تحرير «آخر ساعة» الى جانب «الاهرام» لمدة سنة.

والثاني: ان يكون هناك لقاء منظم بينهم كل اسبوع، لا يحتاج الى دعوة او توكيد وهكذا اصبح موعدهم الغداء يوم الثلاثاء من كل اسبوع في بيت الاستاذ مصطفى امين، يلتقون فيه ويتحدثون ويتبادلون الراي فيما يعن لهم من امور، واستمر غداء الثلاثاء بغير انقطاع ثماني سنوات لم يخلفوا موعدا

---

(6) المصدر السابق - ص 73.

لسفر أحدهم أو لعذر قاهر على غير انتظار[7].

وفي نفس الفترة التي وقع فيها عقد «الاهرام» كانت علاقته بجمال عبد الناصر متطورة، سمحت لهيكل ان يقول لعبد الناصر في غرفة مكتبه في بيته «بمنشية البكري» وبدون مقدمات «انه وقع عقدا مع الاهرام».[8]

وكان الامر مفاجئا لعبد الناصر وكان تعليقه الاول: «أليس غريبا ان تقبل العمل في «الاهرام» واصحابه اسرة تقلا بينما اعتذرت عن العمل في «الجمهورية» وأنا صاحبها؟».

فقال له هيكل «ان «الاهرام» له صاحب استطيع ان اتعامل معه مهنيا، واما «الجمهورية» فلا يمكن ان يكون لديك الوقت لممارسة مسؤوليات صاحبها وبالتالي فهي بلا صاحب، وهذا يجعلها مهنيا معضلة شبه مستحيلة».

وقال له عبد الناصر ايضا «سوف تتعب مع هؤلاء الناس، ما اسمعه غير مشجع ولا أظنهم يتركون لك الفرصة لتفعل ما تريد...

وأجاب هيكل: «الحكم بيني وبينهم هو العمل نفسه... هم يريدون نجاحا لجريدتهم وهو ما اريده ايضا، الموقف كله يختلف ان لاحت علامات نجاح.

وراح عبد الناصر يفكر قليلا ثم سأله: «هل هناك مشاكل في «اخبار اليوم» فرد هيكل على الفور: مطلقا، كل شيء هنا في مجراه العادي، لكني

---

(7) المصدر السابق - ص 73.

(8) المصدر السابق - ص 71.

اشعر انني وصلت - مهنيا - الى آخر السلم فيما يمكن تحقيقه في «أخبار اليوم»، في «الاهرام» شيء مختلف، سلم جديد من بدايته والطريق طويل، وهو في كل الاحوال امتحان اشعر انني متحمس لدخوله».

وكان عبد الناصر كريما مشجعا وقال: «الامر لك كما تراه، فهو عملك ومستقبلك وان كنت لا اخفي انني مشفق عليك من عناء تجربة جديد مع اعتقادي انك قادر على النجاح».(9)

وبعد ثلاث سنوات من عمل هيكل في «الاهرام» ابلغه عبد الناصر بقرار اصدره بضم «دار الهلال» الى «الاهرام» في التشكيلات الجديدة لمجالس الادارات... وكان من قبل قد أبعد نفسه تماما عن قضية تشكيلات مجالس الادارات دفعا لاية حساسيات وعاد الان يرجوه ان يعفي «الاهرام» من «دار الهلال» لان كل من الدارين لها طبيعة مختلفة. وتجاوب معه عبد الناصر وقال له: «لقد وقعت التشكيلات وصدرت فعلا وسوف تصلكم في الصحف بعد قليل، ولا يصح ادخال تعديل عليها الان والا بدا وكأن شيئا أضيف اليك قد نزع منك، غدا نصدر تعديلا يتعلق بدار الهلال. وينشر ان ذلك تم بناءا على طلبك حتى لا يسيء احد تفسير القرار».(10)

ويمكن ان نستنتج من الحوارين السابقين بين عبد الناصر وهيكل، ان الصحفي الشاب، بدأ يدعم مركزه الصحفي، ويحمي موقعه الجديد، من خلال علاقته بالمسؤول الاول عن الثورة، وذلك باستشارته في كل خطوة

---

(9) المصدر السابق - ص 72، الحوار نقل كاملا مع التصرف من الباحث، نظرا لاهميته في تثبيت اختيار المنعرج الرابع والحاسم في حياة هيكل الصحفية.

(10) المصدر السابق - ص 80.

حاسمة يتخذها في حياته المهنية. فقد اتبع اسلوب اعلام عبد الناصر بكل القرارات الهامة التي يتخذها ربما حتى اذا ما كانت نتائجها عكسية يكون لعبد الناصر دور تخفيفها باعتباره شارك هيكل في القرار ولو بالعلم به فقط.

اما عن طبيعة وضع «الاهرام» عندما استلمه هيكل، فقد تميز بالانحدار والخسارة، حيث «كانت الاهرام تخسر ماديا طوال السنوات العشر السابقة، وكانت خسائره تزيد في تلك الفترة على مليون ونصف جنيه سنويا، وكان توزيع الاهرام في ذلك الوقت في حدود 68 الف نسخة بما فيها الاشتراكات، وكان هذا التوزيع يتناقص - كما كانوا يقولون - بعدد اعلانات الوفايات في الاهرام، وكانت معظم تجهيزاتها الفنية من آلات، ومعدات مصنوعة في فرنسا في 'الفترة ما بين 1904 و1928 وكان راسمال الشركة التي تصدر الاهرام هو اربعمائة الف جنيه مصري، زادت خسائر الاهرام عنها عدة مرات في السنوات السابقة، الى الحد الذي دعا اسرة «تقلا» الى التفكير في بيع الاهرام وكان بين الذين حاولوا شراءها في ذلك الوقت، دار التحرير للطبع والنشر، وكانت تملكها الحكومة وكان رئيس مجلس ادارتها هو الرئيس أنور السادات نفسه الذي تفاوض في عملية الشراء، وكان المبلغ الذي جرى التفاوض عليه هو اربعمائة الف جنيه - رأسمال الشركة - وأربعمائة الف اخرى في مقابل اسم الشهرة هكذا كانت الاهرام كلها مقدرة بثمانمائة الف جنيه مصري»[11] حينما تسلم هيكل امورها سنة 1957.

---

(11) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 223.

وتمكن الصحفي الشاب بفضل حماسه وخبرته وعلاقاته من الصعود بالاهرام الى قمة النجاح.

2 - انجازات في «الاهرام»

يتميز النجاح الذي حققه هيكل في الاهرام بشموله للبعدين المادي والمعنوي معا.

فمن الناحية المادية، نجد أن الامور اختلفت كلها اختلافا شاسعا عن سنة 1957، تاريخ تسلمه لمسؤولياتها، فبعد سبعة عشر عاما، عندما ترك هيكل الاهرام سنة 1974، اصبحت موجودات الاهرام «تزيد عن اربعين مليون جنيه، وحجم عملياتها السنوية يدور حول مائة مليون جنيه.

ووصل متوسط توزيعها الى ثلاثة أرباع مليون نسخة كل يوم، بما في ذلك عدد الجمعة الخاص.

وكانت ارباحها السنوية تصل الى ما بين ثلاثة وأربعة ملايين جنيه.

وكانت سمعتها العربية والدولية التي تأسست وتأكدت في تلك الفترة تجعلها واحدة من الصحف العشر الكبرى في العالم طبقا لتقرير نشرته جريدة «التايمز».

وأصبحت دار الصحيفة بما فيها من تجهيزات حديثة ومعدات واحدة من الدور الصحفية الثلاثة الاكثر تقدما في العالم، وذلك بشهادة مؤتمر الصحافة العالمي في لوس أنجلوس سنة 1971.

ان كل ذلك تم بدون اية معونات خارجية وبدون اية مساعدات

وانما تم بالعمل الانساني وحده لكل الذين شاركوا معه في اعادة بناء «الاهرام».(12)

ويتحدث هيكل عن تجربته في الاهرام باعتزاز وفخر كبيرين فيقول عنها «... كنت اتمنى لو استطعت ان اتحدث عن مدرسة جديدة في ادارة الصحف ظهرت وازدهرت تلك الايام في الاهرام وكنت اتمنى لو استطعت ان اتحدث عن آلاف من عمال الاهرام يمثلون شيئا مختلفا في طاقة العمل المصرية، كانوا اقل من ثلاثمائة حين دخلت الاهرام وتركتهم هناك قرابة ستة آلاف، كثيرون منهم اتيحت له فرصة التدريب خارج مصر، بل ان بعضهم اضاف في انجلترا نفسها تحسينات تكاد تصل الى درجة الاختراع على بعض الالات التي ذهبوا يتدربون عليها، وكنت اتمنى لو استطعت ان اتحدث كيف استطاع الاهرام في ذلك الوقت ان يسبق الى عصر الكمبيوتر...».(13)

كما اشرف هيكل على تأسيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، وكان الهدف من ذلك المركز اثراء الحوار في قضايا الاستراتيجيا العامة دون ان يتعرض لاية اسرار، ولقد كان حريصا على استقلال المركز عن كل الاجهزة الرسمية للدولة، ولم يكن في حاجة الى شيء من هذه الاجهزة ولا حتى في مجال المعلومات، فقد كان المركز يتبادل الدراسات مع غيره من مراكز الدراسات الاستراتيجية في العالم، ويقصر اجتهاداته على ما هو متاح من المصادر العلنية المنشورة للمعلومات، وهو فيض

---

(12) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق، ص 224.

(13) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص 406.

لا ينقطع، ويعتقد هيكل أن ما كان لديه من المعلومات اكثر بكثير مما لدى اجهزة الدولة، وذلك بالطبع في المجالات التي يهتم بها وكانت مهمة المركز ان يشترك في الحوار العالمي الدائر حول القضايا الاستراتيجية، ولم يكن في مهمته كما تصورها ان يجيب على اسئلة توجه لهم من مسؤولين.[14]

وفيما يتعلق بالناحية المعنوية، فقد نجح «الاهرام» في ان يصبح «منبرا يكاد يكون وحيدا للدفاع عن حرية الراي والنقد»[15] ويعتقد هيكل ان ذلك لم «يكن لامتياز خاص ادعيته لنفسي او اعطاه لي غيري، انما كان عن ايمان بدور الصحافة الحرة»[16].

ويشرح ذلك قائلا: «ان الاهرام يستمد قيمته من حريته، وهي حرية حرصنا دائما ان تكون حرية مسؤولة وفي ممارستها فاننا نشرنا كثيرا من الاراء المفتوحة لاكبر كتاب مصر مما جعل «الاهرام» وقتها حصنا منيعا لمثقفي مصر»[17].

وعمل هيكل على حماية كل من يكتب في «الاهرام» مستغلا اتفاقه مع الرئيس عبد الناصر بشأن حرية «الاهرام»، ويقول عن هذه الحرية انها جزء من حرية الصحافة اعتبر نفسي مسؤولا عنه مباشرة لانه في صميم اختصاصي وعملي».[18]

---

(14) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي العام الاشتراكي، مصدر سابق، ص ص 154 - 155.

(15) المصدر السابق - ص 254.

(16) المصدر السابق - ص 254.

(17) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، مصدر سابق - ص 312.

(18) المصدر السابق - ص 312.

كما تجرأ هيكل على نقد التجاوزات التي تقع في التجربة المصرية، كما حدث في الصدام الذي وقع بين «الاهرام» وبين جهاز المخابرات، وهو الصدام الذي انعكس فيما كتبه تحت شعار «زوار الفجر»، هذا الى جانب ما كتبه زملاء له في «الاهرام»ـ، ابرزهم الدكتور عبد المنعم الشرقاوي الذي تعرض اثناء اعتقاله الى ما لم يكن ينبغي ان يتعرض إليه والاستاذ توفيق الحكيم الذي نشر له مسرحية «بنك القلق» والاستاذ نجيب محفوظ الذي نشر له العديد من اعماله التي تعرضت بالنقد الشديد لبعض تجاوزات التجربة[19]، مثل روايته «ثرثرة فوق النيل» و«اللص والكلاب» وغير ذلك... وكان هناك غير هؤلاء ممن تعرضوا بالنقد الشديد لبعض جوانب التجربة، ويعتقد هيكل ان الاهرام في ذلك الوقت ورغم قرب رئيس تحريرها بصداقة حميمة مع الرئيس جمال عبد الناصر، كانت اكثر الصحف التي تعرضت لضربات بعض الاجهزة وعلى سبيل المثال فقد جرى اعتقال الدكتور جمال العطيفي واعتقال الاستاذ لطفي الخولي واعتقال الاستاذ حمدي فؤاد والاستاذ احمد نافع والاستاذ صباغ من هيئة تحرير «الاهرام» ووصل الامر الى حد اعتقال سكرتيرته الخاصة بعد ثلاثة ايام من تعيينه وزيرا للارشاد.[20]

ويصف هيكل هذا الصراع بقوله «وكنا جميعا في ذلك كله نصد، لا نهرب ولا نستسلم... ولا نحول موقفنا الى حالة غضب شخصي وانما ندافع عن مبدا لنا ولغيرنا، واذن فاننا كنا ننقد التجاوزات ونتعرض لبعضها».[21]

---

(19) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 266.

(20) المصدر السابق - ص 255.

(21) المصدر السابق - ص 255.

وحاول هيكل من خلال «الاهرام» الدفاع عن حرية الراي، والتسامح مع الابداع، وكان متضامنا مع كل من يضطهد في رايه او ابداعه ويروي احمد حمروش[22] الواقعة التالية تاكيدا لهذا المعنى: «ذهبت اليه (هيكل) في مكتبه «بالاهرام» القديم وكنت مديرا للمسرح القومي، اشكو له من نقد كتبه احد المحررين الذين لا صلة لهم بالمسرح، يتهم فيه مسرحية لسارتر بانها دعوة للالحاد... والاباحية... ولم تكن كذلك ابدا... وما كانت الرقابة لتسمح بعرضها لو كانت كذلك.

وعندما قلت له اني فزع مما نشر، رد قائلا انه اشد فزعا لان افكارا مثل هذه تسربت الى صفحات الاهرام».

لقد تميز هيكل «بالاهرام» عندما احاط بها المع كتاب ومفكري مصري بصرف النظر عن توجهاتهم الفكرية والسياسية، ليكتبوا فيها ما لا يستطيعون كتابته في صحف اخرى غير «الاهرام» ويلخص هيكل رايه في هذه المسالة، في حوار مع عبد الناصر قال له فيه: «ما الذي أريده بكل هذا الحشد من قادة الفكر والمثقفين الذين حشدتهم في «الاهرام»؟ انهم ليسوا مجرد حلي ذهبية ازين بها صدر «الاهرام» ولكنهم وظيفة ودور لا غنى لمصر عنه ولا غنى له عنها.

آراؤهم كلها، اجتهاداتهم بما فيها من خطا او صواب، افكارهم النافذة الى كل ركن وناحية من حياتنا الوطنية والقومية - اثراء لهذه الحياة لا حدود

---

(22) احمد حمروش في سلسلة مقالات بعنوان «زيارة جديدة لهيكل» «روز اليوسف» المصرية عدد 1 جانفي 1986.

له...».[23]

ان سبعة عشر عاما من العمل على راس مؤسسة «الاهرام» جعلت هيكل يتربع على عرش الصحافة المصرية والعربية معا، واوصلته الى حد ان الوكالات الانباء الخمس الكبرى في العالم كانت تنقل اسبوعيا ما يكتبه في ركن «بصراحة» كل يوم جمعة، وكانت اذاعة «صوت العرب» بدورها تذيع هذا المقال، وكثيرا ما كانت السفارات الاجنبية في مصر تعتمد على تحليل مقال هيكل حتى تكتشف نوايا الحكومة المصرية...

لقد قدم هيكل «للاهرام» أخصب سنوات عمره، وحماس شبابه، طيلة المدة التي عمل فيها على راسها، حتى أصبحت مسألة مغادرته لها ان اختيارا او اضطرارا مسألة صعبة تحمل في طياتها شحنات عاطفية قوية.

3 - مغادرة الاهرام
(31 جانفي 1974)

أصبح موقع هيكل في «الاهرام» مركزا قويا في المجتمع المصري، كان صاحبه يفضله على منصب الوزارة بل كانت الوزارة تعنى له تحديدا من صلاحياته وضربا لمكانته، فعندما «قال عبد الناصر لهيكل: أنت تفلسف هذه المسائل وأنت صحافي خارج عن الدائرة، امسك الوزارة وفلسفها من الداخل وأنت وزير» ومن ثمة امر عبد الناصر مدير مكتبه للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة سامي شرف بان يذيع قرار تعيين هيكل في الوزارة على

(23) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، مصدر سابق - ص 315.

الساعة الثانية عشر ظهرا بالاذاعة. وفوجيء هيكل بالقرار».[24]

«فان هيكل الان قد اهتز وضعه بنقله من مركز قوته وحلم حياته «الاهرام» وواضح للجميع ان هيكل يرى الدنيا من خلال مركزه».[25]

«ولقد روى هيكل بنفسه كيف ذهب الى عبد الناصر حزينا، قائلا: ان «الاهرام» هي عمره وحياته... وحاول عبد الناصر ان يشرح له انه في ظروف الحرب يمكن للقائد ان يطلب من اية فاعلية في البلد ان تنتقل من موقع الى موقع... ولما وجد عبد الناصر تشبث هيكل «بالاهرام» رضي ان يبقيه في «الاهرام» شريطة ان يتولى منصبه في وزارة الاعلام».[26]

ولئن استطاع هيكل ان يحافظ على موقعه في «الاهرام» بفضل العلاقة الشخصية التي ربطها مع جمال عبد الناصر، فان فترة السادات شهدت في البداية تحالفا قويا بين الرئيس الجديد وهيكل امتدت من يوم وفاة عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970 حتى اواخر شهر اكتوبر 1973 ثم سرعان ما برز خلاف واضح بينهما بسبب ما رآه هيكل من التوظيف السيء للنتائج العسكرية...

وبلغ الخلاف اوجه في يوم 31 جانفي 1974، عندما ابلغ هيكل ان «الرئيس السادات اصدر قرارا بتعيينه مستشارا له، وتعيين الدكتور

(24) من مقابلة اجراها الباحث مع سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة، أجريت في أوت 1991 بالقاهرة، أنظر الحوار كاملا في الملاحق.

(25) محمد باقر شري، «عبد الناصر مات أو أميت»، «الشراع» اللبنانية، الحلقة الخامسة، السنة الخامسة - العدد 252، 12- جانفي 1987.

عبد القادر حاتم رئيسا لمجلس «الاهرام».(27)

وصباح اول فيفري دعا الدكتور عبد القادر حاتم الى «الاهرام» لكي يتسلم كل شيء فيه، وكان رايه ان من اللائق بـ«الاهرام» وبه ان يتم انتقال متحضر.

وهكذا جمع مجلس الادارة ومجلس النقابة ومجلس التحرير وقدم لهم الدكتور حاتم باعتباره المسؤول الجديد، ثم سلمه تقريرا من العقل الاليكتروني عن اقتصاديات «الاهرام» وتوزيعه وارباحه.

ثم غادر المبنى لاخر مرة في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عارفا بانه لن يعود اليه مرة اخرى مهما حدث او يحدث...

وسألته وكالات الانباء العالمية فاصدر تصريحا مقتضبا يقول فيه: «انني استعملت حقي في ابداء رأيي على صفحات «الاهرام»، ثم استعمل الرئيس السادات سلطته في ابعادي عنه، وهكذا فان كلا منا مارس ما لديه».(28)

وكانت صحف العالم تعتبر خروجه من «الاهرام» موضوعا رئيسيا وفي يوم واحد كانت افتتاحيات اربعة من الصحف الكبرى تركز عليه: «لوموند» و«التيمس» و«الواشنطن بوست» و«الداي فيلت» وكان ذلك يثير غضب السادات وحفيظته وهو ما كان يتجنبه.(29)

ولم يكن السادات يريد حرمان هيكل من الاهرام فقط، وانما كانت

(27) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 377.

(28) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 377.

(29) المصدر السابق - ص 381.

غايته حرمانه من الصحافة ومن الكتابة فيها ايضا. ويقول هيكل في هذه المسالة «استطيع بعد ذلك ان أضيف وقائع محددة أبلغت فيها بانه لم يعد هناك داع لان اواصل الكتابة الصحفية، لانى كما قيل لي اصبحت سياسيا ولم اعد مجرد صحفي، ومع ذلك فلست أرى داعيا الى سرد هذه الوقائع، فالحقائق واضحة تتحدث عن نفسها بنفسها، ومع ذلك فاني قبلت راضيا نتائج ابعادي عن «الاهرام» فقد كان المهم بالنسبة الي ان أظل صحفيا ولا شيء غير ذلك».[30]

ويلخص هيكل «مأساته» عندما كتب «وقيل لي مرات ان خطيئتي الكبرى ان الاهرام نجح عالميا - وكذلك كتاباتي في الدنيا الواسعة بعد خروجي من الاهرام، وان هذا النجاح في حد ذاته جريمة لا تغتفر»[31].

---

(30) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي العام الاشتراكي، مصدر سابق - ص 224.

(31) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 408.

الفصل الثالث

هيكل و"تنظيم الصحافة" في عهد عبد الناصر

بعد انفصال سوريا عن «الجمهورية العربية المتحدة» سنة 1961 وانتهاء دولة الوحدة الى التلاشي، دخلت «الجمهورية العربية المتحدة» بقيادة جمال عبد الناصر مرحلة «التحول الاشتراكي» والتأميمات الكبرى التي حدثت في نفس السنة واعقبها اطار نظري فكري يشرح و«ينظر» لطبيعة المجتمع الجديد، فظهر «ميثاق العمل الوطني»[1] سنة 1962.

1 - وجهة نظر عبد الناصر

وبدأت عملية «تصفية» القطاع الرأسمالي لصالح القطاع العام، تشتد يوما بعد يوم، وكان راي عبد الناصر: «أن العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة».[2]

وكان يعتقد «ان اتساع مسافة التخلف في العالم بين السابقين وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بان يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التي لا يحركها غير دافع الربح الاناني.

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدي.[3]

---

(1) كان لمحمد حسنين هيكل دور كبير في صياغة عباراته.

(2) جمال عبد الناصر، الميثاق، دار المسيرة، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص 114.

(3) المصدر السابق - ص 113.

وأضاف عبد الناصر «أن مواجهة التحدي لا يمكن ان تتم الا بثلاثة شروط:

1 - تجميع المدخرات الوطنية
2 - وضع كل خبرات العلم الحديث في خدمة استثمار هذه المدخرات
3 - وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج[4].

ومن ثمة، كان ضروريا ان يكون «الحل الاشتراكي هو الطريق الوحيد الذي يمكن ان تتلاقى عليه جميع العناصر في عملية الانتاج على قواعد علمية وانسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التي تمكنه من ان يصنع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروسة وشاملة».[5]

ويصل الى «ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم».[6]

وحتى ينجز التحول الاشتراكي، لابد من القيام بعمليات واسعة للتأميم وهو «ليس الا انتقال أداة من أدوات الانتاج من مجال الملكية الخاصة الى مجال الملكية العامة للشعب.

وليس ذلك ضربة للمبادرة الفردية كما ينادي أعداء الاشتراكية، وانما هو توسيع لاطار المنفعة وضمان لها في الحالات التي تقتضيها مصلحة التحول الاشتراكي الذي يتم لصالح الشعب».[7]

---

(4) المصدر السابق - ص 113.
(5) المصدر السابق - ص 115.
(6) المصدر السابق - ص 111.
(7) المصدر السابق - ص 126.

كذلك «ليس التأميم كما تنادي بعض العناصر الانتهازية، عقوبة تحل برأس المال الخاص حين ينحرف ولا ينبغي بالتالي ممارسته في غير احوال العقوبة.

ان نقل اداة من ادوات الانتاج من مال الملكية الفردية الى مجال الملكية العامة اكبر من معنى العقوبة واهم».(8)

وأضاف عبد الناصر في «الميثاق» «ان الاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية وبهما معا تستطيع ان تحلق الى الافاق العالية التي تتطلع اليها جماهير الشعب».(9)

كما تعتبر «الكلمة الحرة ضوء كشاف امام الديمقراطية السليمة... ان حرية الكلمة هي المقدمة الاولى للديمقراطية... وسيادة القانون هي الضمان الاخير لها.

وحرية الكلمة هي التعبير عن حرية الفكر في اي صورة من صوره.
كذلك فان حرية الصحافة وهي ابرز مظاهر حرية الكلمة يجب ان تتوافر لها كل الضمانات».(10)

«وانه لمن ألزم الامور هنا تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع

---

(8) المصدر السابق - ص 127.
(9) المصدر السابق - ص 130.
(10) المصدر السابق - ص 166.

يسهل حفظها للمستقبل، كما انها تستكمل حلقة هامة في الصلة بين الفكر والتجربة».(11)

ان مجموع هذه الافكار هي التي دفعت بالرئيس جمال عبد الناصر الى ضرورة «تأميم» الصحافة في «الجمهورية العربية المتحدة» ونقلها من الملكية الخاصة الى ملكية القطاع العام كغيرها من القطاعات الاخرى، وحدث صدام بينه وبين محمد حسنين هيكل في هذا الموضوع حينما اختلفت وجهتا نظرهما.

كانت المناقشات حول ملكية الصحافة في مصر، طويلة بين جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل، حيث امتدت من سنة 1952 الى سنة 1960 ولم يكن عبد الناصر راضيا فيها عن الملكية الفردية او العائلية للصحف.(12)

وفي احدى المرات دعا هيكل الى بيته وجلس معه لواحدة من اصعب مقابلاتهما.

قال عبد الناصر فيها انه مهما كانت آراؤه في موضوع الصحافة فهو الان واصل الى اقتناع كامل بانه لا يستطيع ان يترك الامور كما هي.

واستدرك يقول لهيكل: «لا تتصور انني اريد ان اتخلص من احد لو أردت أن اتخلص من أحد فانت تعرف أن لدي من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لي بأن أقول له اذهب الى بيتك، ثم انك ترى أن الكل يتسابق الى التأييد أحيانا بأكثر مما أريد لكن القضية أكبر من ذلك».(13)

---

(11) المصدر السابق - ص 179.

(12) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 75.

(13) المصدر السابق - ص 76.

ثم قال: «أنت تعلم ان لدي تحفظاتي ولدي شكوكي حتى في الذين يتسابقون الى التأييد ومع ذلك فهذه التحفظات والشكوك لا اثر لها فيما اعتزمه الان كما قلت لك هناك قضية اهم».(14)

ثم استطرد: «اننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة، وقد بدأت هذه التحولات بتأميم البنك الاهلي وبنك مصر، اذا كنا نريد اجراء تحولات اجتماعية عميقة في مصر فلا بديل عن سيطرة المجتمع على وسائل المال والانتاج، ولا استطيع عقلا ولا عدلا ان افرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم اترك لمجموعة من الافراد ان يسيطروا على الاعلام.

انهم لا يسيطرون الان عمليا لان الثورة قوية وذلك مجرد خوف، وانا لا أثق في خائف خصوصا اذا تغيرت الظروف، ثم ان المرحلة الجديدة من التحول الاجتماعي تحتاج الى تعبئة اجتماعية شاملة، واعرف ان الموجودين الان سوف يصفقون لاي قرار لكن المطلوب شيء آخر غير التصفيق».(15)

وفي مقابلة أخرى مع هيكل، قال عبد الناصر: «انني معك ان اوضاع الصحافة تحتاج الى بحث جديد» ثم أضاف يذكره بانه اثناء قانون سنة 1960 أتاح له الفرصة، ان يقترح ما يمكن ادخاله عليه من تعديلات لضمان دور الصحافة في المجتمع وحريتها في خدمة اهدافه.

ثم قال له الرئيس، انه لا يمانع في صيغة تعاونية لملكية الصحف على ان تبدأ بتجربة محدودة في «الاهرام» مثلا ثم تعمم بالنسبة لباقي الدور الصحفية.

---

(14) المصدر السابق - ص 76.

(15) المصدر السابق - ص ص 76 - 77.

ثم طلب منه ان يقلب الامر على كل جوانبه ثم يتقدم اليه باقتراحات محددة وتحول اللقاء الى ما كان يمكن ان يصبح نقطة تحول في تاريخ الصحافة.[16]

ان نزعة التأميم واضحة، في وجهة نظر عبد الناصر ومرجعيتها اكثر وضوحا في «الميثاق» ومن حيث المبدأ فان اختياره في ضرورة ان تكون ملكية الصحف ملكية عامة، كان اختيارا نهائيا، لكنه آثر ان يستمع الى وجهة نظر المختصين في الميدان الاعلامي، واقربهم اليه كان محمد حسنين هيكل.

2 - وجهة نظر هيكل

يعتقد هيكل انه وقف في الفترة ما بين سنة 1956 الى سنة 1960 وحده تقريباً في محاولة الدفاع عن «الواقع الراهن في الصحافة» حتى لو أدى الامر إلى بقاء ملكية الافراد والعائلات، فقد بدا له ذلك أهون الضررين واخف الشرين، وكان للثورة وقائدها وللتنظيم السياسي ورجاله رأي آخر.[17]

وكان يرى غير ما يراه عبد الناصر، ويناقشه مطولا ومفصلا. وفي بعض الاحيان كان يستطيع ان يفهمه ولكنه لم يكن يتصور في نفس الوقت ان تتحول الصحف من ملكية الافراد او العائلات الى ملكية الدولة، فقد بدت له تلك كارثة الكوارث، ولم يكن هناك حل وسط.[18]

---

(16) المصدر السابق - ص 255.

(17) المصدر السابق - ص 76.

(18) المصدر السابق - ص 75.

وفي أحد حواراته مع الرئيس، يذكر هيكل: «ورحت أناقشه وأحاوره وان بدا لحظة بعد أخرى انني على وشك ان أخسر نتيجة المناقشة والحوار، وكانت القضية بالنسبة له قضية مبدأ، وهو مبدأ يتصل بغيره من المبادىء التي تحكم رؤيته لمدى التحولات الاجتماعية.

ثم قال لي جمال عبد الناصر: «ان ما يدهشني أنك تنظر الى الموضوع بحساسية شديدة، ثم انك تنظر اليه من وجهة نظر أشخاص».

وقلت: «ان خشيتي في الواقع على المهنة».

وكان رده: «فكر في أية ضمانات تريدها للمهنة، ولنلتق هنا غدا في الحادية عشر صباحا، سوف يكون معنا محمد فهمي السيد (المستشار القانوني للرئاسة وقتها)».[19]

وفي اليوم التالي حاول بكل ما يستطيع، وربح بعض النقط وخسر بعضها الاخر.

ربح - فيما يظن - عندما استطاع ان يستعبد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلا الى صيغة اخرى تسمح بمرونة، وهكذا كان «تنظيم الصحافة» وليس «تأميمها».

وحاول ان يجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسي وبين جمعية العاملين في كل دار صحيفة 50٪ لكل فريق، ولم يقبل جمال عبد الناصر وخرج باقتراح وسط. انتقال الملكية الى التنظيم السياسي وليس الى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بارباحها داخلها، ثم توزيع هذه الارباح مناصفة،

(19) المصدر السابق - ص 77.

نصف للتجديد والاحلال في دور الصحف ونصف لجمعية العاملين في كل دار صحفية.[20]

وعندما صدرت المذكرة التفصيلة لنصوص القانون في يوم 24 ماي 1960 اعترض هيكل عليها فقد احس ان المنطق والمبررات والاسانيد الواردة فيها يمكن ان تحتمل ما يمكن اعتباره نقدا لما كانت عليه الاحوال في المهنة الامر الذي استوجب اعادة ترتيب هذه الاحوال بالقانون.[21]

ويشهد ان جمال عبد الناصر كان صبورا، فقد قال له: «دعك من مذكرة فهمي واكتب انت واحدة غيرها».

وكتب مذكرة كانت في الواقع اعلانا بتأكيد حرية الصحافة اكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون.

ويعترف هيكل، عن سبب تخوفه من القانون الجديد قائلا: «ولابد ان اقول: ان بعض اسباب تخوفي من القانون الجديد كانت ذاتية، ففي ذلك الوقت كان قد مضى علي في رئاسة الاهرام ثلاث سنوات وكان التيار فيها قد تحول: فالاهرام بدأ يربح بدلا من الخسارة، ثم ان توزيعه بدأ يصعد بدلا من الهبوط، وكنت قد اتفقت مع مجلس ادارته - وانا اعرض امام اعضائه تقريري الاول عن خطة العمل التي اقترحها - انه اذا حقق الاهرام ارباحا فانه يكون مسموحا لي ان ابدأ بتطوير منشآت الاهرام (المبنى والمطابع).

وكنا في الميزانية التقديرية المقترحة لعام 1960 قد رصدنا فعلا اول

(20) المصدر السابق - ص 77.

(21) المصدر السابق - ص ص 77 - 78.

اعتماد لمشروع تطوير الاهرام الجديد بعد أن تأكد اصحابه ان التيار تحول».[22]

ويضيف هيكل: «والان كان تخوفي ان مشروع تطوير الاهرام قد يتوقف بعد ان بدأ خطواته الاولى، فالقانون الجديد يضعنا امام احتمالات مجهولة لا اعرف هل استطيع في ظلها ان اواصل، او انه سيفرض علي ان اطوي ملفات الخطط والبرامج والرسوم مودعا حلمي الى الابد».[23]

وصباح اليوم الذي أذيعت فيه نصوص القانون دعا كل أسرة تحرير الاهرام الى اجتماع عام لكي يتشاور معهم في الاوضاع الجديدة.

وشرح لهم في البداية موقفه. قال انه لم «يكن متحمسا للقانون من ناحية المبدا وفوجىء بزميلته الراحلة السيدة جاكلين خوري تقاطعه قائلة: هل نستطيع ان نسألك: «لماذا؟» اوليس الوضع في ظل القانون الجديد احسن مائة مرة للمهنة وللصحفيين من الملكية الخاصة للصحف.؟

وبدا له ان تيارا قويا يؤيدها، ودهش، واستطرد يشرح مجمل الاسباب التي كانت تدعوه - من ناحية المبدا - للتخوف. وكان اولها قلقه من احتمالات تدخل التنظيم السياسي - الذي انتقلت الملكية اليه - في سياسات الصحف وتوجيه تحريرها بدعوى القانون.

ثم كان هناك ايضا تخوفه من احتمال تأثير الظروف الجديدة على مشروعه لتطوير الاهرام، وقد قال للجميع، انهم امام معركة جديدة ويجب

---

(22) المصدر السابق - ص 78.

(23) المصدر السابق - ص 78.

ان يقاتلوا فيها.[24]

ووصل حديثه الى جمال عبد الناصر، فاتصل به هاتفيا، معاتبا وقال له، ان تقريرا وصل اليه عما قاله في اجتماع محرري الاهرام ومع تقديره لكل الظروف فهو يرى انه يضعف موقفه بهذه المسافة التي اراد ان يضعها بينه وبين القانون الجديد، وانه سمع تحفظاته من ناحية المبدا وحاول بكل جهده ان يريحه في التفاصيل وبذلك فانه لم يعد هناك داع لان يعود فيتخذ موقفا سلبيا من القانون، خصوصا وان هناك من قد ينتهز هذه الفرصة.

ثم قال له الرئيس: «انهم حاولوا ان يصوروا لي قولك: «باننا يجب ان نقاتل» على اساس انها معركة ضد القانون ولقد قلت لهم، ان هذا التعبير يجري على لسانك كثيرا في صدد مواجهة اي عقبة وان ذلك لا يعني انكم في معركة ضد القانون وانما انكم في معركة لاثبات انفسكم في الاهرام في ظل هذا القانون»» ورد عليه هيكل ان ما فهمه عنه صحيح وذلك كما قصده.[25]

ونقل البعض رأي هيكل الى وكالات الانباء والى الصحف في الخارج.[26] ووقع نشره.

واهتم هيكل بتجربة الملكية التعاونية لجريدة «لوموند» الفرنسية وحاول دراسة تفاصيلها ولأجل ذلك دعا «بيف ميري» رئيس مجلة ادارة «لوموند»

---

(24) المصدر السابق - ص 79.

(25) المصدر السابق - ص 79 - 80.

(26) من مقابلة اجراها صلاح منتصر مع هيكل، مجلة «أكتوبر» المصرية عدد 608، السنة الثانية عشر، 19 جوان 1988.

ورئيس تحريرها ليكون ضيفا عليه في القاهرة.[27]

وحاول ان يبلغ فكرته هذه لعبد الناصر فقال له: «ان فكرة الملكية التعاونية تتحد في ذهني اكثر فاكثر كل يوم كبديل للملكية الفردية للصحف او للملكية العامة لها او حتى للوضع المعلق في الهواء الذي انتهى اليه قانون تنظيم الصحافة».[28]

وتفرغ في شهر سبتمبر 1965 لدراسات مطولة، ومناقشات واجتماعات، حول ما عرضه من افكار على جمال عبد الناصر بشأن الملكية التعاونية للصحف بدءا بالاهرام ثم تعمم على بقية الدور اذا نجحت التجربة.

وانتهيا الى صيغة انشاء «هيئة الصحافة العربية المتحدة» وقد تولى الدكتور «جمال العطيفي» وضعها في القالب القانوني وقدمها للرئيس جمال عبد الناصر يبدي فيها رايه، فاذا اقرها قام بتوقيعها بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي الذي آلت اليه ملكية الصحف بنص قانون التنظيم.[29]

ومساء يوم 15 اكتوبر، رن الهاتف في بيت هيكل، وكان جمال عبد الناصر على الخط يقول له، انه قرأ مشروع انشاء «هيئة الصحافة العربية المتحده» وقد اعجبه وهو يرى الان - لاسباب عديدة - ان تنظم دار اخبار اليوم تحت احكامه كالاهرام وان يكون هو رئيسا لمجلس ادارة الهيئة الجديدة.

وقال له ايضا:

---

(27) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 254.

(28) المصدر السابق - ص ص 254.

(29) المصدر السابق - ص ص 259 - 260.

«سوف أترك «الجمهورية» للتنظيم السياسي في الاتحاد الاشتراكي واعهد بالاشراف عليها الى علي صبري، ولتكن هي جريدة التنظيم اما الصحافة المحترفة - وبالدرجة الاولى دار الاهرام ودار أخبار اليوم - فلتدخل جميعا في اطار ما اقترحته وما وافقت عليه».

وحاول هيكل ان يناقش قراره، ولم تكن هناك جدوى، فقد قطع في الامر برأي نهائي حين قال «سوف أخطر الان خالد محي الذين وغدا ترتب ان تلتقي معه لكي تتسلم اخبار اليوم وتنظم اوضاعها استعدادا لانشاء الهيئة الجديدة.

ولم يكن هيكل مستريحا.(30) معللا ذلك بقوله: «ان اشرافي على صحف دار اخبار اليوم الى جانب صحف دار الاهرام، تركيز للقوة الصحفية في يد واحدة باكثر مما هو ضروري وصحي... فقد رايت ان يكون لاخبار اليوم وضع مستقل حتى عن الشخص المفوض بسلطات مجلس ادارتها».(31)

ويضيف: «وفي كل الاحوال (فلقد) رجوت الرئيس جمال عبد الناصر ان يعتبر قيامي باختصاصات رئيس مجلس ادارة اخبار اليوم - في اطار هيئة الصحافة العربية المتحدة - اجراءا مؤقتا الى حين يتسنى لي اختيار بديل».(32)

---

(30) المصدر السابق - ص 260.

(31) المصدر السابق - ص 261.

(32) المصدر السابق - ص 262.

ونشر قرار تخويله سلطة مجلس ادارة اخبار اليوم الى حين اتمام اجراءات مناقشة وصدور قانون انشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة يوم 17 اكتوبر 1965[33].

ويوضح هيكل هذه المسالة اكثر في مكان آخر حينما يقول: «لقد حدث بالفعل في ذلك الوقت خلاف على الصحافة... السيد علي صبري كان في تفكيره انشاء المجلس الاعلى للصحافة، ولكننا في الاهرام كنا نقاوم هذه الفكرة ووضعنا بدلا منها فكرة الصحافة العربية المتحدة التي تتضمن الصيغة التعاونية للملكية مع الادارة... لاننا في هذه التجربة كنا نريد ان نحقق فصل الادارة عن الملكية وقلنا في ذلك الوقت انه اذا كان الاتحاد الاشتراكي هو المالك فعلا فاننا بهذا المالك، نستأجر منه رخصته التي يملكها ونعطيه قيمة هذا الايجار، وما تبقى لا تكون له علاقة به».[34]

وفي مجال «الاذاعة والتلفزيون»، حاول هيكل ايضا ان يبعد هذا الجهاز عن السلطة المباشرة للحكومة، ويشرح ذلك: «بعد ان قبلت وزارة الاعلام اتصلت بمصطفى خليل وعرضت عليه أن يكون رئيسا لاتحاد الاذاعة والتلفزيون»، وعلى أساس ألا يكون خاضعا لسلطة وزير الاعلام الذي يكون عضوا تحت رئاسته في المجلس... وبدأنا معا نضع تنظيما «للاذاعة والتلفزيون» قريبا من نظام «B.B.C» يكون فيه نوع كبير من الانفصال عن سلطة الحكومة... وسافر الى لندن ليدرس نظام عمل «B.B.C» في صورتها المستقلة

(33) المصدر السابق - ص 262.

(34) هيكل في حوار مع صلاح منتصر، مجلة «أكتوبر» المصرية عدد 608، مرجع سابق.

على الدولة وعلى اساس ان يكون متوازيا في الوقت نفسه مع فكرة «الصحافة العربية المتحدة».

وعاد الدكتور مصطفى خليل من لندن وبدأ مناقشات موسعة لصياغة القانون وتولى كتابة مشروعه في النهاية الدكتور جمال العطيفي... وعندما تم وضع مشروع القانون وأحيل الى مجلس الدولة اعترض عليه مجلس الدولة، وقال ان الوزير في نطاق اختصاصه لا يمكن له التنازل عن اختصاصه لشخص آخر ولابد للوزير ان يرأس «اتحاد الاذاعة والتلفزيون» من أجل المساءلة الدستورية، ورغم هذا رفضت واقترحت - ان استدعى الامر - تعديل القوانين، وصدر قانون «اتحاد الاذاعة والتلفزيون» كما أردته فعلا ووقعه جمال عبد الناصر كما وضعناه، وكنت اعتبره جزءا من تنظيم شامل لوسائل الاعلام لانني عندما كنت أتحدث عن الصحف في ذلك الوقت كنت اتصور ان يكون لكل صحيفة مجلس امناء يمثل المجتمع... وهذا النظام على سبيل المثال قامت به جريدة «التايمز» التي كانت مملوكة ملكية فردية لعائلة «آستور» واحس ملاكها ان هناك حملة في أنجلترا ضد الملكية الفردية ففكروا في شيء جديد وأعلنوا انهم وان كانت ملكيتهم للصحيفة فانهم سيقومون حاجزا barrier بينهم وبين رئيس التحرير...».(35)

لكن بعد خروجه من الوزارة تم الغاء المشروع وعاد الجهاز الى تبعية وزير الاعلام.(36)

---

(35) المرجع السابق.

(36) المرجع السابق.

وفي سنة 1976 ألغى أنور السادات قانون الصحافة العربية المتحدة، وخرجت الصحف في ذلك الوقت تقول باسقاط قبضة هيكل عن الجرائد، رغم انه في وقت الالغاء كان له اكثر من سنتين بعيدا عن الصحف والصحافة.[37]

حاول هيكل، طيلة فترة التأميمات الكبرى التي شهدتها بلاده أن يخفف من حدة وقعها على الصحافة، رافضا فكرة تأميم الصحف، باحثا عن حل أكثر مرونة، لا يعطي ملكيتها للأفراد، وفي نفس الوقت يحميها من «شبح» الحكومة والدولة، ووجد تفهما نسبيا من الرئيس جمال عبد الناصر، الذي أتاح له فرصة تكوين «هيئة الصحافة العربية المتحدة»، و«اتحاد الاذاعة والتلفزيون» لكن بمجرد رحيل عبد الناصر، وبعد خلافه مع السادات، تم الغاء المشروعين.

كما كان هيكل متأثرا بصيغة «الملكية التعاونية» التي تنتهجها صحيفة «لوموند» الفرنسية، وتجربة اذاعة «B.B.C» في استقلالية الاذاعة عن الحكومة، وحاول ان ينقل بعضا من ملامحهما الى بلده.

(37) المرجع السابق.

الفصل الرابع

هيكل المعلوماتي

ان دور المعلومات في حياة هيكل الصحفي لم تكن مسألة فنية يتعامل معها كأنها تكرار يومي في عمله، ان المعلومات هي التي جعلت هيكل ينتقل من صحفي عادي الى رجل مؤثر في الاحداث، وفي القرارات التي صدرت في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، ثم بداية عهد الرئيس أنور السادات.

لقد احتلت في حياته موقع القلب، وكان يدرك انها سلاحه الحقيقي في حياته الصحفية والسياسية.

ان المعلومات التي تدفقت يوما الى جمال عبد الناصر من هيكل، عادت اليه من الرئيس نفسه، وفتحت أمامه الدولة ادق المعلومات وأخطرها... وأصبحت فيما بعد سلاحه الصحفي الذي يدافع به عن نفسه وعن تجربة كاملة... لقد أدرك مبكرا اهميتها وخطورتها في صنع الحياة السياسية.

1 - في أهمية المعلومات

ان العصر الذي نعيشه هو عصر المعلومات بحيث ان بعضهم وصف المعلومات بانها الحاجة الخامسة للانسان، فالانسان يحتاج الى الماء والهواء والطعام والمأوى، ويحتاج الى عنصر خامس هو المعلومات.(1)

---

(1) Jhon Rader Platt, The Fifth need of man نقلا عن أبي بكر محمد الهوش، مرجع سابق.

ولاهميتها تناولها اكثر من باحث بالتعريف فآلن كنت يرى «أن المعلومات هي أية معارف مسجلة يمكن ان يفيد منها أي مسؤول عن اتخاذ القرارات».(2)

أما ولفرد لانكستر فيعتقد ان المعلومات في الواقع شيء غير محدد المعالم فلا يمكن رؤيتها أو سماعها أو الاحساس بها.

ونحن - نحاط علما - في موضوع ما اذا ما تغيرت حالتنا المعرفية بشكل ما... وعلى ذلك فان المعلومات هي ذلك الشيء الذي يغير الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما».(3)

في حين يقول بروكس: «انني أنظر الى المعلومات على انها ذلك الذي يعدل او يغير من البناء المعرفي بأي طريقة من الطرق، وكل المعلومات التي تعدل او تغير من البناء المعرفي هي نتيجة عملية المعلومات».(4)

ويشير الدكتور أحمد بدر الى ان ارتباط المعلومات والمكتبات بقضايا المجتمع المعاصر هو ارتباط شديد التعقيد، وذلك لان المعلومات قد أصبحت أحد المقومات الاساسية للانتاج الوطني، بل أصبح الاقتصاد الوطني مرتبطا ارتباطا طرديا بكمية المعلومات الحديثة التي تستطيع الدولة ان تمتصها في

---

(2) آلن كنت، الحاسبات الالكترونية واختزان المعلومات واسترجاعها، ترجمة حشمت قاسم، شوقي سالم، مراجعة احمد بدر - الكويت - وكالة المطبوعات ط 2، 1979، ص 35، نقلا عن ابي بكر محمد الهوش، المرجع سابق.

(3) ولفرد لانكستر، نظم استرجاع المعلومات، ترجمة حشمت قاسم - القاهرة - مكتبة غريب، 1981، ص ص 35 - 36، نقلا عن د. ابو بكر محمد الهوش، مرجع سابق

(4) محمد فتحي عبد الهادي «مفهوم المعلومات ودورها» مجلة عالم المعلومات، السنة السادسة، العدد 1 ربيع 1983، ص 76 ونقل الاقتباس عن ابي بكر محمد الهوش مرجع سابق.

جسدها التعليمي أو الصناعي أو الزراعي أو الاداري».[5]

اذن وللمعلومات دورها الذي لا يمكن انكاره في كل نواحي النشاط، فهي اساسية للبحث العلمي، وهي التي تشكل الخلفية الملائمة لاتخاذ القرارات الجيدة، وهي عنصر لا غنى عنه في الحياة اليومية لاي فرد... من يملك المعلومات يستطيع ان يكون الاقوى.[6]

اما على المستوى العالمي فقد قدرت قيمة انتاج صناعة المعلومات لسنة 1982 باكثر من 75 بليون دولار اي انها تتزايد بمعدل 12٪ وبهذا المعدل ستكون صناعة المعلومات مصدر نمو الاقتصاد العالمي خلال الخمس والعشرين سنة القادمة.[7]

ويلخص محمد حسنين هيكل اهمية المعلومات وخطورتها في قوله «وربما قلت ان العصر كله هو عصر الذاكرة الواعية، عصر المعلومات وحفظها وترتيبها واستدعائها لتكون حية في المستقبل، وفاعلة فيه بالادراك الاداري».[8]

وانطلاقا من هذا الفهم، سعى هيكل منذ قيام ثورة 23 جويلية 1952 الى لعب دور مغذي الثورة - تحديدا قائدها جمال عبد الناصر - بما تستحقه

---

(5) أحمد بدر، المدخل الى علم المعلومات والمكتبات، دار المريخ، الرياض: 1985، ص 150، نقلا عن أبي بكر محمد الهوش، من مقال «نحو مجتمع المعلومات في الوطن»، مجلة الوحدة، عدد 76، السنة السابعة، اصدار «المجلس القومي للثقافة العربية»، جانفي 1991.

(6) د. أبو بكر محمد الهوش، «المعلومات مفهومها ومصادرها» مصدر سابق.

(7) د. أبو بكر محمد الهوش «نحو مجتمع المعلومات في الوطن العربي» مصدر سابق.

(8) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الاهرام للترجمة والنشر، الطبعة الاولى، القاهرة 1988 ص 24.

من معلومات، خاصة وأن رجالها من الضباط الصغار الذين ليست لهم دراية كبيرة بكيفية تسيير اجهزة الدولة من جهة، ولا يثقون في الاجهزة القديمة التي ثاروا ضدها من جهة اخرى.

تفطن هيكل الى هذه النقطة والى هذا الفراغ بسرعة، وعمل على سده بربط علاقة خاصة بجمال عبد الناصر، وبعرض تجاربه وخبراته كصحفي لامع جال مناطق ساخنة كثيرة في الشرق الاوسط، وربط علاقات وطيدة مع قادتها وسادتها وألمع نجوم صحافتها... وايضا كصحفي يعرف خفايا الامور في المجتمع المصري واتصل بطبقاته السياسية المختلفة.

«فراهن هيكل منذ البداية على عبد الناصر كقائد ثورة، لقد دفعه ذكاؤه الى التركيز على عبد الناصر دون غيره من الضباط الاحرار، فكان عبد الناصر يحبه ويأخذ منه المعلومات ويعطيها له ايضا».(9)

فبقدر ما أعطى هيكل من معلومات لعبد الناصر، بقدر ما استفاد بحكم قربه من مركز القرار، وبقدر ما استخدمها كسلاح قوي لحماية نفسه والدفاع عن عبد الناصر وتجربته.

2 - من هيكل الى عبد الناصر

ان سلاح المعلومات كان يستخدم عند هيكل في العطاء بدون حساب للرئيس جمال عبد الناصر، فمن اهم اسباب المكانة الخاصة التي اكتسبها

(9) مجدي حسنين، أمين صندوق الضباط الاحرار ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب عبد الناصر، من مقابلة عن هيكل اجراها معه الباحث في القاهرة - أوت 1991.

هيكل لدى عبد الناصر منذ أول سنوات الثورة. انه كان يزود زعيم الثورة بقدر هائل من المعلومات التي تتجمع لديه من قراءاته الواسعة والتي كان عبد الناصر - وهو لا يزال ضابطا حديث العهد بالحكم - في أشد الحاجة اليها.[10]

لقد وجد عبد الناصر نفسه في سن الرابعة والثلاثين، وبغير اعداد وتجهيزات لمسؤوليات مرحلة ما بعد القيام بالثورة، حاكما لأكبر وأغنى وأهم دولة في كل المنطقة العربية، والصراعات حوله متشابكة متصلة بقوى كبرى لها لغاتها ومصالحها وعلاقاتها ومفاهيمها المختلفة.

وفي مثل هذه الظروف كانت الثورة في حاجة في البداية الى عقلية مخطط مؤامرات ومناورات، ولكن فيما بعد الاستمرار اصبح الاستمرار يحتاج الى ثقافة ومعلومات ودراسة وأبحاث ومعرفة، وهذا ما سبق محمد حسنين هيكل الجميع الى اكتشافه.[11]

لقد ذهب الى عبد الناصر كثيرون، سياسيون، وكتاب، وصحفيون، ولكنهم في علاقتهم معه كانوا جميعا طامعين في الأخذ، وبالتالي تحددت علاقته معهم بحسب رضائه عن العطاء أو المنع.[12]

بل يذهب سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير

(10) أنظر صلاح منتصر، «الاستاذ هيكل شاهد ام شريك؟»، الاهرام عدد 1 - 5 - 1983.

(11) صلاح منتصر، مقدمة حوار طويل مع هيكل، أنظر مجلة «أكتوبر» المصرية، العدد 606 السنة الثانية عشر، 5 جوان 1988.

(12) المرجع السابع.

شؤون الرئاسة، بعيدا[13] حينما يقول: «ان الرئيس عبد الناصر كان متضايقا في اعماقه من ان هيكل، هو الوحيد القادر على التعبير عن النظام، وكثيرا ما حاول طوال ثمانية عشرة عاما ان يعطي الفرصة للآخرين، لكنهم لم يستطيعوا ان يثبتوا وجودهم.

لقد حاول الرئيس أن يعطي فرصة لأكثر من عشرة صحفيين مثل احمد بهاء الدين، كمال الحناوي، جلال الحمامصي حلمي سلام لكنهم عجزوا جميعا فكان هيكل بمفرده محترفا ممتازا، ذكيا، لماحا، له قدرة فائقة على التعبير».

فهيكل وحده الذي ذهب الى عبد الناصر... لا ليأخذ منه ولكن ليعطيه ويضيف الى فكره ومعلوماته.

لقد كان عمل عبد الناصر هو الحكم، أما عمل هيكل فقد كان القراءة والاطلاع والاتصالات والثقافة والمعرفة... وببساطة استطاع هيكل ان يجعل نفسه كتابا مفتوحا لعبد الناصر... دائرة معارف واسعة يسهل على حاكم مشغول بالحكم وصراعاته، سرعة الاستفادة من معلوماتها.

وكان من حسن حظ هيكل أن جمال عبد الناصر كان هو الحاكم الذي يريد أن يقرأ بنهم، ويعرف بشغف، ويسمع بحب...[14]

لكن، بالتأكيد لم يكن عبد الناصر يعتمد على هيكل فقط فيما يتعلق بالمعلومات، فلم يكن سوى جزءا من آلية معقدة كانت تغذي عبد الناصر

---

(13) سامي شرف، من حوار طويل جدا، أجراه معه الباحث حول هيكل في القاهرة - أوت 1991، لم ينشب الحوار بعد، وقد تضمن معلومات خطيرة وجديدة حول موضوع البحث، الحوار يسنشر في ملحق الرسالة.

(14) صلاح منتصر، مجلة «أكتوبر المصرية» عدد 66 مرجع سابق.

بالمعلومات، خاصة بعدما اشتد عود الثورة، وترسخ حكمها، فسامي شرف يقول: «ان هيكل كان أحد مصادر المعلومات باعتبار عمله الصحفي، ووجوده في وضع قيادي في مجال تخصصه، لكن بالنسبة لتدفق المعلومات للرئيس جمال عبد الناصر، فكان يتميز بالتنوع وعدم الاحادية، حتى لا يصبح اسير جهة واحدة او جهتين، وبالتالي طبيعة تكوين الرئيس كقائد خطط ونفذ ثورة23 يوليو 1952 تجعله لا يكتفي بمصدر واحد.

ان مصادر المعلومات عند عبد الناصر، تنقسم الى قسمين، القسم الاول تشكله المصادر العلنية، وتشمل الصحافة، الاذاعات العالمية بمختلف اتجاهاتها، الدوريات والنشرات والدراسات والكتب، فكل ما هو منشور ومسموع ومرئي كان يسعى للاطلاع عليه.

وتشمل المصادر العلنية أيضا رسائل المواطنين، وكانت كثيرة جدا، حتى انها تتجاوز في بعض الأحيان وفي اليوم الواحد عشرة آلاف رسالة... فمجموعة هذه الرسائل كانت تعطي لجمال عبد الناصر صورة حية نابضة عن مشاعر الجماهير وما تريده.

أما القسم الثاني من المعلومات، فهو المعلومات المغطاة، وهذه المعطيات السرية تصله من اجهزة مختلفة ومن لقاءات واتصالات شخصية، على سبيل المثال، بعض رؤساء الدول يبعثون له بموفودين يتحدثون في مواضيع ذات طابع سري كنوع من انواع جس النبض، او محاولة معرفة وجهة نظر جمال

عبد الناصر، كان الرئيس يتحصل من هذه اللقاءات على كم من المعلومات تساعده في اتخاذ القرار المناسب.

اضافة الى كل ذلك، هناك تقارير الوزارات والمؤسسات الرسمية وهي جهات خبيرة.

استنتاجا، لا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر يعتمد على مصدر واحد فقط، ومحمد حسنين هيكل كان احد هذه المصادر».[15]

اما ضياء الدين داوودوزير الشؤون الاجتماعية، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر[16]، فهو يقول: «طبعا كانت له علاقة جيدة بعبد الناصر بحكم أن هيكل قارىء جيد ومتابع ممتاز للسياسة الدولية، وله اتصالات بقيادات اعلامية في العالم، وهذه قنوات كان يستمد منها جمال عبد الناصر معلومات، ويزكي بها ايضا معلومات وأفكار».

ولو رصدنا عملية بدء ضخ المعلومات من هيكل الى عبد الناصر لوجدناها بدأت قبل الثورة تحديدا يوم 18 جويلية (يوليو) 1952، عندما كان هيكل في زيارة للواء محمد نجيب في بيته، وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الكريم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا وبقي بعدهما بضع دقائق، وعند خروجه وجد الاثنين مرة اخرى، ودار بينهم نقاش ساخن حول ما

---

(15) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(16) وهو اليوم، أمين الحزب العربي الديمقراطي الناصري بمصر، من مقابلة خاصة أجراها معه الباحث حول هيكل في القاهرة - أوت 1991.

يجري في البلاد ودور الجيش فيه، وتحمس أثناء المناقشة وقال لجمال عبد الناصر ما معناه «ان الجيش عاجز عن رد كرامته ازاء عدوان الملك عليه»، ورد جمال عبد الناصر بالتساؤل عما يمكن أن يفعله الجيش أوليست اي حركة من جانبه يمكن ان تؤدي الى تدخل بريطاني يعيد الملك فاروق تمثيل دور الخديوي توفيق ويعود فيه الجيش الى مأساة عرابي؟» وتطوع هيكل وقال ان الانجليز لن يتدخلوا لانهم لا يملكون وسائل التدخل، ثم أحس أن عبارته رنت جرسا في رأس جمال عبد الناصر لأنه التفت اليه وسأله عن الاسباب التي تدعوه الى القول بذلك... كيف يستطيع ان يقطع على هذا النحو بان الانجليز لن يتدخلوا، وراح يشرح وجهة نظره.(17)

وبدأ جمال عبد الناصر يساله بالحاح في تفاصيل ما قال وشعر ان اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش.

وسأله هل يستطيعان ان يواصلا الحديث لان الموضوع يهمه، واقترح عليه هيكل أن يذهبا الى مكتبه في «أخبار اليوم» وكان تعليق عبد الناصر «لا... ليس في «أخبار اليوم» لماذا لا نذهب الى بيتك؟» وذهبا الى بيت هيكل... وتحدثا طويلا... واتفقا على اللقاء مرة اخرى.(18)

واستمرت العلاقة بني الرجلين قوية، تدعمها دقة معلومات هيكل وتنوعها وغزارتها والأهم من ذلك ثقة عبد الناصر في الصحفي الشاب، حيث حاول صحافيون آخرون ولم ينجحوا، وكان مصطفى امين واحدا منهم،

(17) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق ص 49.

(14) المصدر السابق - ص ص 50 - 51.

عندما كتب تقارير الى عبد الناصر الذي احتقرها ورفضها...

وهذه مجموعة من نماذج المعلومات التي قدمها هيكل الى الرئيس عبد الناصر في أزمة السويس.

قبل عدوان السويس سنة 1956، كان عبد الناصر ينتظر وصول سلوين لويد (وزير خارجية بريطانيا)، وقبل وصوله بخمس دقائق أعلم هيكل عبد الناصر هاتفيا بنبأ سقوط «جلوب باشا» قائد الجيش الاردني (من اصل بريطاني) تم ذلك وسيارة سلوين لويد تدخل فناء بيت عبد الناصر في الساعة التاسعة صباحا، وكان «توم ليتل» مدير وكالة الانباء العربية في ذلك الوقت هو مصدر هيكل.(19)

وعندما اشتدت الأزمة كان جمال عبد الناصر في الاسكندرية وكان هيكل في القاهرة وطلب اليه ان يكون على اتصال مباشر به طول الوقت ليخطره اولا باول باخبار لندن، وكان يعتقد ان وكالات الأنباء العالمية سوف تسبق بها كل المصادر الاخرى بما فيها سفارات مصر بالطبع.(20)

وحينما جاءت الحرب يوم الاثنين 29 اكتوبر 1956، كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد، وسلم اليه هيكل برقية وكالة «يونايتدبرس» تنقل البيان الرسمي الاسرائيلي وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها الى عبد الحكيم عامر(21)...

---

(19) محمد حسنين هيكل، قصة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 59.

(20) المصدر السابق - ص 144.

(21) المصدر السابق - ص 227.

وقبل دخول مصر اليمن، قال هيكل لعبد الناصر «لدي دراسة قام بها باحث مصري عن الاحوال في اليمن وعن تاريخه المعاصر، وأريدك ان تقرأها وسوف ارسلها لك».[22]

وحتى تتعمق المعلومات من هيكل الى عبد الناصر اكثر وتأخذ صبغة الدراسات العلمية، بادر هيكل بتأسيس «مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية» وكان المركز يتبادل الدراسات مع غيره من مراكز الدراسات الاستراتيجية في العالم ويقصر اجتهاداته على ما هو متاح من المصادر العلنية المنشورة للمعلومات، وهو فيض لا ينقطع ويعتقد هيكل ان ما كان لديهم من المعلومات اكثر بكثير مما لدى اجهزة الدولة، وذلك بالطبع في المجالات التي يهتم بها، وكانت مهمة المركز ايضا ان يشترك في الحوار العالمي الدائر حول القضايا الاستراتيجية.[23]

كما استفاد الرئيس أنور السادات من الكم الهائل من المعلومات الذي يمتلكه هيكل، وتواصلت هذه الاستفادة من 28 سبتمبر 1970 حتى أواخر 1974، حينما حدثت القطيعة بينهما، كما قام «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» في «الأهرام» بدور هام في حرب أكتوبر 1973، «فحين بدأت الأمور تشير في اتجاهاتها الى قرب جولة جديدة من جولات الصراع مع «اسرائيل» دعا هيكل الدكتور مصطفى خليل لكي يرأس مجموعة خاصة في

---

(22) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر، الطبعة الاولى في مصر، القاهرة، 1987، ص 55.

(23) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي العام الاشتراكي، مصدر سابق ص ص 154 - 155.

المركز، وليقوم ببحث قضية استخدام البترول كسلاح للمعركة، واستطاع بوسائل الاهرام، أن يوفر لمجموعة العمل التي رأسها الدكتور مصطفى خليل كما ضخما من المعلومات والبيانات والأرقام الصحيحة لم يكن لها أي مثيل لدى أي جهاز من أجهزة الدولة، بل لم يكن لها مثيل لدى كل الدول العربية».[24]

3 - من عبد الناصر الى هيكل

لقد توافرت لهيكل خلال فترة اقترابه من عبد الناصر فرصة فريدة للاطلاع على كل المعلومات حتى السرية منها بأمر من عبد الناصر الذي كان يريد له أن يكون ملما بكل الأخبار والمعلومات حتى يكون الحوار بينهما مثمرا.[25]

ويكتب صلاح منتصر، احد تلامذة هيكل «بالأهرام» «أن هيكل بدأ بالعطاء وفيما بعد سددت له هذه الديون أضعافا مضاعفة، عن طريق فتح خزائن الأسرار كلها له، وهكذا كان «سلاح الارشيف» ذا حدين، يعطي أولا، ثم يأخذ بعد ذلك بلا حدود».[26]

---

(24) المصدر السابق - ص ص 314 - 315.

(25) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، مقال طويل على حلقات، الحلقة الرابعة، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 15 - 12 - 1986.

(26) أنظر صلاح منتصر، «الاستاذ هيكل شاهد أم شريك؟»، «الاهرام» عدد 1 - 5 - 1983.

ولكن السؤال يطرح نفسه بحدة، بعد ان يطلع القارىء على كتب هيكل، خاصة الأخيرة منها، والموثقة بوثائق الدولة السرية والخاصة جدا، هل يعقل أن تعطي الدولة لأحد صحفييها مهما بلغ حجمه ومهما بلغت مكانته كل هذه الوثائق؟

مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، سامي شرف[27]، يجيب قائلا: «عندما كنت في مركز السلطة، مسؤولا عن مدير مكتب الرئيس ووزير سكرتارية شؤون الرئاسة، لم يتجاوز حجم الوثائق التي كانت تعطي للاستاذ هيكل المسائل العلنية المباحة، اما الوثائق السرية فلم تخرج من المكتب ابدا، لذلك انا - وقد أكون مخطئا - سمعت من بعض الأشخاص ان أنور السادات سمح بعد انقلاب مايو 1971 لهيكل أن يدخل مكتبي ويأخذ منه كما يشاء من اوراق.

والذي يؤكد لي هذه المعلومة أن هناك وثائق نشرت في كتب الاستاذ هيكل، لم تعط له قطعا ويقينا، وخصوصا تلك الاوراق التي كتبتها بخط يدي، وكانت موجودة في مكتبي الشخصي، بالتحديد في درج مكتبي الخاص، وحصل عليها وأنا لم أعطه شيئا، لذلك أعتبر الرواية التي قيلت

(27) سامي شرف، مقابلة خاصة، مصدر سابق، هذه النقطة حساسة جدا، ولا نستطيع نفيها ولا تثبيتها، فقط يجب ملاحظة ان الاستاذ سامي شرف، كان أقرب الاقرباء الى جمال عبد الناصر، واختلف مع هيكل اختلافا حادا منذ «أحداث ماي 1971» عندما انحاز هيكل الى السادات، ودخل سامي شرف السجن ليقضي فيه اكثر من عشرة سنوات، حتى مقتل السادات، ويلاحظ الباحث من خلال الحديث الطويل الذي اجراه مع سامي شرف، ان الرجل يتميز بالصدق والموضوعية ومرة اخرى لا يمكن الاثبات او النفي.

أقرب الى الصحة».

واذا كانت هذه الرواية صحيحة - وقد تكون كذلك - فهي تعني حرص الصحفي الذكي على الحصول على الوثائق والمعلومات الهامة بأي طريقة لاستخدامها في وقت الحاجة، والظاهر أن هيكل هنا لعب دور الصحفي فيه بقوة جعلته يستغل فرصة نادرة للحصول على وثائق نادرة.

ولكن المتأكد منه أن عبد الناصر لم يكن يبخل على هيكل بالأخبار المتميزة، بل وكثيرا ما يعلمه بأخطر القرارات في حياته قبل ان تذاع على الناس، أو حتى قبل ان يعرفها وزراؤه انفسهم، وهذه بعض النماذج التي تؤكد عملية ضخ المعلومات من عبد الناصر الى هيكل.

النموذج الأول، حوار دار بين عبد الناصر وهيكل عبر الهاتف، حول نشوء فكرة تأميم قناة السويس: «يقول هيكل لعبد الناصر:

- انني فكرت طويلا فيما نستطيع ان نفعله ازاء القرار الامريكي (سحب مشروع تمويل السد العالي).

وقال عبد الناصر:

- وهل توصلت الى شيء؟

فقال هيكل:

- هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة نتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخل...

ولم يكمل هيكل كلامه، فقد قاطعه عبد الناصر بما يعتبر طلبه الى عدم الاستمرار في شرح ما يريد بالتلفون...

وسكت وجاءه صوته على التلفون يقول:

- انك اقتربت كثيرا مما أفكر فيه، ولكن السؤال الذي أطرحه عليك لتفكر فيه حتى أراك في المساء هو: لماذا النصف... لماذا لا نأخذ الكل؟

ثم سمعه يقول له:

- لا تتحدث مع مخلوق حتى أراك هذا المساء.(28)

أما النموذج الثاني، فهو أيضا حوار هاتفي يقول فيه عبد الناصر لهيكل:

- «هل عرفت بما حدث لسلوين لويد في البحرين؟ الرجل سيء الحظ بغير شك، قابلته في البحرين مظاهرات صاخبة ضد السياسة البريطانية وقذفته المظاهرات بالحجارة واضطر الى الهرب ليحتمي في بيت من البيوت حتى انقذته قوات الأمن».(29)

النموذج الثالث والأخير حول مرض عبد الناصر، حيث يذكر هيكل أنه في احدى جلساته مع الرئيس، أفضى له الرئيس بحقيقة حالته الصحية، وأبلغه انه يريد الاعتزال لأن أوضاع البلاد تحتاج الى جهود خارقة وهو نفسه يعاني من حالة صحية بالغة الحرج، ولذلك فانه يرى أن التخلص من قيود العمل الرسمي قد يكون مسألة ملحة، وان كان يشعر أن التخلي في هذا الوقت عن المسؤولية الكبرى، ستكون له مضاعفاته البالغة...(30)

---

(28) محمد حسنين هيكل، قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق - ص 118.

(29) المصدر السابق - ص 61.

(30) محمد باقر شري، «عبد الناصر مات أو اميت»، الحلقة الرابعة، مجلة «الشراع» اللبنانية، السنة الخامسة، العدد 251، 5جانفي 1987.

هذه النماذج الثلاثة لعمليات تدفق المعلومات من عبد الناصر الى هيكل، تبين أنها من النوع الخاص جدا الذي لا يمكن اعطاؤه لصحفي مهما بلغ حجمه، وانما لا تقدم الا لسياسي كبير مقرب جدا للرئيس ومحل ثقته وله دور كبير في اتخاذ القرار السياسي... ويبدو ان عبد الناصر هنا لم يتوجه الى هيكل الصحفي، وانما الى هيكل السياسي الصديق المقرب تحديدا.

ورغم أن البعض اتهم هيكل بأن «الأهرام» قد ارتكب «خطيئة» مروعة بعد عودة عبد الناصر من الاستشفاء في «تشخالطوبو» وعندما قدمت معلومات مجانية وبالبنط العريض حول الحالة الصحية للرئيس، والتي تقتضي ان يعود كل عام على وجه التحديد في شهر أغسطس (أوت) الى الاتحاد السوفياتي للتداوي والا فانه سوف يصاب بمضاعفات صحية خطيرة، وكان ذلك «هدية» لا تقدر بثمن للجهات التي يهمها متابعة الحالة الصحية للرئيس واستغلال نقاط الضعف فيها ولأن تمكنها من القضاء عليه سوف يكون تحقيقا مثاليا لهدفها «الاستراتيجي» المزمن بضرورة التخلص منه[31]... رغم هذه التهم فانه لا يمكن تأكيد ان هيكل أساء استخدام المعلومات الخاصة التي قدمها له عبد الناصر ضد رئيسه، بل على العكس يبدو انه استغلها احسن استغلال خاصة في مقاله الاسبوعي الشهير «بصراحة»، وقد ذهب كثيرون الى أن أغلب أفكار هيكل كانت مستوحاة من نقاشاته ولقاءاته بعبد الناصر، لكن سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات[32]، يقول: «أن الرئيس

(31) المرجع السابق.

(32) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

كان يقرأ المقال مثله مثل أي قارىء، فقط يتميز بانه على اتصال يومي معه، وهيكل يعرف جيدا توجه الاحداث، وكيف تسير الامور، وربما لا تتجاوز المقالات التي استشار فيها عبد الناصر أصابع اليد ومن ضمنها «زوار الفجر»...[33]».

استنتاجا، يمكن القول: ان جمال عبد الناصر، كان واعيا بطبيعة المعلومات التي يقدمها لهيكل وما اذا كانت تمس من أمن البلد أم لا، وكان هيكل محلا لثقته، وكان يدرك الى اين ستذهب هذه المعلومات في النهاية، فهي ستعود عليه بالافادة سواء في نشرها في «الأهرام» في ركن «بصراحة» أو تعود لعبد الناصر في شكل آراء دقيقة ومنظمة حيث يحتاج هيكل الى معلومات الرئيس ليتمكن من صياغتها بدقة.

4 - المعلومات «سلاح» هيكل

بعد خروج هيكل من هرم السلطة في أواخر 1974، تعرض الى حملة اعلامية عنيفة قادها مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصي، وكل الصحافيين والكتاب الموالين للرئيس أنور السادات.

وتركز الهجوم عليه بشدة، ووجهت اليه تهم عديدة منها انه أزاح كل منافسيه بسلطة الموقع، ومنها العمالة والجوسسة لصالح دول أجنبية، ومنها

(33) «زوار الفجر» مقال شهير لهيكل، ورد في «بصراحة» في «أهرام» الجمعة، هاجم فيه «دولة المخابرات» و«مراكز القوى» وانتقادها بشدة.

تزوير التاريخ...

وهذه نماذج من الحملة التي شنت ضد محمد حسنين هيكل، كتب عباس الأسواني في جريدة «تعاون الطلبة» بتاريخ 25 مايو 1975 مقالا بعنوان «يزور التاريخ بوقاحة، ويدعي كتابته بصراحة».[34]

أما أعنف حملة ضد هيكل فقد تمت بعد طبعه ونشره لكتاب «خريف الغضب» حيث وجهت له اتهامات كثيرة ومتنوعة، فالدكتور فؤاد زكريا[35]، كتب: «ان المرء لا يملك الا أن يشعر بوجود سر خفي في تلك المقدرة الهائلة على جمع المعلومات واختزانها واعادة استخدامها واستثمارها في الوقت المناسب.

ولقد سخر هيكل من الضباط الذين قلبوا بيته الريفي، وقت اعتقاله الأخير (في سبتمبر 1981)، بحثا عن اوراقه السياسية، مؤكدا لهم ان الرئيس ذاته يعلم انه (أي هيكل) لا يحتفظ بشيء من أوراقه في بيته وانه يبعث بها اولا بأول الى خارج البلاد... ولكن يظل السؤال قائما: هل يستطيع فرد واحد. مهما كان ذكاؤه وتشعب قدراته، أن يجمع كل هذه المعلومات، ويرتبها

(34) حسنين كروم، عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين، دار المأمون للطباعة، الطبعة الاولى، أكتوبر 1975، ص 9.

(35) د. فؤاد زكرياء، كم عمر الغضب؟ هيكل وازمة العقل العربي، دار القاهرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة 1984، ص 17 - 18، بعد دراسة الكتاب بتمعن توضح للباحث انه مجرد رد فعل عنيف ضد هيكل ابتعد كثيرا عن الموضوعية والعلمية، وسقط في الحماس اللفظي أكثر من التزامه بالتحليل والتدقيق، ورغم ذلك فنحن لا ننكر كفاءة الدكتور فؤاد زكريا الاكاديمية، باعتباره مدرسا لمادة الفلسفة ومفكرا بارزا ومحترما.

بهذه الدقة ويبعث بها أولا بأول الى الخارج؟ لست أدري ولكنني كلما أمعنت الفكر في هذه الظاهرة بدا لي أنها أعقد وأوسع نطاقا من امكانات اي فرد، بل من امكانات اي جهاز في دولة متخلفة وخيل الي اننا نجد انفسنا هنا على مستوى يكاد يصل الى مستوى اجهزة المخابرات في الدول الكبرى».

وتبلغ الحملة ذروتها حينما يكتب الدكتور فؤاد زكريا: «ان تاريخ الاستاذ محمد حسنين هيكل صفحة سوداء في تاريخ مصر، لقد اتهمه الرئيس محمد نجيب بالخيانة لحساب دولة أجنبية، وكتب ذلك في كتابه «كلمتي للتاريخ» كما اتهمه «مايلز كوبلاند» في كتابه «بغير عباءة أو خنجر» بانه كان عميلا مخلصا، كما اتهمه «خرشوف» بنفس التهمة وذكر له قيمة المبالغ والشيكات التي تسلمها من وكالات المخابرات المركزية، وكان ذلك عندما سافر سيده (يقصد عبد الناصر) الى روسيا واصطحبه معه في هذه السفرة، فلما واجهه «نيكيتا خرشوف» بهذه الفضيحة المرة اضطر أن يسافر اليوم التالي عائدا الى مصر».(36)

ويضيف الدكتور فؤاد زكريا: «ولم تكن البراعة الصحفية وحدها ولا الذكاء الشخصي وحده، هما الذان أتاحا له هذه الفرصة، بل ان انعدام الديمقراطية وسيادة جو التكتم والقرار الفردي المفاجىء، جعل من الضرور ان يضيق نطاق المطلعين على الاسرار الى أبعد حد، وهكذا اطلع هيكل على

(36) المرجع السابق - ص ص 18 - 19 ويجب ان نلاحظ في هذا الموضع، أننا لسنا مهتمين بصحة او عدم صحة هذه التهم، فاثباتها او نفيها يحتاج بدوره الى «جهاز امني» متطور، فقط يمكن ان نرصد توقيت الاتهامات، فهي جاءت مباشرة بعد نجاح كتاب هيكل «خريف الغضب».

ما لم يكن متاحا للآخرين، أو مطروحا على الناس وهداه ذكاؤه الى أن يسجل اولا بأول كل ما هو «خفي» و«ممنوع» ومنذ ان تبين له ان الناس يتلهفون على قراءة الاسرار التي لا يعرفها أحد صباح يوم الجمعة، ادرك هيكل اهمية «سلاح الارشيف» من حيث هو مصدر قوة وحماية له في نفس الوقت».(37)

لم يفاجىء هيكل بهذه الحملة القوية ضده، اذ يظهر انه استعد لها مبكرا، منذ ان كان حريصا على جمع كل الوثائق التي يحصل عليها، والمحافظة عليها في مكان أمين، فهو يعترف بذلك قائلا: «... انا لم ألق ورقة... وأنا مستعد ان أقول: انه لم تمر علي وثيقة دون ان احصل على اذن بأخذ صورة منها... وكان معروفا أنني مؤتمن»(38)..

وبعد ان شن خصومه حملتهم الاعلامية قرر ان يرد عليهم مستخدما في رده سلاحا جبارا أسمه «أرشيف المعلومات» رد على الذين هاجموا عبد الناصر والناصرية بمجموعة مقالات، جمعت في كتاب سماه «لمصر لا لعبد الناصر»(39)، ورد على الرئيس السادات الذي سجنه بكتابه الشهير «خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر السادات»(40) وهو كتاب نموذجي في مواجهة الخصم، ونجح الكتاب وبيع منه أكثر من مليون ونصف المليون نسخة

---

(37) المرجع السابق - ص 17.

(38) من حوار أجراه صلاح منتصر مع هيكل، مجلة «أكتوبر» المصرية، العدد 608، السنة الثانية عشر، 19 جوان 1988.

(39) مصدر سابق.

(40) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة السادسة، بيروت 1983.

باكثر من لغة.[41]

ورد على مصطفى أمين بكتاب سماه «هيكل بين الصحافة والسياسة»[42] أعتبر ايضا كتابا نموذجا في مواجهة الخصم... في هذه الكتب الثلاثة استغل هيكل أرشيفه للمعلومات استغلالا محكما جعله يتفوق على خصومه خاصة بما تحمله كتبه من وثائق صريحة.

ان تجربة هيكل مع المعلومات، تميزت بخصوصية دقيقة، فالمعلومات هي التي جعلت هيكل يتصدر مكانة كبيرة عند الرئيس جمال عبد الناصر وهي التي جعلته يصل الى قمة نجاحه المهني والسياسي، ومكنته من الوصول الى أسرار الدولة وتخزينها الى وقت الحاجة، ثم مكنته من الدفاع عن نفسه، والدفاع عن العهد الناصري وكان دفاعا متميزا بالتفوق والقدرة الفائقة على اسكات الخصم، واستخدام سلاح المعلومات - الوثائق - الارشيف استخداما ماهرا.

---

(41) صلاح منتصر، مجلة «اكتوبر» المصرية عدد 606، السنة الثانية عشر، 5 جوان 1988.

(42) محمد حسنين هيكل، «بين الصحافة والسياسة» مصدر سابق.

الفصل الخامس

هيكل المؤرخ

هذا الفصل يطرح اشكالية، هل أن محمد حسنين هيكل مؤرخ العهد الناصري؟ هل تتوفر فيه شروط المؤرخ؟ خاصة وان كثيرا من قرائه والمعجبين بما يكتب لا يتورعون في التأكيد عن أهليته كمؤرخ، وربما أضافت كتبه الاخيرة التي صدرت تحت عنوان «حرب الثلاثين سنة» وتتضمن الى حد الآن كتب «قصة السويس»، «سنوات الغليان»، «الانفجار» بعدا جديا في مدى تأريخية هيكل للاحداث... حيث تميزت هذه الكتب، بجمعها مستوى اكاديميا محترما، ومستوى صحفيا شيقا مبدعا... وربما ذلك من الاسباب التي دفعت بأحد الجامعات الغربية الى منحه درجة الدكتوراه الفخرية في التاريخ المعاصر...

1 - المـــــؤرخ

تعنى كلمة التاريخ العربية لغة تحديد الزمن، من مادة «أرخ يؤرخ» التي ترجع في اصلها الى كلمة «ارخ» او «ورخ» التي تعنى الشهير في اللغات العربية القديمة (السامية) ومنها اللغة الاكدية (البابلية والاشورية في حضارة وادي الرافدين) وعرف الاله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم «ورخ».

وفي اللغات الاوروبية يطلق على التاريخ كلمة History التي كان على ما يرجح اول من أطلقها على التاريخ المؤرخ اليوناني الشهير «هيرودوتس» وقصد منها التحري والبحث في أحداث الماضي وتسجيلها.

أما ابن خلدون فقد عرف التأريخ في مقدمته الشهيرة على انه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص، أي تقريبا بالمعنى الذي استعمله فيه «هيرودوتس».[1]

وقد وضعت جملة تعاريف ومفاهيم للتاريخ أقدمها الذي ظل في الاستعمال الى أواخر القرن الثامن عشر، ان التاريخ سجل الماضي او سجل الاحداث الماضية، على ان مفهوم التاريخ في ضوء نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث أتسع من بعد ذلك، مكتسبا مدلولات حضارية وتطويرية بحيث أصبح في مفهومه الحديث دراسة أحوال المجتمعات الماضية، أي دراسة تطور الانسان وما انتجه من منجزات حضارية وما تركته هذه المنجزات من تأثيرات في تطور الحضارة المعاصرة.[2]

أما المعنى الاصطلاحي، فهو فرع من فروع المعارف البشرية قوامه التحري والتحقيق اي تحري الحقائق الماضية التي يصل اليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو منهج البحث التاريخي.[3]

ولعل احسن ما يوصف به التاريخ بصفته علما انه من العلوم الوثائقية (Documentary Sciences)، أي العلوم التي تعتمد على الوثائق التي خلفها الماضي سواء كانت بقايا مادية ام مدونات تاريخية وهذه هي مصادره ومادته الاولى.[4]

---

(1) طه باقر والدكتور عبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، مرجع سابق - ص 7.

(2) المرجع السابق - ص 8.

3) المرجع السابق - ص 9.

(4) المرجع السابق - ص 12.

اننا نحاول، من خلال هذه التعريفات للتاريخ، ان نقوم بمقاربة لمدى تأريخية كتابات هيكل.

ويبدو ان فكرة كتابة «تاريخ العهد الناصري» كانت قديمة عند هيكل، فهو يقول لعبد الناصر ذات مرة «ونحن نعيش أزمة من الازمات الكبرى التي كان يعبرها واحدة بعد واحدة»:

- هل ستتاح لنا الفرصة يوما لكي نجلس ونكتب معا قصة ما حدث وحقيقته... ربما عندما تصل الى سن الشيخوخة ولا تعود هناك مهام او مشاكل، ستتاح لنا هذه الفرصة، نجلس معا لنكتب القصة كلها.

وقال هو ببساطة:

- سوف تكتبها وحدك... فما أظن ان العمر سيصل بي الى مرحلة الشيخوخة!

وقلت له- لماذا تقول ذلك؟

وكان رده:

- لنكن عمليين... الذي يعيش نوع الحياة التي أعيشها ليس له أن ينتظر الشيخوخة والا كان «يخرف».(5)

كان هذا منطلق هيكل في عملية التاريخ، أو ما سماه «قصة ما حدث» ويحاول هيكل ان يضيف مسحة من المصداقية والعلمية على عمله فيقول «اذا أردت أن أكتب فلا ينبغي أن يكون ما أكتبه في مجال الدفاع عن جمال عبد الناصر، فهو لا يحتاج مني - او من غيري - الى دفاع عنه، ثم انني

(5) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق - ص ص 32 - 33.

أريد، اذا كتبت أن أضع أمام الناس صورة متكاملة للتجربة كلها، الضوء والظل، النجاح والفشل، الاصيل والدخيل في كل ما جرى وكان».[6]

وفي مكان آخر، يؤكد مرة اخرى على حرصه الدائم على توثيق عمله، وجمع اقصى ما يمكن من الوثائق له، «ولعل مشكلتي مع بعض الناس او مشكلة بعض الناس معي انني لا اعتمد على الذاكرة ولا أغطي مساحة الفراغات فيها بما ينسجه الخيال او التمني، فأنا أعرف كم هي ضعيفة ذاكرة البشر أمام الايام وأمام الاهواء، وهكذا فانني كنت طول عمري أسجل وأكتب واحتفظ بكل ورقة أشعر أن ملف التاريخ الذي عشته قد يحتاجها في يوم من الايام!».[7]

والمشاع «لدى العامة» في الوسط الصحفي والسياسي المصري، أن هيكل هو المؤرخ الأساسي للعهد الناصري، وهذه بعض الامثلة من الشهادات التي تؤكد هذا المعنى.

فمحمد فائق، وزير الاعلام ووزير الخارجية في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات[8] يقول «بكل تأكيد، هو أحسن من يكتب عن فكر عبد الناصر، لانه كان قريبا من من هذا الفكر ومخلصا له، ومن ثمة، احسن من يمكن ان يؤرخ للفترة الناصرية.

---

(6) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي العام الاشتراكي، مصدر سابق - ص 295.

(7) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 15.

(8) محمد فائق، هو اليوم أمين عام المنظمة العربية لحقوق الانسان، من مقابلة خاصة اجراها معه الباحث عن هيكل في القاهرة، اوت 1991.

أما مجدي حسنين أمين صندوق الضباط الاحرار، ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب عبد الناصر، فيقول: «هي كتب علمية ممتازة، وهو أحسن من كتب عن عبد الناصر، لقد تفرغ لكتابتها، فخرجت كتبا محترمة مصريا وعالميا... نعم هو مؤرخ الناصرية، وبذل مجهودا كبيرا من اجل ذلك».[9]

ويوافقهما، ضياء الدين داود، وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فى عهد عبد الناصر، حينما يقول: «طبعا، لا احد يمكنه الاختلاف عن ان هيكل هو مؤرخ للعهد الناصري، فكفاءة هيكل الصحفية، كفاءة نادرة، فهو قارئ جيد ومستوعب متميز وباحث عميق، يعمل بعلمية كبيرة جدا فى تحضير مقالاته و كتابة آرائه.

كذلك له موهبة حفظ الوثائق، وبدأ يجهز لذلك مبكرا، والأهم من هذا، هو أن شغله الشاغل يتمثل في الصحافة، فحياته هي الصحافة والكتابة، وبالتالي يعطيه هذا التركيز كفاءة يتفوق بها على الآخرين من الناحية التوثيقية واللغة والتحرير والحجة والتزامه فيها بتوجهاته الفكرية».[10]

ان هذه الشهادات تؤكد جميعا على تاريخية كتب محمد حسنين هيكل، لكننا نعلم أن خطاب «العامة» يختلف عن خطاب «الخاصة» فالمستوى العلمي الاكاديمي يحدد منهجية واضحة في العمل التاريخي.

---

(9) مجدي حسنين، مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

(10) ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

2 - نفي المؤرخ

يتألف منهج البحث التاريخي من خطوات أو مراحل تتبع أحداها الاخرى في تسلسل منطقي تحتمه طبيعة هذا المنهج، كما أنها تتداخل بعضها ببعض.

- المرحلة الأولى: جمع الأصول.

... وهي بحكم منطق البحث التاريخي تتصدر المراحل والخطوات الأخرى لأن التاريخ من العلوم الوثائقية، والوثائق هي المادة، الاساسية التي يبني عليها الباحث التاريخي بحثه، وخير ما يوجز ذلك المقولة الشهيرة «لا تاريخ بلا وثائق».(11)

- المرحلة الثانية: النقد التاريخي

وهي نقد المصادر التي جمعها... ويمكن تأكيد القول أن مرحلة النقد التاريخي هي الأساس العلمي الذي يقوم عليه التاريخ العلمي الصحيح... وينقسم النقد الى:

أولا: النقد الخارجي ويدور بالدرجة الأول على التوثق من صحة المصادر والوثائق التي جمعت بتمحيصها والتأكد من أصالتها...

ثانيا: النقد الباطني وهو يدور على فهم نصوص الوثائق لاثبات صحة المعلومات الواردة فيها وتفسيرها واستخلاص الحقائق التاريخية منها... وتقسم هذه المرحلة بدورها الى خطوتين:

---

(11) طه باقر والدكتور عبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، مرجع سابق - ص 80.

* النقد الباطني الايجابي: ويدور بالدرجة الأولى على فهم لغة الوثائق ومعانيها وأساليبها ومصطلحاتها والوقوف على المعاني الحقيقية التي أرادها مؤلف الوثيقة...

* النقد الباطني السلبي: وينتقل الباحث من فهم المعاني اللغوية للنص الى تدقيق وتمحيص صحة المعلومات الواردة فيها[12]...

- المرحلة الثالثة والأخيرة: مرحلة التركيب والتأليف.

بعد أن يطبق الباحث القواعد المقررة في النقد الخارجي من بعد جمع مصادره تتجمع لديه حقائق موثوقة بقدر استطاعته وحسب اجتهاده عن الموضوع التاريخي الذي يريد أن يكتب عنه...

فيؤلف أو يركب من تلك الحقائق والمعلومات المتفرقة المبعثرة موضوع بحث متجانس ومفهوم[13]...

هذه المراحل الثلاث، لو طبقناها على كتابات هيكل فسنلاحظ:

أولا: وجود ثغرة كبيرة في المرحلة الأولى، مرحلة جمع المصادر، حيث يتجاهل هيكل عمدا بعض المصادر والحقائق ولا يوردها في كتبه، مثلما حدث مع «خريف الغضب» عندما يقول: «ومع ذلك فان هذا الكتاب - اعترف بأمانة - لا يروي صورة الحقيقة كاملة عن هذا العهد، وأمانة أيضا فاني لا أرى أن الظروف تسمح حتى ألآن برواية الحقيقة كلها، وان كان ذلك

---

(12) المرجع السابق - ص ص 79 - 80.

(13) المصدر السابق - ص ص 80 - 81.

ضروريا ذات يوم، ان ذلك العهد احدث على مستوى الامة كلها آثارا سوف تتكشف عواقبها يوما بعد يوم».(14)

وتزداد هذه الصراحة وضوحا، عندما يعلق على كتابه «سنوات الغليان» قائلا: «... لانك لابد أن تلاحظ أنني حاولت ان اجعل الكتاب يقرأ عربيا، ذلك لانني استطيع أن أقول كل الحقيقة ثم لا ينشر الكتاب في اي مكان، ولذا قفزت على أشياء، ولم أقل كل شيء، ولو لم أفعل لكانت النتيجة هي منع الكتاب في الوطن العربي كله، ولعلي ألفت الانتباه الى ان ثلثي الكتاب تقريبا قد نشر في الاردن كما دخل الكتاب السعودية على الاقل في «القبس» (صحيفة كويتية) التي كانت تبيع حوالي 35 الف نسخة في السعودية، وفيما بعد منع الكتاب ككتاب في عدد كبير من البلدان العربية، وان كان يدخل اليها مهربا بكميات كبيرة للغاية، لكنه رسميا ممنوع، اذا، هناك جزء من الموضوع لم ألجأ الى التفصيل فيه، بمعنى انني لم أر أنه من المفيد أن أكتب كل شيء ثم لا يصل الكتاب الى أحد».(15)

ومن هنا، يمكن أن نؤكد أنه ليس هناك مؤرخ «يتجاهل حقائق» حتى يضمن لكتابه الرواج، وتفادي الرقابة.

ويمكن أن نضيف، رأي سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة، الذي قال: «بعد أن قرأت كتب هيكل،

---

(14) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات، مصدر سابق - ص 14.

(15) محمد حسنين هيكل، من مشاركته في ندوة حول «سنوات الغليان»، مجلة «المستقبل العربي» عدد 128، السنة الثانية عشر، أكتوبر 1989، تصدر عن «مركز دراسات الوحدة العربية».

فاني ألاحظ أن هناك أشياء غض عنها الطرف، واخرى تجاوزها، واخرى غير من حقيقتها، اضافة الى اشياء صحيحة ذكرها... وفي حواراتي مع هيكل حول بعض المسائل، اتضح أن بعض الاحداث لا يعرف خلفياتها فيجتهد من عنده دون معرفتها».(16)

كما ينفي سامي شرف - على عكس الآخرين - ان يكون هيكل مؤرخ الناصرية.(17)

ثانيا: وجود ثغرة أخرى لا تقل أهمية في مرحلة النقد التاريخي، بفرعيه النقد الخارجي والداخلي معا، فمشكلة محمد حسنين هيكل هنا، أنه يواجه «عائق ابستيمولوجي»، يتمثل في انعدام مسافة موضوعية بين الانا - الباحث، والآخر - موضوع البحث، فهيكل يتعرض كثيرا لمواقفه، ولدوره في الأحداث السياسية التي جرت، ومهما بلغ تجرد الانسان من عواطفه، وادعائه الحياد والموضوعية، فان «وعيه»، او حتى «لا وعيه»، سيساهم بشكل او بآخر في تقديم صورة ايجابية حول ذاته، وسلبية حول خصومه، وهو ما دفع الدكتور فؤاد زكريا الى القول: «انه استثنى نفسه تماما من اللوم، وصب اتهاماته على الغير، وكانه كان طوال الوقت مشاهدا محايدا، أو ناصحا أمينا لا يستمع اليه أحد.

ولقد بحثت طوال الصفحات التي قاربت الستمائة في كتاب هيكل (خريف الغضب)، عن سطر واحد من النقد الذاتي فلم أجده...».(18)

---

(16) سامي شرف، مقابلة خاصة أجراها الباحث عن هيكل، مرجع سابق.

(17) المرجع السابق.

(18) الدكتور فؤاد زكرياء، كم عمر الغضب؟ هيكل وازمة العقل العربي، مرجع سابق - ص 15.

ويعلق سامي شرف ايضا بقوله «ان التاريخ لا يكتب في حياة الاشخاص، وانما يكتب بعد نهاية الاحداث، وبعد مدة طويلة، 50 سنة مثلا... فالتاريخ يكتبه آخرون محايدون».[19]

هذه ثغرة اساسية في المرحلة الثانية من منهجية البحث التاريخي.

ثالثا: ان مرحلة التركيب والتأليف، ستصبح ملغاة مع امكانية هيكل - المؤرخ، ذلك أن ضعف المراحل السابقة وعدم وصولها الى المستوى الاكاديمي العلمي، يلغي آليا هذه المرحلة.

واذا كان الاكاديميون يقولون: «ان أحسن تاريخ يكتب للناس هو ذلك التاريخ الذي اعتمد على الطرق العلمية من البحث التاريخي في جمع مادته وعلى الآدب والفن في عرض تلك المادة»[20]، فان هذا القول، ينطبق خاصة في جزئه الثاني بشكل كبير على كتابات هيكل الأخيرة (قصة السويس، سنوات الغليان، الانفجار).حيث تميزت هذه الكتابات بدقة التوثيق والمعلومات، وبجمال اللغة والعرض.

ان محمد حسنين هيكل، كان ذكيا في هذه المسألة، حيث تفطن لها مبكرا، عندما نفى عن نفسه قطعيا صفة المؤرخ، وقال عن نفسه: «أبعد الاشياء عن مقاصدي أن أجعل من هذا الكتاب (سنوات الغليات) محاولة ل«كتابة التاريخ»، والحقيقة، انه محاولة ل«قراءته»، وهذا معنى كررته كثيرا في وصف ما أكتبه، ومازلت متمسكا به.

---

(19) سامي شرف، مرجع سابق.

(20) طه باقر والدكتور عبد العزيز حميد، طرق الباحث العلمي في التاريخ والاثار، مرجع سابق - ص 14.

وليس من باب التواضع أن أقول أن «كتابة التاريخ» ليست صناعتي ولا أنا مدعيها، وليس من باب التفاخر أن أقول ان «قراءة التاريخ» حقي لانها حق كل مهتم بالشؤون العامة.

ولعلي لا أتزيد اذا قلت ان «قراءة التاريخ» كانت اصعب بالنسبة لي لاني عشت وقائعه، وكان علي لكي أقرأه بأمانة ان أضع للاختبار كثيرا مما كنت أظن انني أعلمه، وأن أطرح لمراجعة كثيرا مما كنت أتوهم أنني أفهمه».[21]

ويقول عن نفس الكتاب: «... لاننا يجب ان نتذكر ان هذا الكتاب ليس رسالة دكتوراه حتى أناقش فيه القضايا من خلال جزئية هنا واخرى هناك، وانما أنا أكتب كتابا هو عبارة عن قراءة صحافية للتاريخ من المفروض أن تصل الى أكبر عدد من القراء، وأعتقد ان الكتاب حاول تحقيق هذا الهدف، فخطابي ليس موجها اذا الى أكاديميين وانما الى عامة القراء».[22]

ان كتابات هيكل، حسب اعتقاده، هي قراءة صحفية للتاريخ، وليست عملية تأريخ، وهنا ينجح الرجل في الابتعاد وتجنب اي مساءلة أكاديمية تاريخية منهجية.

ولكن يجب أن نلاحظ أيضا، أن هذه القراءات الصحفية للتاريخ، ليست قراءات عادية، قام بمثلها زملاء له في الصحافة.

---

(21) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق - ص ص 12 - 13.

(22) مجلة «المستقبل العربي» عدد 128، مرجع سابق.

ان كتاباته متميزة الى حد - لا نبالغ فيه كثيرا اذا قلنا - انها مدرسة خاصة في كتابة التاريخ والصحافة معا.

وهي تأصيل من نوع جديد، لا يرتقي الى المستوى الأكاديمي البحت، ولا ينزل مطلقا الى المستوى الصحفي العادي...

ان كتب هيكل، قد تتحول ذات يوم، الى وثائق تاريخية، يعالجها مؤرخون «محايدون» ولكنهم سيصطدمون في هذه المرحلة، بوثائق متكاملة، موثقة، جاهزة، قد لا يجدون فيها ثغرات كبيرة للنقد الداخلي أو الخارجي معا.

القسم الثاني

هيكل سياسيا

أول مرة يقابل فيها هيكل «الباكباشي» جمال عبد الناصر، تمت في «الفالوجا»، سنة 1948، عندما كان عبد الناصر محاصرا بالقوات الاسرائيلية، ثم جاءه مرة ثانية الى مكتبه في «آخر ساعة» يطلب منه كتاب «ايران فوق بركان»، وقابله مرة أخرى يوم حريق القاهرة في 26 جانفي 1952 في الشارع...

الفصل الأول

هيكل - العهد الناصري : الارتباط

ان الحديث عن هيكل السياسي، يؤدي مباشرة الى الحديث عن علاقة محمد حسنين هيكل الصحفي بجمال عبد الناصر قائد الثورة ثم رئيس الجمهورية.

هذه العلاقة، هي التي دفعت بالصحفي الى «قمة العمل السياسي» وجعلته في دائرة صانع القرار... وهي التي جعلت هيكل جزءا هاما من تاريخ المنطقة... هذه العلاقة بدأت قبل ثورة 23 جويلية 1952.

1 - هيكل - عبد الناصر :
بداية العلاقة

أول مرة يقابل فيها هيكل «الباكباشي» جمال عبد الناصر، تمت في «الفالوجا»، سنة 1948، عندما كان عبد الناصر محاصرا بالقوات الاسرائيلية، ثم جاءه مرة ثانية الى مكتبه في «آخر ساعة» يطلب منه كتاب «ايران فوق بركان»[1]، وقابله مرة أخرى يوم حريق القاهرة في 26 جانفي 1952 في الشارع، وجاءه مرة اخرى مع صلاح سالم بسبب حكاية

(1) أول كتاب كتبه هيكل، كان يدور حول تأميم البترول الايراني في عهد مصدق.

«الهويات» التي كان الاسرائيليون يعطونها لبعض عرب سيناء.(2)

لكن أهم لقاء، حدد مستقبل العلاقة بين الضابط والصحفي، حدث مصادفة يوم 18 جويلية 1952، عندما كان هيكل في زيارة للواء محمد نجيب في بيته، وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا وبقي بعدهما بضع دقائق، وعند خروجه وجد الاثنين مرة اخرى وتواصل الحديث، ودار بينهم نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه، وتحمس أثناء المناقشة وقال لجمال عبد الناصر ما معناه، «أن الجيش عاجز عن رد كرامته ازاء عدوان الملك عليه»، وتساءل جمال عبد الناصر عن الدور الذي يمكن ان يلعبه الجيش، وهو يعلم أن أي حركة يقوم بها، ستتدخل على اثرها بريطانيا ويكرر الملك فاروق تمثيل دور الخديوي توفيق ويعيش الجيش مأساة جديدة كتلك التي عاشها عرابي.

ورد هيكل، مستبعدا تدخل الأنجليز موضحا بأنهم لا يملكون وسائل التدخل، واهتم عبد الناصر بما قاله، وسأله عن الأسباب التي دفعته الى هذا التحليل، وقام هيكل بشرح وجهة نظره مفصلة.

وبدأ جمال عبد الناصر يسأله بالحاح في تفاصيل ما قال وشعر أن اهتمامه به اكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش وسأله هل يستطيعان أن يواصلا الحديث لأن الموضوع يهمه، واقترح عليه ان يذهبا الى مكتبه في «أخبار اليوم» وكان تعليقه على الفور: «لا ... ليس في

---

(2) من حديث لهيكل، حاوره فيه صلاح منتصر، مجلة «اكتوبر» المصرية. عدد 606، السنة الثانية عشر. 5 جوان 1988، الحديث نشر على حلقات.

«أخباراليوم»... لماذا لا نذهب الى بيتك؟» وذهبا الى بيت هيكل... وتحدثا طويلا... واتفقا على اللقاء مرة أخرى.[3]

هذه رواية هيكل لبداية العلاقة بينه وبين جمال عبد الناصر، أما اللواء محمد نجيب[4] فهو يروي الحادثة كالتالي: «يوم 18 جويلية، اي قبل الحركة بخمسة أيام كنا نعيش أزمة نادي الضباط واستدعاني وزير الداخلية محمد هاشم باشا زوج ابنة حسين سري رئيس الوزراء، فتوجهت الى بيته حيث سألني عن سبب التذمر. وهذه الواقعة أشرت اليها في المذكرات، وكان هيكل يومها مخبرا في مجلة «آخر ساعة»، وجاء يسألني مادار في المقابلة وكان عندي الباكباشي محمد جلال ندى وبالصدفة جاء عبد الناصر فأخبره جلال ندى انه رفع قضية ضد الحكومة بسبب اقفالها نادي الضباط، وأنه دفع رسوم الدعوى فأجابه عبد الناصر لماذا تدفع وحدك الرسوم؟ نحن جميعا متكفلون بها، ومد يده في جيبه ليخرج محفظته فقال له «الباكباشي» ندى «الحكاية لا تستحق، كل الرسوم لم تتجاز الجنيه»، ويبدو ان هيكل بحاسته الصحفية أدرك أن عبد الناصر احدى الشخصيات الهامة بين الضباط، وكنت أعلم حب هيكل للتعرف على الضباط، فلما طلب مني ان اعرفه بعبد الناصر قدمته اليه وكان ذلك أول لقاء بينهما».[5]

---

(3) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص ص 49 50 - 51

(4) عينته الثورة واجهة لها، في منصب رئيس الوزراء، ثم رئيس الجمهورية ثم عزل وسجن في احداث ازمة مارس 1954.

(5) نقلا عن، حسنين كروم، عبد الناصر بين هيكل ومصطفى امين، مرجع سابق، ص ص 70 - 71

في حين تختلف رواية عبد اللطيف بغدادي (عضو مجلس قيادة الثورة) الذي يقول في مذكراته: «ذهب جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر اليه (محمد نجيب) في منزله... ولكنهما لم يجدا فرصة للتحدث اليه او مفاتحته في الامر لانهما كانا قد وجدا عنده بالمنزل بعض الضيوف ومنهم «محمد حسنين هيكل»، المحرر بدار «أخبار اليوم»... وقد دار الحديث اثناء الزيارة حول قرار مجلس ادارة نادي الضباط. واستفهم هيكل منهما عن مدى رد فعل هذا القرار داخل الجيش، وما هو التصرف الذي ينوي ضباط الجيش القيام به ردا على هذا التصرف من الملك، ولكنهما اوضحا له انهما لا يعطيان مثل هذه الامور أهمية، وانهما سينصرفان للذهاب الىالسينما، وانصرفا دون التمكن من مفاتحة محمد نجيب في الموضوع».(6)

وفي كل الحالات، فان هيكل التقى حقيقة بعبد الناصر في يوم 18 جويلية 1952، ببيت محمد نجيب، وساعده هذا اللقاء في أن يلعب دورا خاصا في يوم 23 جويلية، عندما اندلعت ثورة الجيش، حيث اهتم به عبد الناصر، وقربه منه لحاجته الى معلوماته وعلاقاته الكثيرة.

ويروي هيكل ما حدث له يوم الثورة قائلا: «في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الاربعاء 23 يوليو (جويلية) كنت في مقر هيئة أركان حرب الجيش وكان قد أصبح مقر القيادة لحركة جديدة قامت بها مجموعة من الضباط الشبان للاستيلاء على السلطة فيه. وباستيلائهم على السلطة فيه فانهم استولوا على السلطة في الوطن كله.

(6) عبد اللطيف بغدادي، مذكرات، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1977، ص 55.

بدأوا تحركهم في منتصف الليل، وبعد ساعتين اثنتين كانوا قد حققوا ما أرادوه. وبعد دقائق كنت في وسطهم».(7)

بعد ذلك، اتصل هيكل هاتفيا «بأخبار اليوم»، وقال له عامل التلفون، أن مصطفى أمين صاحب الدار يبحث عنك في كل مكان... فهل تريد ان أوصلك به، ولم ينتظر منه ردا، وسمع صوت مصطفى أمين معه على الخط، يسأله «أين أنت؟»، فقال له «لا يهم الآن» فقال له مصطفى أمين «هل تعرف ان ضباطا في الجيش تحركوا من ثكناتهم ونزلوا الى الشارع؟» وأجاب هيكل «انني اعرف»، فسأله «كيف؟» فرد ببساطة «لانني هنا في مقر قيادتهم»، وساد صمت على الناحية الاخرى من الخط ثم تمالك مصطفى أمين نفسه وراح يسأله أسئلة كثيرة تتسابق على الاسلاك، فقال له هيكل «انني مع الاسف لا أستطيع ولا املك ان ارد على سؤال منها، وسأله عن رقم التليفون الذي يتكلم منه حتى يستطيع ان يتصل به مباشرة لان الظرف بالغ الخطورة، ثم أضاف انه سيذهب به ايضا الى الهلالي (باشا) (رئيس الوزراء) الذي يهمه في هذه اللحظة ان يسمع منه.

واستشار هيكل عبد الحكيم عامر في اعطاء رقم الهاتف، ولكنه رفض بعنف، في حين تحرك جمال عبد الناصر وقال «لم لا؟... أعطه الرقم». وقال جمال عبد الناصر «أتصور انهم يريدون ان يعرفوا كيف نفكر نحن هنا... ولكننا من خلال اسئلتهم سوف نعرف كيف يفكرون هم هناك.

---

(7) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 52.

ويعترف هيكل، أنه أعجب بسرعة بديهة جمال عبد الناصر وقدرته على التصرف والحسم في طرفة بصر.[8]

ومرة اخرى، تتعلق الحكومة والقصر بهيكل، باعتباره همزة وصل بينهم وبين «قيادة مجلس الثورة» فيتصل نجيب الهلالي (باشا)، على نفس الرقم ويقول لهيكل:

«هيكل... أنا أعرف أنك في وضع صعب وربما كنا نحملك أكثر مما تحتمل، ولكن بما ان الظروف قضت بأن تكون حيث انت الآن في هذه اللحظة فليس أمامنا ولا أمامك الا ان نحمل مسؤولياتنا. وأنا اكلمك من أجل «البلد» وارجو ان يكون ذلك واضحا «للجماعة» عندك.

واستطرد الهلالي (باشا) يسأله: «ماذا يريد 'الجماعة' عندك، انني أريد منك ان تسأل من تعتقد أنه يستطيع الرد منهم، ولن أسألك من هو؟...» وأضاف بانه مستعد لتقديم استقالة الوزارة[9]، وفوجيء هيكل عندما طلب منه عبد الناصر أن يقول للهلالي (باشا) «عليك بتقديم استقالة الوزارة. فقال لعبد الناصر «ولكنه رجل وطني وأمين». فرد عبد الناصر «ليس هذا هو المهم الآن... قل له ان يستقيل». ونقل هيكل الطلب، ووافق الهلالي بسرعة . ووقف، بعد انتهاء المكالمة مع جمال عبد الناصر لحظات يستوضحه في بعض مادار وقال له عبد الناصر: «لم يكن موضوع تغيير الوزارة قد خطر على بالي، ولكن عندما اقترحه صاحبك طلبته على الفور لان حدوثه اشارة واضحة الى

---

(8) المصدر السابق - ص ص 53.- 54.

(9) المصدر السابق - ص 54.

ان قيام وسقوط الوزارة في مصر لم يعد في يد الملك».

ورأى هيكل ان «فيما قاله تلك اللحظات لمحات ملفتة للنظر في قدرته على التصور والتصرف».[10]

ومنذ بداية العلاقة، حرص هيكل على ان تكون هذه العلاقة شخصية وخاصة مع عبد الناصر دون غيره، فمجدي حسنين، أمين صندوق الضباط الاحرار، ومدير مكتب محمد نجيب ثم مدير مكتب عبد الناصر يقول عن طبيعة علاقة هيكل بعبد الناصر في الايام الاولى للثورة: «كان هيكل مراهنا على عبد الناصر كقائد للثورة، فهو رجل ذكي جدا، وكان عبد الناصر يحبه، يأخذ منه المعلومات ويعطيها له ايضا.. ولم يحاول هيكل أن يتقرب الى محمد نجيب، كما لم تكن له علاقة خاصة مع اي من بقية الضباط الاحرار، لقد اقتصر في علاقته على عبد الناصر، ولم يرد أن يحشر نفسه في صراعات، فلم يتدخل في سير الادارة أو أجهزة الدولة...».[11]

لقد شهدت العلاقة بين هيكل وعبد الناصر بعدا شخصيا متميزا.

2 - هيكل - عبد الناصر

العلاقة في أبعادها الشخصية

يعتقد احمد حمروش[12] أنه «عندما قامت ثورة 23 يوليو (جويلية)

---

(10) المصدر السابق - ص ص 56 - 57.

(11) مجدي حسنين، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(12) من الضباط الاحرار، يساري الاتجاه.

لم يكن محمد حسنين هيكل هو أقرب الصحفيين الى جمال عبد الناصر فقد كان هناك صحفيون آخرون أقرب مثل احسانْ عبد القدوس ومصطفى أمين وحسين فهمي واحمد أبو الفتوح وحلمي سلام. وكلهم كانوا أصدقاء لعبد الناصر. والنقطة الثانية ان هيكل عندما تعرف على عبد الناصر لم يكن صحفيا مبتدئا او ناشئا، بل كان رئيس تحرير «آخر ساعة». والنقطة الثالثة أن هيكل كان أكثر الصحفيين حرصا وفهما لطبيعة المرحلة. وايضا رغبة في الاستفادة من وجوده قريبا من زعيم هذه الثورة! فاذا كان يقال ان هيكل اثر على عبد الناصر لكي يجعل منه «الصحفي الاوحد» فانا اقول أن هذا مستحيل وغير ممكن لانه ضد طبيعة عبد الناصر شخصيا، واذا حاولت انت مثلا عند عبد الناصر لكي تصبح «الصحفي الاوحد» فلن تنجح، ولكن اذا وجد عبد الناصر أن رغباته وأفكاره وأحلامه يتم ترجمتها جيدا من خلال قلمك فهو الذي سيقربك اليه، لانه المحتاج الى قلمك وفكرك. لذلك اقول ان عبد الناصر كان محتاجا لهيكل وكان يتبادل معه الافكار والحوار، ولكن في النهاية كان هناك رأي لعبد الناصر ورأي لهيكل، وكثيرا ما اختلفوا، وظهر هذا الخلاف واضحا».[13]

ويؤكد هذا الرأي، وزير الاعلام السابق محمد فائق، حينما يقول: «في رأيي أن هيكل. هو احسن من يفهم عبد الناصر وما يريده، وكيف يصيغ أفكاره... حقيقة كانت توجد علاقة صداقة شخصية بينه وبين الرئيس...».[14]

(13) احمد حمروش، من حديث صحفي لارشاد كامل، مجلة «صباح الخير» المصرية.

(14) محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

كما يذهب في نفس الاتجاه، وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا، ضياء الدين داوود حينما يشرح: «أنا كنت قريبا من جمال عبد الناصر بحكم وضعي في السلطة، ولا اعتقد ان هناك مبالغات من هيكل في ما يكتبه عن حجم علاقته بعبد الناصر، على عكس ما يكتبه البعض اليوم هنا وهناك... لقد ذكر لي عبد الناصر شخصيا ان أكفأ من ارتبط به في دقة التعبير عن أفكاره هو محمد حسنين هيكل».(15)

وحاول هيكل طيلة عهد عبد الناصر ان لا يكشف للآخرين حجم ونوع هذه العلاقة، ويرى صلاح منتصر، أحد تلامذة هيكل ان هذا الاخير «عرف ببراعة بالغة حدوده «كمدني» خارج مجموعة العسكريين الذين خرج منهم عبد الناصر وينتمي اليهم.

وبذكاء اكبر استطاع هيكل ان يضع غشاوة على تلك العلاقة أمام كثيرين... واحد غيره كان سهلا أن يعلن: عبد الناصر قال لي، وأنا قلت لعبد الناصر... ولكن هيكل تحاشى تماما طوال حكم عبد الناصر ان يشير الى هذه العلاقة، خصوصا في كتاباته، الى درجة حيرت بعض القراء، وأثارت لديهم الشكوك في حجم هذه العلاقة. وهكذا فبالنسبة لهيكل لم يكن هو الشخص الذي يتفاخر بصداقته للحاكم ويعلن عنها ولا الانسان الذي له اي مطامع او مطالب ويطلب من الحاكم تحقيقها له».(16)

---

(15) ضياء الدين داوود، مرجع سابق.

(16) صلاح منتصر، من مقدمة حديث طويل مع هيكل، مجلة «اكتوبر» المصرية، عدد 606، مرجع سابق، ويلاحظ انه بعد وفاة عبد الناصر أصبح هيكل يعلن بصراحة عن حجم وطبيعة علاقته بجمال عبد الناصر.

هذه الصداقة القوية بين الرجلين، كثيرا ما اعتراها الخلاف، «فحقيقة الامر انه كان لجمال عبد الناصر رأي... ولمحمد حسنين هيكل رأي آخر... وهما - أحيانا - لا يتطابقان... وليس صدقا ما كان يدعيه البعض من ان مقالات هيكل كانت «بالونات اختبار» يطلقها عبد الناصر ليتعرف على خبايا الراي العام.

ومحمد حسنين هيكل لم يكن يوحي له في التعبير عن رأيه... جميع الكتاب لم يكن يوحي لهم... والرقابة لم تعرف طريقها للصحف الا بعد عدوان اسرائيل عام 1967.

القضية كانت... ان محمد حسنين هيكل اكتسب ثقة جمال عبد الناصر».(17)

اما هيكل، وهو الطرف المعني في هذه العلاقة فيقول: «وأحسن ما كان في علاقتي بعبد الناصر هو ما كان فيها من تلقائية بمعنى أنني لم أكن اقصد ولا هو كان يقصد... الصداقات لا تنشأ بتصميم سابق ولا بقصد سابق.

الصداقات تنشأ بصلات انسانية يشعر بها الناس وتتوثق لحظة بعد لحظة ويوما بعد يوم...

الذي حدث ان هذا الرجل كان لديه استعداد تاريخي خارق وانا كصحفي أعرف المنطقة بشكل أو بآخر وأسوأ شيء تفعله لاي انسان في

(17) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، مجموعة مقالات على حلقات، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 24 - 11 - 1986.

السلطة ان تحاول ان تتقرب اليه أو تفرض نفسك عليه.. لانه بطبيعتة يشك.. ليس فقط جمال عبد الناصر وانما كل انسان في موقع السلطة.. ولو انني حاولت بناء على تصميم مسبق لاثرت الشكوك.. لكن علاقتنا نمت.. اننا دون ان نلتقي كنا نتكلم في آراء واحدة.. ثم بعد ذلك الصداقات تأتي عندما يجد اثنان نفسيهما منجذبين سواء بحكم تلاقيهما الفكري أو بحكم عناصر الكمياء الانسانية.. لا هو هيأ ولا أنا هيأت.. ولكن العلاقة نشأت كما تنشأ أي صداقة بطريقة طبيعية..»(18)

هذه العلاقات المتميزة شكلت درعا يحمي هيكل من خصومه المتربصين به، وهي الخط الحديدي الذي تتحطم عليه كل امواج الرافضين لدور هيكل الصحفي والسياسي، وقام الرئيس عبد الناصر في اكثر من مرة بدور الحامي المباشر لهيكل عندما يقع في مأزق، فهو مثلا عندما وفر غطاء او حماية كبيرين لصديقيه مصطفى وعلي أمين، وبعد ان اكتشفت اجهزة الامن عمالتهما للمخابرات الامريكية، شعر هيكل بمأزق كبير، خفف من حدته عبد الناصر، عندما قال له: «ليس هناك ما يدعوك الى ان تفكر على هذا النحو، صحيح انك توسطت لهما عندي اكثر من مرة لكن انا الذي استجبت لك ولم يكن في استطاعتك ان تفرض علي شيئا لو لا قبولي به، فاذا كانت هناك مسؤولية فأنا المسؤول، لا داعي الان لفرط الحساسية وانا اطلب اليك من الان ان تمسك اعصابك لاني اعرف ان هناك من هم على استعداد

(18) من حوار طويل مع صلاح منتصر، مجلة «اكتوبر» المصرية عدد 606، مرجع سابق.

لاستغلال ما حدث ضدك، ولا يصح لك ان تعطي احدا وسيلة للنيل منك دون وجه حق».[19]

وتكررت عملية الحماية مرة اخرى، وفي نفس القضية، عندما دفعت دار «أخبار اليوم» بقرار من هيكل تكاليف الدفاع عن مصطفى أمين، فقد سأله عبد الناصر عن حقيقة الامر، فكان رده: «انني تصرفت على نحو أثق أنك كنت ستتصرف به لو أنك مكاني»

.فعلق عبد الناصر قائلا: «انني استطيع ان افهمك لكن ما اخشاه انّ لا يفهمك غيري» فرد هيكل: «أنه يهمني أن يفهمني هو واما الاخرون ممن لا يفهمون فأمرهم لا يعنيني».[20]

اجابة هيكل، تلخص حقيقة وطبيعة علاقته بعهد كامل، فالرجل لم ينزلق في لعبة السلطة والتحالفات والصراعات، واكتفى بمد الجسور مع عبد الناصر، وحاول ان تكون هذه العلاقة شخصية - انسانية، لا يعلم حجمها وعمقها احد غيرهما، وهذه العلاقة جعلت هيكل يرفض اكثر من مرة منصب الوزارة، او اي موقع سياسي آخر، فقط كان يعتمد على موقعه في «الاهرام»، وهو عمله الصحفي، وموقعه في «قلب» عبد الناصر، وهي العلاقة الشخصية التي حرص طوال الوقت على تواصلها ونموها وحمايتها من الدخلاء.

كان هيكل متفطنا الى طبيعة شخصية «صديقه» فهي شخصية «كارزماتية» لها اشعاع محلي وعربي وعالمي هائل، وهذا النوع من

---

(19) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 144.

(20) المصدر السابق - ص، 267.

الشخصيات، عادة ما يتجاوز بنفوذه وسلطاته الكارزمتية حدود صلاحياته الدستورية، والمؤسسات التي يعمل من خلالها، حيث تصبح «للكاريزما» سحر خاص، يخاطب الجماهير رأسا، بدون المرور بأجهزة الحكم، وهذا النوع من الشخصيات نادر عبر التاريخ، فالقرن العشرين مثلا، لم يعرف الا مجموعة محدودة من شخصيات «الكاريزما» مثل ماوتسي تونغ، ولينين، وتيتو، وديغول، وعبد الناصر[21]...

هيكل استوعب منذ البداية هذه النوعية الخاصة من الزعامات وتكيف معها منذ انطلاق الثورة... وتواصلت علاقتهما انسانية عميقة حتى وفاة جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970، عندها لم يبك هيكل على «صديقه» وتمالك اعصابه حتى تمر الازمة وجاء يوم الجنازة وبكى... وصف ذلك قائلا: «انا أذكر جيدا يوم الجنازة وكان تحرك الجنازة من مجلس قيادة الثورة القديم على النيل (قرب فندق شيراتون الجزيرة الجديد) فلقد بدأنا الجنازة صفوفا متماسكة ولكن ما أن شاهدت النعش وبدت لي حقيقة انه في داخل هذا الصندوق يوجد جمال عبد الناصر، فانني لم استطع أن أسيطر على نفسي... خلاص... وبكيت... وابتعدت خارج الصفوف رغم انني كنت يومها مرافقا رسميا «لكوسيجين» حتى لا يراني احد... ولكن في وقت الازمات مهما كانت احزانك فهذا ليس وقت البكاء...».[22]

---

(21) لمزيد من التوسع في مسالة «الكاريزما» يرجى الرجوع الى كتاب الدكتور نديم البيطار «من التجزئة... الى الوحدة» وخاصة الفصل المتعلق بالسلطة المشخصنة.

(22) من حوارا طويل بين هيكل وصلاح منتصر، مجلة «اكتوبر المصرية» عدد 608، السنة الثانية عشر، 19 جوان 1988.

الفصل الثاني

هيكل - المهد الناصري: الموقع السياسي

لم يعرف عن هيكل طيلة حكم جمال عبد الناصر، أنه تولى منصبا خطيرا في اي من الوزارات المتعاقبة، حيث لم تتجاوز المسألة بضعة أشهر عين فيها وزيرا للاعلام مرة ووزيرا للخارجية مرة اخرى، وكان طول الفترة مهتما بموقعه في مؤسسة «الاهرام»، مدعما له، مطورا لمؤسسته... لكن رغم ما يبدو على السطح من ان الرجل عازف عن العمل السياسي، فان عمق الاحداث والوقائع يبين أن هيكل كان في قلب العمل السياسي، يؤثر في القرار تارة من بعيد، وينفذ القرار او يتولى مسؤوليته تارة اخرى من قريب... وفي كل الحالات كان له اكثر من دور سياسي.

1 - أدوار سياسية

ربما أهم دور قام به هيكل في حياة عبد الناصر السياسية يتمثل في كتابة خطب الرئيس التي يلقيها في المناسباتُ العامة او الخاصة.

وحقيقة، تعد دراسة خطب عبد الناصر، موضوعا مستقلا بحد ذاته، لكن بدون التعمق في هذا المنحى، فان المميز الاول لها، هو ذلك السحر في اللغة والتركيب والاسلوب، تلك المهارة الفائقة في تصفيف الكلمات، وفي اختيار عبارات شاعت من مصر الى كل الوطن العربي، وكان لهيكل الفضل

والمسؤولية الاولى في صياغتها[1]، ويعترف عبد الناصر نفسه بهذا الدور، فقد قال مرة لضياء الدين داوود: «ان هيكل هو أكفأ من ارتبط بي في دقة التعبير عن أفكاري، فهو حين يصوغ افكاري، يكون قد التزم التزاما حادا وأمينا بها».[2]

وكان عبد الناصر يسجل أفكاره كتابة ويناقشها مع هيكل، الذي يأخذها بدوره ويكتبها، فيصححها عبد الناصر بخطه وتأخذ صورتها النهائية[3].

ويؤكد هذا الرأي سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات قائلا: «صياغة الخطب كانت تتم على النحو التالي: الرئيس يفكر، ويضع نقاطا للخطاب، ثم يستدعي هيكل، ويجلسان مع بعض ويناقشان فيها، ثم يصيغها هيكل... وهذا شيء طبيعي لانه لم يوجد رئيس يكتب خطبه دائما بنفسه».[4]

وبالتأكيد لم تكن كتابة خطابات الرئيس هي الدور السياسي الوحيد الذي قام به هيكل، ذلك انه لعب أدوارا أساسية اخرى مبكرا منذ بداية الثورة، فهو مثلا، عندما كان في طريقه الى الولايات المتحدة لتغطية انتخابات

---

(1) يمكن تقديم بعض هذه الامثلة من هذه الصياغات «خسرنا معركة ولم نخسر الحرب» «ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» «النكسة، وليس الهزيمة» «سقوط مراكز القوى» الدارس لخطب عبد الناصر سيكتشف الكثير من هذه العبارات وما شابهها.

(2) ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

(3) المرجع السابق.

(4) سامي شرف، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

الرئاسة الامريكية في شهر نوفمبر 1952 بين الجنرال «دوايت ايزنهاور» مرشحا عن الحزب الجمهوري والمستر «ادلاي ستيفنسون» مرشحا عن الحزب الديمقراطي... قابل عبد الناصر قبل سفره وقال له: «وأنت في واشنطن أريدك ان تتابع من الناحية السياسية عملية صفقة الاسلحة الموعودة لمصر... ان علي صبري سوف يتولى من الناحية العسكرية وأريدك ان تتابع الناحية السياسية في المسألة.

انك سوف تقابل كثيرين بحكم عملك الصحفي، كما ان كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا، ثم انك تعرف هناك كثيرين من الصحفيين والساسة».(5)

ولم يكن عبد الناصر وحده الذي يطلب من هيكل اداء بعض المهمات السياسية، وانما هناك اطراف اخرى تطلب منه بعض المهمات لمعرفتهم بعلاقته الوطيدة مع عبد الناصر، فمثلا «في صباح الثلاثاء 27 سبتمبر 1955، تحديدا في الساعة الواحدة والثلث صباحا رن جرس هاتف هيكل، وكان المتكلم هو «ايكلبرجر»، الوزير المفوض في السفارة الامريكية.

سأله هيكل لماذا يوقضه في هذه الساعة فماذا حدث؟ فقال: الامر جد خطير، هل عقدتم صفقة اسلحة مع الاتحاد السوفياتي؟

فقال هيكل: وما يهمه في الامر، وهو يخص بالدرجة الاولى العسكريين.

---

(5) محمد حسنين هيكل، قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق - ص 71.

وقال ايكلبرجر: محمد... الموضوع جد... الموضوع خطير... وهو بالغ الخطورة، وهو لا يتصل بالعسكريين كما تقول، ولكنه قرار سياسي. وطلب منه ان يتصل فورا بالرئيس وينصحه بالانتظار لان هناك رسولا موفدا من الرئيس الامريكي».[6]

وكان عبد الناصر قد استشار هيكل، في رأيه بتأميم قناة السويس، فرد هيكل «مسألة كبيرة وخطيرة... كبيرة جدا وخطيرة جدا».[7]

كذلك، اتصل عبد الناصر بهيكل يوم 30 اكتوبر 1956، وطلب منه ان يتوجه الى مقابلة السفير الامريكي «ريموندهير» وينقل اليه على لسان الرئيس ان «طائرة بريطانية من طراز «كانبيرا» حلقت قبل ساعة فوق منطقة بحيرة «البردويل»» ومن الواضح انها كانت تحاول القيام بعملية استطلاع فوق ارض المعركة، وان مثل هذا التصرف مثير للشكوك والريب».[8]

وفيما بعد، سافر الدكتور محمود فوزي (وزير الخارجية) الى نيويورك ولحق به هيكل بعد ايام قليلة يتابع عرض قضية قناة السويس على مجلس الامن، وعاش ايامه ولياليه كلها لاكثر من أسبوعين في أروقة وكواليس وقاعات الامم المتحدة.[9]

---

(6) المصدر السابق - ص 82.

(7) المصدر السابق - ص 121.

(8) المصدر السابق - ص 229.

(9) المصدر السابق - ص 174.

وهذه ليست الا مجموعة من النماذج التي قام فيها هيكل بأدوار سياسية خاصة بين عبد الناصر والطرف الامريكي، ورغم بعض الاشارات التي ظهرت هنا وهناك تتساءل عن حقيقة علاقة هيكل بالمصالح الامريكية، فان أحد الكتاب يرد على هذه الاشارات بقوله: «كان هيكل مخلصا لعبد الناصر، وكان ولاؤه له لا لامريكا، لانه لعب دوره بمهارة وأمانة، وأنه نجح في خداع أمريكا وهذا ما ثبت لعبد الناصر...».(10)

كما قام هيكل بوساطة بين اليسار الماركسي، والرئيس عبد الناصر، حيث يقول لطفي الخولي: «وكان عبد الناصر قد شرع بالفعل، منذ أواخر العام 1960 بالافراج تباعا عن عدد من الشخصيات الماركسية وفي اطار تجربة «الحوار والتعاون» أنشئت صفحة «الرأي» في جريدة «الاهرام»، التي كان يتولى رئاسة تحريرها محمد حسنين هيكل الذي لعب دورا في مد الجسور بين عبد الناصر واليسار الماركسي».(11)

وفي مرات قليلة، يتولى هيكل مهمة وزير، فقد قال عبد الناصر ذات مرة لهيكل: «أنت تفلسف هذه المسائل وانت صحافي خارج الدائرة، امسك الوزارة وفلسفها من الداخل وانت وزير» ومن ثمة، أمر عبد الناصر مدير مكتبه سامي شرف بان يذيع قرار تعيين محمد حسنين هيكل في الوزارة (الارشاد القومي)، وفوجيء هيكل بالقرار...»(12)، كما قام هيكل في

---

(10) حسنين كروم، عبد الناصر بين هيكل ومصطفى امين، مرجع سابق ص ص 65 - 66.

(11) لطفي الخولي «مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري» نقلا عن مجلة «الوطن العربي» الباريسية، السنة الخامسة عدد 245، من 22 الى 29 اكتوبر 1981.

(12) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

جويلية - أوت 1970 بمهام وزارة الخارجية.(13)

كما يعتقد البعض ان هيكل بذل «جهدا مباشرا في اقناع الرئيس بتسلم أنور السادات منصب نائب الرئيس».(14) واذا كان ذلك صحيحا، فانه يصبح أهم الأدوار السياسية التي قام بها هيكل طيلة فترة حكم عبد الناصر... ورغم هذه الادوار، فان ما يتضح ان الرجل كان غالبا ما يرفض المنصب التنفيذي المباشر، وفي الآن نفسه يقبل على لعب أدوار سياسية خاصة، يكلفه بها عبد الناصر، ولا تلزمه بمسؤولية دائمة، ويؤكد هذا المعنى وزير الاعلام السابق، الاستاذ محمد فائق في قوله: «الذي أعرفه ان هيكل كان قاطعا في هذا الموضوع، فهو لا يريد الموقع التنفيذي، ويعتقد ان تأثيره كصحفي اكبر من تأثيره كسياسي في موقع، وانا اول من ابلغه بتعيينه وزير الاعلام، ولم يكن سعيدا بهذا الخبر... رغم انه عمل ايام عبد الناصر من اجل ان يكون قريبا منه، ولكن لا اعتقد ان ذلك كان من أجل السلطة».(15)

وربما يكون هذا الأمر، من أهم الاسباب التي دفعته الى الصدام مع بعض أجهزة الحكم.

---

(13) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 214.

(14) محمد باقر شري، «عبد الناصر مات او اميت» مجلة، «الشراع» اللبنانية، الحلقة الرابعة، السنة الخامسة العدد 251، 5جانفي 1987.

(15) محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

2 - العلاقة مع أجهزة الحكم

تميزت علاقة هيكل بأجهزة الحكم في «الجمهورية العربية المتحدة»، بالتوتر حينا والصراع المباشر احيانا اخرى، وطفح الصراع بقوة، على مستوى العلاقة بأجهزة الامن والمخابرات، والعلاقة مع «الاتحاد الاشتراكي» (التنظيم السياسي الحاكم) و«تنظيمه الطليعي».

لقد «وقع خلاف بين «الاهرام» وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت «الاهرام» يوم 13 أكتوبر 1968 وفيها مقال افتتاحي في الصفحة الاولى تحت عنوان «واقعة خطيرة» يتحدث عن اعتقال نيابة أمن الدولة والمخابرات لمدير مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال عسكر مدير الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء الذي اعتبر ان مدير مركز الاهرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات اليابانية.

وقد أثارت الاهرام اعتراضات شتى على سلطة الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء، وعلى أسلوب الاعتقال و«زوار الفجر» وعلى عدم وجود حدود مرسومة لجهاز المخابرات، مطالبة بأن يكون الحبس الاحتياطي والاعتقال في أضيق نطاق ومحاط بكافة الضمانات.

وكانت هذه أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات... وهو امر ما كان يمكن ان يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة».(16)

---

(16) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل» الحلقة 3، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 8 - 12 - 1986.

وفي مناسبة اخرى، سجلت اجهزة الامن حديثا دار في شقة لطفي الخولي، رئيس تحرير «الطليعة» ونوال المحلاوي، السكرتيرة الشخصية لهيكل وهما يتبادلان مع بعض الاصدقاء حديثا منسوجا ببعض السباب... واصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفي الخولي وزوجته ونوال المحلاوي... واستمر الاعتقال عدة شهور...

وكان ذلك الاجراء صدمة لهيكل، واضعافا لمركزه، فهو لم يستطع ان يفعل شيئا للمعتقلين وهم من اقرب الناس اليه...»(17)

كذلك كان الصراع عنيفا بينه وبين قيادة «الاتحاد الاشتراكي» فهيكل «لم يكن مقتنعا فيما يبدو بالالتزام الحزبي... وربما كان راضيا عن صيغة الاتحاد الاشتراكي دون ان يكون له فيها دور، لم يكن يؤرق هيكل سوى ان يكون بعيدا عن تدخلات الجهاز السياسي... والا يكون لافراد من الخارج نفوذ على بعض العاملين فيه حتى ولو كان نفوذا سياسيا.

ونتيجة لهذا الموقف... فانه عندما تقرر دمج الفروع التي بدأ بها تنظيم طليعة الاشتراكيين. فان محمد حسنين هيكل لم يكن في قيادة هذا الجهاز...

هل كان هذا الموقف تعاليا من محمد حسنين هيكل... او اعتمادا زائدا على الزعيم... او فقدان ثقة بالتنظيم... او ضيق وقت للعطاء السياسي... او رغبة جارفة في ان يظل حرا طليقا يكتب ما يشاء دون ضغط أو الزام».(18)

---

(17) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، الحلقة الرابعة، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 22 - 12 - 1986.

(18) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، مجلة «روز اليوسف» عدد 1 - 12 - 1986.

لقد «كان هناك تنافر - اكيد - في وجهات النظر بين هيكل وقيادات الاتحاد الاشتراكي، برز ذلك اولا في فكرة انشاء «المجلس الاعلى للصحافة» التي اقترحها علي صبري لتكون «جميع» الصحف تابعة لتنظيم خاص يطلق عليه هذا الاسم في الاتحاد الاشتراكي.

اعترض هيكل على ذلك اعتراضا شديدا.. فلم يكن يريد للاهرام ان يذوب في تنظيم يضم صحفا اخرى تكون تابعة للجهاز السياسي.. واقترح بدلا من ذلك ان يكون هناك ما يشبه الاتحاد لمناقشة مشاكل الصحافة الادارية من ناحية الورق والتوزيع، لم يظهر هذا الخلاف على مسرح الاحداث.. بقي موضوع حوار في الكواليس وانتهى الامر الى مواجهة في حضور جمال عبد الناصر، الذي لمس عناد هيكل واصرار علي صبري، فاقترح ان تبدأ التجربة في جريدة «الجمهورية» فاذا نجحت عمت في بقية الصحف الاخرى.

وبدأ علي صبري يكتب تعليقات يومية في جريدة «الجمهورية» اعتبرها البعض جانحة لليسار الى حد بعيد».[19]

وانتهت «خلافات هيكل مع الاتحاد الاشتراكي الى قرار تعيين محمود أمين العالم رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم، وعادت بذلك الى علي صبري مسؤولية الاشراف على الصحف وتوجيهها بصفته أمينا عاما للاتحاد الاشتراكي.

---

(19) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، الحلقة الرابعة، مجلة «روز اليوسف» المصرية عدد 22 - 12 - 1986.

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح في هذه الصراعات الفكرية التي ظهرت على صفحات الصحف».[20]

وأصبح «عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داوود والدكتور محمد أنيس وعبد الهادي ناصف، يكتبون في جريدة «الجمهورية» مقالات مضادة للاراء التي ينشرها هيكل في «الاهرام».

تراشق الاراء كان يعتبر أمرا جديدا في حياة الثورة... ومظهر من مظاهر الانفتاح النسبي الذي فرضته الهزيمة.

كان محمد حسنين هيكل قد أصبح الان معرضا لكلمات ومقالات النقد... بل ان لجان الاتحاد الاشتراكي لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل اسبوعيا. ومعارضة ما فيها من اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية، ومضعفة للروح المعنوية، وباعثة على ممالاة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار «محاولة تحييد أمريكا».

ولم يكن هذا الصراع العلني امرا يمكن ان يمضي بغير دلالة... فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذي لم يكن خافيا على أحد... ومقالاته في مضمونها ان لم تكن معبرة عن عبد الناصر شخصيا فهي بمثابة مجس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه.

ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسؤوله القوي علي صبري وبين محمد حسنين هيكل على السطح... وأصبح بينهما مشهدا تتابعه الجماهير

---

(20) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، الحلقة الثانية، مجلة «روز اليوسف» عدد 8 - 12 - 1986.

المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه».[21]

ويعلق ضياء الدين داوود على هذا الصراع قائلا: «ان المجموعة القريبة من جمال عبد الناصر والتي كانت تتولى تسيير الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والمنظمات السياسية، كانت تسبب لها مقالات هيكل بعض المشاكل فكانوا يختلفون معه.

وكانت تقع اجتماعات للاتحاد الاشتراكي تهاجم مقالات هيكل ومناقشاته... في نهاية الامر خلق هذا الجو ما يمكن تسميته بالصراع بين هيكل وهذه المجموعة وخاصة المجموعة العسكرية».[22]

وربما كانت اهم الاسباب لهذا الصراع، رفض هيكل الدائم الانضمام الى التنظيم السياسي الحاكم، فهو يقول: «اعتذرت عن الانضمام الى التنظيم الطليعي باستمرار، ليس عن عدم ايمان بأهمية التنظيم، وانما عن اعتقادي بان اي صحفي او كاتب، لا يستطيع ان يخضع فكره لضوابط تنظيم والا فقد استقلالية رأيه الى أقصى حد ممكن، ولقد سبب لي هذا الموقف مشاكل لا حدود لها مع كل مستويات التنظيم في الاتحاد الاشتراكي وقتها».[23]

---

(21) احمد حمروش «زيارة جديدة لهيكل» المرجع السابق.

(22) ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(23) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق ص 288.

ولكن الدكتور سعد الدين ابراهيم يقول: «... وانضممت بعد ذلك لمجموعة التنظيم الطليعي بالاهرام بجوار هيكل مع لطفي الخولي ودكتور ابراهيم الشربيني، ودكتور عبد الرزاق حسن ودكتور محمد الخفيف».[24]

ويوضح احمد حمروش المسألة قائلا: «ولكنه لم يكن يحتل موقعا رئيسا في التنظيم السياسي، حيث كانت تدور بعض الاحداث، وتطبخ بعض القرارات.

وكان موقف محمد حسنين هيكل من الاتحاد الاشتراكي معروفا... لم تكن عنده حرارة الالتزام بالتنظيم السياسي... هكذا لم يكن هيكل عضوا قياديا في هيئة التحرير او الاتحاد القومي... ولم يكن كذلك في الاتحاد الاشتراكي رغم انه هو الذي صاغ الميثاق ولكن هيكل كان احد الذين بادر جمال عبد الناصر بتكليفهم بتكوين عدد من الخلايا التنظيمية عندما فكر في تشكيل «طليعة الاشتراكيين» بعد عام من صدور الميثاق... كان واحدا من الذين انتقاهم جمال عبد الناصر وكلف كل واحد منهم ممن يثق في اخلاصه لبناء المجتمع الاشتراكي».[25]

---

(24) من شهادة الدكتور سعد الدين ابراهيم، نقلا عن، احمد حمروش، شهود ثورة يوليو، الجزء الرابع، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 1984، ص 22.

(25) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 1 - 12 - 1986.

وكانت خلفية نقد هيكل المتواصل لتنظيم «الاتحاد الاشتراكي» تعتمد حسب رأيه على «ايمانه بصيغة التحالف والحاح على ان مهمة التنظيم الشعبي هي ان يستولي على السلطة بقوة الجماهير وعملها الديمقراطي، وان الخطر يجيء حين تقع التنظيمات في الخلط، فاذا هي بدل ان تستولي بالجماهير على السلطة تستولي بالسلطة على الجماهير».(26)

أيضا «ان الاتحاد الاشتراكي يحاول ان يكون حكومة فوق حكومة او حكومة الى جانب حكومة، وهذا يصنع ازدواجية في السلطة».(27)

كذلك، «ان الاتحاد الاشتراكي اغرق نفسه في متاهات فكرية تعبر عن اشخاص ولا تعبر عن فكر جماعي».(28)

ثم، «ان التنظيم السياسي يتعرض لمخاطر شديدة عندما يولد في احضان سلطة الدولة ويتصور تلقائيا وفوريا انه المعبر عن كل جماهير الشعب، وبالتالي فهو قائدها بغير منازع، ومن هناك فهو يقع في خطا لا يقل خطورة عن خطإ الحق الالاهي عند الملوك».(29)

لقد كتب هيكل مقالات كثيرة تمس موضوعات التجربة الديمقراطية وضرورتها وضوابطها وقضايا حرية التعبير الديمقراطي والحراسات والمعتقلات... والدعوة الى مجتمع مفتوح... والدعوة لاسقاط مراكز

---

(26) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق ص ص - 263 .262

(27) المصدر السابق - ص 263.

(28) المصدر السابق - ص 263.

(29) المصدر السابق - ص 263.

القوى... وشرح لاهمية وضرورة المجتمع المفتوح... وشرح لخطورة تجاوزات التنظيم السياسي (الاتحاد الاشتراكي)... وضرورة احترام احكام القضاء... وتأكيد حرية البحث العلمي في الجامعات... وبعض هذه القضايا تناوله منذ 1964[30].

وهذه مجموعة اهم المقالات التي انتقد فيها مراكز القوى وضعف الجبهة الداخلية، ونشرت جميعا في صحيفة «الاهرام»:

1 - مقال بعنوان «علامات - الى أين من هنا... والى أين بعد الان؟» بتاريخ 30 - 6 - 1967.

2 - مقال «علامات في الموقف الداخلي - تفويض للتغيير...»، 28 - 7 - 1967.

3 - مقال «الجبهة الداخلية هي هدف الهجوم الاصلي للعدو، بقية للحديث عما تريده الولايات المتحدة الامريكية منا الان...» 11 - 8 - 1967.

4 - «الجبهة الداخلية» 17 - 11 - 1967.

5 - «ليس بالحسم وبالحزم... ولكن بالعمل السياسي» 19 - 4 - 1968

6 - «هل تحقق التغيير؟» 11 - 10 - 1968.

7 - «واقعة خطيرة» 13 - 10 - 1968.

8 - «المجتمع المفتوح» 18 - 10 - 1968.

9 - «كيف تنشأ مراكز القوة؟» 25 - 10 - 1968.

10 - «حديث عن الاتحاد الاشتراكي الان» 1 - 12 - 1968.

---

(30) المصدر السابق - ص ص 253 - 254.

11 - «قضايا للتفكير والمناقشة حول عمل الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة، المعنى الحقيقي لكل ما تكشف بعد النكسة»، 8 - 11 - 1968.
12 - «قضايا للتفكير والمناقشة حول عمل الاتحاد الاشتراكي عن التجربة... عن الديمقراطية في زماننا» 15 - 11 - 1968.
13 - «الثورة... والثورة المضادة»، 20 - 12 - 1968.
14 - «أزمة الشك في الصحافة المصرية»، 20 - 12 - 1968[31].

3 - الموقع من خريطة «التكتلات»

شهد الحكم «الناصري» في مصر، طيلة الستينات، استقطابا بين «كتل سياسية» مختلفة، خاضت فيما بينها صراعا خفيا تارة وعلنيا تارة أخرى، وهو صراع يؤكد حقيقة أساسية في علم السياسة، وهي ان اي مؤسسة سياسية - والدولة اقوى هذه المؤسسات - تعيش صراعا مزدوجا، صراعا خارجيا مع خصوم تحددهم، وصراعا داخليا فيما بينها، وشهد التاريخ تجارب عديدة تؤكد هذا الرأي، مثل صراع ستالين - تروتسكي، صراع ماوتسي تونغ - دنغ كسياو بنغ... بل حتى صراع علي بن ابي طالب من جهة ومعاوية بن ابي سفيان من جهة ثانية.

وعلى حد تعبير أستاذ علم السياسة موريس دوفرجيه، «يجري الكفاح (الصراع) السياسي على مستويين: يجري من جهة بين افراد وطبقات تتصارع

(31) المصدر السابق - ص ص 264 - 265 - 266.

للحصول على السلطة او للمشاركة فيها او للتأثير عليها، ويجري من جهة اخرى بين السلطة التي تحكم والمواطنين الذين يقاومونها.

ان السلطة، في جميع الجماعات الانسانية وحتى في المجتمعات الحيوانية، تهييء للذين يملكونها منافع وامتيازات، أمجادا وسمعة وفوائد ومتعا، لذلك تدور حولها معارك حامية.

وهذه المعارك تدور أولا بين أفراد يصارعون من أجل مقعد...»[32]

كذلك «كثير من الناس يرون ان الصراع والتكامل ليسا وجهتين متعارضتين، بل هما عملية كلية واحدة، فالصراع يؤدي بطبيعته الى تكامل، والتعارضات تتجه بتطورها نفسه الى زوالها والى قيام «المدينة» التي يتحقق فيها الانسجام»[33]

ان مصر - عبد الناصر، طيلة الستينات، شهدت مثل هذا الصراع بين «الكتل» وكان محمد حسنين هيكل، يتموقع في احدى هذه الكتل، رغم محاولاته الدائمة ليكون خارج دوائر الصراع، ولتحديد موقعه، توجد مجموعة من الرؤى المختلفة - المتباينة.

فالدكتور فؤاد زكريا، احد منتقدي هيكل بشدة، يقول: «هناك شواهد كثيرة وقوية على ان حكم عبد الناصر كان يضم، في سنواته الاخيرة على الاقل «أجنحة» متنافسة ومتعارضة.

---

(32) موريس دو فرجيه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة الدروبي والدكتور جمال الاتاسي، مرجع سابق - ص 17.

(33) المرجع السابق - ص 13.

كان هناك الجناح العسكري الممسك بقوة الجيش، والملتصق بالمشير عامر (شمس بدران وقادة الاسلحة المختلفة قبل 1967).

وكان هناك الجناح التنفيذي الملتصق بعبد الناصر في عملية الحكم (سامي شرف، شعراوي جمعة، محمد فايق...) وكان يقود هذا الجناح علي صبري وكان هناك الجناح الهادىء، المتربص، الذي يحتفظ بعلاقاته بعبد الناصر بحذر شديد، دون التورط في ممارسات تثير المتاعب، أنور السادات، محمود فوزي، سيد مرعي، حافظ بدوي.

وأكاد أجزم بأن هيكل كان ينتمي الى الجناح الاخير، فالشواهد قوية على ان هيكل كان من مجموعة أنور السادات قبل ان يتولى هذا الاخير الحكم بوقت غير قصير».(34)

ثم يضيف الدكتور فؤاد زكريا: «ويكفي، كمثال واحد للتدليل على ذلك، ان استشهد بما قاله هيكل نفسه في مقاله «ما أكثر الشجاعة هذه الايام على الغائبين» فهو في هذا المقال يروي قصة اعتقال عبد الناصر لاحد المثقفين المرتبطين بهيكل في جريدة «الاهرام» وكيف غضب هيكل ولازم بيته اياما دون ان يفاتح عبد الناصر في الموضوع، والذي يهمنا في هذا ان انور السادات كان هو الذي اتصل به قائلا «ما هذا الذي تفعله؟ انك تترك الجو هنا لكل من يريد ان يستثير ويحرض» ثم قال «اتصل به (عبد الناصر) فورا وتحدث معه بنفسك ولا تترك المجال مكشوفا لاخرين». وبعد يومين عاود الاتصال به قائلا: «يبدو أنك جننت، لماذا تترك الامر بينك وبينه لكل من يريد ان يتبرع بكلمة؟».

---

(34) الدكتور فؤاد زكريا، كم عمر الغضب؟ او هيكل وازمة العقل العربي، مرجع سابق - ص 81.

وهنا يظهر بوضوح انه كانت هناك مجموعتان، واحدة يمكن ان تحرض عبد الناصر ضد هيكل، واخرى حريصة على سلامة هيكل ضد المجموعة الاخرى وفيها أنور السادات. ولا شك أن تطوع السادات بكل هذه النصائح الى هيكل يدل على أنهما كانا ينتميان الى معسكر أو جناح واحد».(35)

وتختلف رؤية الأستاذ لطفي الخولي - احد تلامذة هيكل - لخريطة التكتلات والتحالفات، ويقدم في كتابه «مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري»، تحليلا آخر يقول فيه «في مقدمة هذه المحاور المتصارعة في الاعماق، كان هناك ما سمي «باللجنة الاستشارية الرئاسية»، وهي اللجنة التي كان الرئيس قد شكلها بعد هزيمة 1967 واحباط المحاولة الانقلابية التي تزعمها المشير عبد الحكيم عامر، واعتمد عبد الناصر على هذه اللجنة في ادارة شؤون البلاد الداخلية، والاشراف على أعمال مجلس الوزراء الذي كان يتولى رئاسته...

وكانت هذه اللجنة، التي احيط أمرها بالكتمان، تتكون من شعراوي جمعة وزير الداخلية، وأمين هويدي الذي تولى وزارة الحربية ورئاسة المخابرات العامة ووزارة الدولة، ومحمد فائق وزير الدولة للشؤون الخارجية وسامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة، وكان عبد الناصر يفاجىء اللجنة، بين آن وآخر، بطلب اشتراك محمد حسنين هيكل وزير

---

(35) المرجع السابق - ص ص 81 - 82.

الاعلام ورئيس تحرير «الاهرام» في اعمالها».[36]

ويضيف لطفي الخولي، ان «ثمة محورا آخر كان يتبلور في قيادة الاتحاد الاشتراكي (6 ملايين عضو مسجل) وتنظيماته الرئيسية والمساعدة... بزعامة علي صبري، واستمد هذا المحور أهميته من قوته الحاكمة فعليا، في كل من اللجنة العليا واللجنة المركزية، وكان من بين الاعضاء البارزين فيه: شعراوي جمعة (الذي كان يشارك في اللجنة التنفيذية العليا بصفة استثنائية على الرغم من عدم تمتعه بعضويتها)، عبد المحسن ابو النور، ود. لبيب شقير، وضياء الدين داوود، عبد المجيد فريد، وحافظ بدوي، وكان هذا المحور يكرس قدراته من خلال تسييره «التظاهرات الجماهيرية تحت الشعارات التي يحددها واستصداره «القرارات المطلوبة» من دون عناء كبير، من الهيئات القيادية للتنظيم السياسي على مختلف المستويات.

وبالتوازي مع محور قيادة الاتحاد الاشتراكي، تكون محور آخر، ضم قيادة ما سمي «بالتنظيم الطليعي» وكان اقرب ما يكون الى صيغة الحزب الاشتراكي ذي الخلايا السرية عهد اليه بالعمل على توجيه قيادة الاتحاد الاشتراكي من داخله بواسطة «كادر اشتراكي مدرب»...

وظل عبد الناصر يشرف بنفسه على تكوين وادارة التنظيم الطليعي بحماسته، يعاونه في ذلك كل من علي صبري وأحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل...

(36) لطفي الخولي، «مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري»، نقلا عن مجلة «الوطن العربي» الباريسية، الحلقة الاولى، السنة الخامسة، العدد 244، من 16 الى 22 اكتوبر 1981.

وعند وفاة عبد الناصر، كان كل من علي صبري واحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل قد أقصوا او تباعدوا عن قيادة التنظيم الطليعي، التي تركزت في امانة مركزية امسك بزمامها، اساسا، شعراوي جمعة، وسامي شرف ومحمد فائق وحلمي السعيد المستشار الاقتصادي لرئاسة الجمهورية، يعاونهم عنصران او ثلاثة من الماركسيين مثل احمد حمروش ومحمود أمين العالم».[37]

أما أخطر المحاور - لصبغته العسكرية - فكان «يتجسد في «اللجنة العسكرية الخاصة باعادة بناء القوات المسلحة واعدادها على المدى القصير الذي لا يتجاوز العام 1972... وكان عبد الناصر يركز طاقاته في هذه اللجنة، يعاونه الفريق محمد فوزي وزير الحربية واللواء محمد صادق، بالاضافة الى عدد محدود من قيادات القوات المسلحة.

والى جانب هذا المحور، قام محور «الحرس الجمهوري» الذي تدعمت قواته الى حد القدرة على الهجوم القتالي متجاوزا خط الدفاع للحراسة التقليدية، وتولى عبد الناصر الاشراف على هذا المحور من خلال سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة واللواء الليثي ناصف قائد الحرس».[38]

---

(37) المرجع السابق.

(38) المرجع السابق.

«ويمكن القول بان ثمة محورين آخرين، دار كل منهما في الأساس، حول شخصية متميزة، اكتسبت وزنا خاصا نتيجة ما اتسمت به من ملكات خاصة وظفتها بذكاء. او احتلالها لمواقع هامة داخل دائرة الثقة الضيقة لجمال عبد الناصر، وبالتالي امكنها التعرف الى أسرار النظام ومشاركتها الجزئية او الكلية في صنع القرارات السياسية.

الشخصية الاولى تمثلت في «أنور السادات» الذي اصطفاه عبد الناصر من دون أعضاء مجلس قيادة الثورة نائبا وحيدا له في 20 ديسمبر 1969 وذلك بقرار غير متوقع كان له وقع الصاعقة على الجميع..

وهكذا انتقل السادات فجأة قبل أقل من عام من وفاة عبد الناصر من المواقع الخلفية المظلمة في النظام الى مواقع الصدارة».(39)

«أما الشخصية الثانية فهي شخصية محمد حسنين هيكل الصحفي او «الجرنالجي» كما يحب ان يصف نفسه دائما، لكن جميع الذين اتصلوا اتصالا وثيقا بنظام عبد الناصر من المراقبين والسياسيين المصريين والعرب والاجانب. كانوا يجمعون على وصفه بأنه «الرجل الثاني في النظام» الذي لا يتولى مسؤوليات رسمية ولا يسعى اليها حتى لا يدخل طرفا في دائرة الصراع، ويقلص حجمه على مقاس المنصب الرسمي الذي تولاه، وتتضارب الاراء والمواقف بنشأة محمد حسنين هيكل، بيد ان خصومه يتفقون مع اصدقائه على انه «الاقدر والالمع» في حقل الصحافة المصرية والعربية واذا كان استفاد من

---

(39) المرجع السابق.

قربه لعبد الناصر فان عبد الناصر قد استفاد في المقابل من حرفية وذكاء هيكل الصحفي... ولم يعد هيكل اقرب المستشارين لجمال عبد الناصر وموضع سره وحسب، وانما «المحاور اليومي» المقبول منه دون اي كلفة او حساسية.

والمعادلة التي حكمت حركة هيكل وقبلها عبد الناصر، هي الالتزام بمساندة جمال عبد الناصر على نحو مطلق مع ممارسة الحرية النسبية في نقد النظام ومؤسساته وقياداته.

ولقد رسبت ممارسة هذه المعادلة انطباعا لدى كل القوى السياسية المحلية والعربية والدولية، ان محمد حسنين هيكل يمثل فعلا مركز «الرجل الثاني» في النظام، من دون ان يتورط في تولي مسؤولية رسمية مكشوفة، ولعل هذا ما دفع عبد الناصر في بداية العام 1970 - وفقا لكثير مما يروجه المراقبون - الى تعيينه وزيرا مسؤولا عن الاعلام - على الرغم من اعتراضه - مع احتفاظه برئاسة تحرير «الاهرام».(40)

اما سامي شرف، فيعتقد «ان الصورة السياسية في الستينات كانت تتميز بوجود جمال عبد الناصر بطلا كاريزميا، من جهة وعبد الحكيم عامر وصلاح نصر كتلة تعمل في الجيش والمخابرات، من جهة ثانية، ومجموعة الاشتراكيين المتشددين متكونة من الراحل علي صبري والراحل شعراوي جمعة، وسامي شرف، وضياء الدين داوود... من جهة ثالثة، ومحمد حسنين هيكل الذي كان يعتبر علاقته مع عبد الناصر شخصية اكثر منها عامة، من جهة رابعة... فهيكل يبدو غريبا في هذه الصورة بدون علاقته مع الرئيس

---

(40) المرجع السابق.

الراحل».[41]

اننا نستنتج من هذه الرؤى المختلفة، ان هيكل كان يحافظ على خصوصية تميزه، حيث كان يشكل ما يمكن تسميته ب«كتلة - فرد» فهو بمفرده يمثل جناحا باكمله، اعتمد على صداقة عبد الناصر الشخصية ليستطيع ان يعمل داخل النظام بدون ان يضرب من قبل الاخرين، واذا استبعدنا موقف الدكتور فؤاد زكريا - الناقد بشدة - لهيكل، وقلصنا من رؤية لطفي الخولي - وهو احد تلامذة هيكل - في محاولة الايحاء بأن هيكل هو الرجل الثاني.[42] فان رؤية سامي شرف - رغم خلافه الكبير مع هيكل الذي انحاز الى السادات في ماي 1971 - تصبح الأقرب الى رسم صورة حقيقية لموقع الصحفي داخل منظومة الدولة.

لقد كان هيكل، يمثل قطبا بمفرده، او ربما بمؤسسة الاعلام الضخمة التي قادها، وكانت علاقته رأسا بعبد الناصر هي مصدر قوته.

بقي ان نلاحظ مع محمد فائق الذي قال: «ان الجميع كانوا وطنيين مخلصين لبلدهم، فلا مجال للقول أن زكريا محي الدين مثلا هو رجل امريكا، او كذلك هيكل، او ان علي صبري هو رجل السوفيات... جميعهم كانوا وطنيين فقط ان عبد الناصر كان يعطي بعض الادوار لبعض الافراد...».[43]

---

(41) سامي شرف مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(42) عادة في الانظمة التي ترأسها شخصيات «كاريزماتية» من نوع عبد الناصر، ما تتلاشى فيها مسالة الرجل الثاني، حيث تطغى شخصية الزعيم على الجميع وطغيانها يتجاوز المسالة الادارية الى بعد بسيكو لوجي معقد.

(43) محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

وأخيرا يلخص أحمد حمروش الصورة قائلا: «ومهما بلغ الضيق والتوتر والخلاف بين هؤلاء الأعوان، فان وجود عبد الناصر كان كفيلا بتهدئة الأمور ولجوء الجميع اليه... وهو زعيم يجيد لعبة التوازن...».(44)

كان عبد الناصر يمثل صمام الأمان وبرحيله عن الدنيا، يكون صمام الأمان قد رحل معه، ويصبح انفجار الصراع وشيكا.

---

(44) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، الحلقة الرابعة، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 22 - 12 - 1986.

الفصل الثالث

هيكل - العهد الساداتي: التحالف

يوم 28 سبتمبر 1970، يرحل الرئيس جمال عبد الناصر عن الدنيا تاركا وراءه دولة في حالة حربه تمر بأدق مراحل وجودها، وكان أنور السادات، يشغل خطة نائب رئيس الجمهورية، وهي تخول له رئاسة الدولة مباشرة بمجرد رحيل رئيسها السابق. وكان على عملية الانتقال هذه ان تمر «بسلام»... ويصف سامي شرف ليلة الوفاة قائلا:

1 - الانحياز الى السادات

«بعد الوفاة واقرارها من قبل الاطباء، حصل اجتماع في بيت الرئيس الراحل عبد الناصر، تحديدا في الصالون التحتي، وحضره أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري وشعراوي جمعة، والفريق محمد فوزي ومحمد حسنين هيكل وانا، ولا اذكر ان كان أمين هويدي معنا ام لا، وتم نقاش سريع، حيث كنا جميعا في حالة ارتباك وما وقع تناوله، كان مجرد رأس موضوع حول «ماذا بعد؟»، وبدون اي تردد وبدون اي نقاش أحادي او مزايدة، اتفقنا جميعا على سيادة الشرعية، حتى يضرب المثل للشعب المصري وللامة العربية وللعالم، ان هناك مؤسسات تركها عبد الناصر قادرة في غيابه ان تسير الامور وفق ما كان يريد.

وبعد ذلك اتفق على عقد اجتماع مشترك بين اللجنة التنفيذية العليا

للاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء»[1]

وتتفق هذه الرواية تقريبا مع ما قاله هيكل، حيث ذكر: «وكنا في غرفة الصالون الصغير مجموعة متباينة المواقف والاهداف، لكن مفاجأة ومأساة الرحيل رفعت الكل - انصافا للتاريخ - الى مستوى يستحق التسجيل.

كان هناك السادة أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف ومحمد احمد واللواء الليثي ناصف وانا.

وكانت هناك فترة صمت ثقيل، وأحسست انني استطيع ان اتكلم فقد كنت أمام الكل من أقرب الناس الى جمال عبد الناصر ثم انني كنت من أبعد الناس عن صراعات السلطة، فالكل يعرف انني أحصر طموحي كله في اطار مهنتي... وقلت «ان أهم شيء الآن هو الاستمرار وأن نحاول قدر ما نستطيع ملء الفراغ بعده»، ثم قلت: «لابد أن نختار رئيسا يتولى السلطة - ولو مؤقتا - على الفور، ولابد في اختيار هذا الرئيس ان نتبع قاعدة موضوعة سلفا، فليس الوقت ملائما لوضع قواعد جديدة ولا هو وقت فتح الباب لصراعات بين الافراد.

واذا اتفقنا على ذلك فان القاعدة الوحيدة التي اعتقد أنها تحكم موقفنا هي الاحتكام الى الدستور، والشيء الاخر الذي أراه ضروريا بعد أن نتصرف خطوة خطوة حتى لا نفتح الباب لمساومات وصفقات قد تكون خطيرة في اثرها، ان جمال عبد الناصر كان يشغل ثلاث مناصب رئيسية: رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكي ورئاسة الوزارة، واذا فتحنا ثلاثة أبواب

---

(1) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

الآن فقد نجد انفسنا امام مآزق متشابكة، ولذلك فانني اقترح أن تكون هناك «خطوة واحدة في الوقت الواحد» وقلت بالانجليزية «one step at a time».

واذن ننتهي من انتخابات رئيس الجمهورية، ثم يجيء دور اختيار رئيس الوزراء، ثم يختار التنظيم السياسي رئيسه».(2)

وعن رد فعل السادات، لما قاله، يؤكد هيكل «ان انور السادات استراح لما قلت، وللانصاف فان احدا لم يعارض كان الكل على مستوى المسؤولية في تلك اللحظة الحرجة».(3)

وواصل هيكل كلامه باقتراح أن ينتقلوا الى مكان آخر وان يعقدوا اجتماعا مشتركا للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ولمجلس الوزراء، ومن هنا يعلن نبأ رحيل عبد الناصر على الأمة ثم تتخذ القرارات المطلوبة.

وكان قد أعد بيان اعلان الرحيل، واتصل - كوزير للارشاد- بأحد كبار المسؤولين معه في وزارة الارشاد - وهو الدكتور عبد الملك عودة - وطلب اليه أن يوقف اذاعة البرامج العادية في الراديو والتلفزيون وأن تتحول جميع المحطات الى اذاعة القرآن الكريم.

وقرأ البيان على المجلس المشترك وأقره من فيه، واقترح أنور السادات ان يتوجه هيكل الى مبنى التلفزيون لاذاعته... لكن هذا الاخير رد قائلا «انني اقترح ان يتولى السيد أنور السادات بنفسه اذاعة البيان لكي يعرف

---

(2) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق، ص ص 34 - 350 - 351.

(3) المصدر السابق، ص 351.

الناس ان انتقال السلطة قد تم بسلام»[4]

ووافق الجميع، وقام الرئيس السادات مع هيكل وتركا الاجتماع مستمرا يناقش قضية هامة طرحت من أجل كفالة الاستمرار وهي: «هل يتولى الرئيس المؤقت سلطته لستين يوما أم نختاره مرشحا على الفور ونعرض اسمه للاستفتاء العام؟» وكان واضحا ان الاتجاه الراجح يميل الى الرأي الثاني من منطق تأكيد الاستمرار. وربما كانت هناك تصورات اخرى.[5]

ويوم الثالث من أكتوبر 1970، كتب للرئيس السادات استقالته من الوزارة، وبعث بها اليه، وحاول السادات ملحا اقناعه بالعدول عنها، وسهرا ليلة حتى قرب الفجر.

كانت وجهة نظره أنه في حاجة الى هيكل، ثم من ناحية اخرى قال له «ماذا يقول الرأي العام اذا عرف أن أقرب الناس الى جمال عبد الناصر استقال بعد ثلاثة ايام من رئاسة أنور السادات»، وكانت وجهة نظر هيكل، أنه موجود تحت تصرفه، وأنه لا يستقيل الا من الوزارة ولكنه باق في الأهرام، وهناك في حقيقة الامر مكانه الطبيعي، وأضاف له: «انني ألمح من بعيد صراعات سلطة، فان الكل بدأ يفيق من الصدمة، وفي الاهرام استطيع ان أكون بعيدا عن الصراعات، ثم انني من هناك استطيع - اكثر مما استطيع في الوزارة - ان اشارك في حوار الحوادث والتطورات طليق اليد ومتحررا»[6].

---

(4) المصدر السابق - ص ص 351 - 352.

(5) المصدر السابق - ص 352.

(6) المصدر السابق - ص 353.

وبعد مناقشات امتدت معه ست ساعات طلب منه - مادام مصرا على الاستقالة - أن يبقى معه حتى يتم الاستفتاء على رئاسته، وهو ما حدث فعلا[7]، حيث بقي في الوزارة الى ما بعد أيام الاستفتاء على السادات لكي يكون «مشرفا على ادارة الحملة الانتخابية لرئاسته في وجه تيارات كان لها في ذلك الوقت آراء معاكسة».[8]

ويعتقد هيكل انه لعب «دورا مؤثرا - سواء كوزير للارشاد او كعضو في مجلس الامن القومي وقتها، او كرئيس لتحرير الاهرام - في المداولات والمشاورات السياسية التي ادت الى اختيار السادات رئيسا للجمهورية بعد رحيل جمال عبد الناصر».[9]

ويعلل هيكل فيما بعد مساندته للرئيس السادات قائلا: «وأظن ايضا انني لم اكن غافلا عن بعض اسباب القصور فيه لكنني تصورت ان اعباء المنصب ووقر المسؤولية سوف تقوي كل العناصر الايجابية في شخصيته، وسوف تساعده في التغلب على جوانب الضعف فيها، كان في ذهني باستمرار نموذج الرئيس الامريكي هاري ترومان...».[10]

ثم دفعت هذه المساندة هيكل الى الانحياز نهائيا الى صف الرئيس السادات، في مواجهة المجموعة «الاشتراكية» الاخرى.

---

(7) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 138.

(8) المصدر السابق - ص 257.

(9) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات، مصدر سابق - ص 6.

(10) نقلا عن فؤاد زكريا، كم عمر الغضب؟ او هيكل وازمة العقل العربي، مرجع سابق - ص 79.

2 - دوره في أحداث 1971[11]

لم تكن أحداث ماي 1971 مسألة عادية في تاريخ مصر والوطن العربي، وانما شكلت منعرجا حاسما في تاريخ المنطقة، حيث تحولت مصر من «أقصى اليسار» الى «أقصى اليمين» ومن معسكر «قوى التحرر والاشتراكية» الى معسكر «التبعية الى الولايات المتحدة الامريكية».

وحقيقة، يبدو ان لهذه الاحداث جذورا أكيدة ممتدة في العهد الناصري نفسه، فالضراع بين الكتل تطور بعد رحيل عبد الناصر «صمام الامان» وانفجر بين خطين أساسيين، الاول يمثله أنور السادات، والثاني تمثله مجموعة «الاشتراكيين» في الحكم.

وفيما يتعلق بحقيقة ما حدث في هذا الشهر (ماي) المصيري، فان روايات كثيرة تحاول ان تجيب على السؤال، وسنعرض بعض منها، مع ضرورة تأكيد ملاحظة جوهرية، وهي ان الشهادات التي جمعناها من رجال عبد الناصر، تمت مؤخرا (أوت 1991)، وفي هذا الظرف تصالح هيكل معهم، واقتربوا منه متجاوزين خلافات الماضي، وهو ما سيؤثر بشكل او بآخر على ما سيقولونه.

---

(11) احداث 15 ماي 1971، يلاحظ الباحث ان هذا التعبير يستخدم باشكال مختلفة، فالسادات وانصاره يسمونها، «ثورة مايو التصحيحية»، ورجال عبد الناصر الذين دخلوا السجن اثناءها يسمونها «انقلاب مايو» ورأينا نحن استخدام تعبير «احداث ماي» محافظة منا على موضوعية التحليل.

يذكر محمد فائق[12]: «ان القول بان احداث مايو 1971، هي انقسام بين مجموعتين قول خاطئ، لان هذه المجموعة لم تكن مجموعة واحدة، في حين كان السادات يخطط للابتعاد عن الثورة والانقلاب عليها، وكان يدرك ان هذه المجموعة ستواجهه... وعندما اصطدمت عناصرها به، كانت فرادى، فالبعض معترض على الوحدة مع ليبيا وكانوا ضد توقيتها... ان انقلاب مايو هو انقلاب قصر، فالسادات سجن كل معارضيه، وادعى محاولة انقلابهم، وذلك غير صحيح، لان الذي حدث، هو أننا عارضنا السادات في توجهاته:

- أولا: في الاعتقاد بان امريكا في يدها الحل

- ثانيا: في تأجيل المعركة، فالسادات كان يرى بامكانية تحرير الارض عن طريق المفاوضات، وكنا نعلم ان هذا أمر مستحيل.

- ثالثا: كان يريد حل الاتحاد الاشتراكي، ووضع عناصر جديدة موالية له فيه.

... ويجب ان نلاحظ ان هذه المجموعة لم تكن تعمل في انسجام، اما السادات فهو رجل مناور وقبل ان يقوم بانقلابه حاول كسب بعض الحلفاء مثل محمد حسنين هيكل، الذي أوهمه بان المجموعة تريد به شرا، واوهم كل واحد فينا بان الاخر يتآمر عليه... والمتأكد منه ان هيكل لم يكن يعلم ان السادات سينحرف كل هذا الانحراف، ولا

(12) حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات اشغال شاقة قضاها كاملة في السجن، وخرج سنة 1981، ثم اعتقل في احداث سبتمبر 1981، قبل اغتيال السادات بشهر.

اعتقد ان هيكل كان يتصور امكانية حدوث ثورة مضادة ضد عبد الناصر والناصرية».[13]

أما ضياء الدين داوود[14] فيشرح الأحداث كالتالي: «ولما جاءت أحداث مايو 1971، بدأت هذه الخلافات تطفح على السطح، فاذا انتصرت مجموعة مايو وسيطرت على السادات، فذلك كان سيشكل خطرا بالنسبة لهيكل، ومن ثمة كان أقرب الى السادات، وقال البعض، او هو قال انه مهندس هذه الاحداث، تقديرا منه ان هذا قد يفتح له بابا أوسع للتأثير على الرئيس.

وفي رأيي، وقعنا في خطأ مشترك، وهو تصور المدى الذي قد يصل اليه السادات، وطبعا هيكل رجل ذكي، وبالضرورة كان لديه بعض الملامح من شخصية السادات، لكن لا اعتقد أنه ظن أن السادات سيصل الى ما وصل اليه في الانقلاب على عبد الناصر ومنجزات الثورة».[15]

متى وكيف انحاز هيكل الى السادات في أحداث ماي 1971؟ سامي شرف[16] يشرح هذه النقطة قائلا: «حتى آخر لحظة كان من الصعب

(13) محمد فائق، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

(14) حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، اشغال شاقة.

(15) ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(16) سامي شرف حكم عليه بالاعدام ثم خففه السادات الى الاشغال الشاقة المؤبدة وخرج من السجن سنة 1981.

ان نحدد موقع محمد حسنين هيكل، لغاية الفترة الممتدة من 20 أبريل (أفريل) الى 15 مايو 1971، حيث تأكد لي شخصيا ذلك، ففي يوم 19 أو 20 أبريل كنت والراحل شعراوي جمعة (وزير الداخلية) في مكتب هيكل، الذي طرح موضوعا قال في آخره «انت رئيس الوزراء القادم يا شعراوي»، أنا فوجئت بهذا الخبر، بينما سعد به شعراوي، وعندما خرجنا من عند هيكل قلت له «ايه الكلام ده يا شعراوي، هو هيكل حيعينك انت رئيس وزراء!» لكنه سكت، وفي اليوم الموالي قابلته وقلت له «لقد فكرت طوال البارحة، واستنتجت ان هناك عملية تخدير لك» ذلك أن هيكل رشح الدكتور فوزي لرئاسة الوزارة واصر على تعيينه بعد وفاة عبد الناصر، علما أن الدكتور فوزي ليس كما قدمه هيكل من خلال كتاباته. كما استخدم هيكل احد الصحفيين في جريدة «الأهرام» واسمه عبدو مباشر، وكان مراسلا حربيا ومندوب «الأهرام» في الدوائر العسكرية، وكان له مكتبا في مبنى المخابرات العسكرية، وكانت علاقته بالفريق محمد صادق قوية، حيث كاد يقوم له بدعاية صحفية...

ولما انتقل الفريق صادق الى رئاسة الأركان، انتقل معه عبدو مباشر، ومن خلال هذه العلاقة ربطت الخيوط بين هيكل والفريق صادق، ولم نكن نتابعها، وبعدما دخلنا السجن عرفنا ان علاقة قوية كانت بينهما...

واعتقد، أن أهم دور هام به هيكل في انقلاب مايو 1971، تمثل في تخدير شعراوي جمعة، حيث لم يكن على المسرح سواه، فعلاقته بعلي صبري كانت سيئة، وحسين الشافعي والفريق محمد فوزي كان أمرهما محسوما كخصوم لهيكل والسادات، وهو يعلم ان شعراوي وسامي قريبين من بعض، والى حد وفاته رفض شعراوي الحديث في هذه النقطة الغامضة، ولم أكن

أقدر أن أجبره على الكلام...».[17]

وكان الصراع بين هيكل ومجموعة «الاشتراكيين» بدأ منذ كتب مقاليه في الأهرام، الأول «تحية الى الرجال» والثاني «عبد الناصر ليس أسطورة»، وحول المقال الأول يعتقد سامي شرف أن هيكل كان «في داخله متخوفا من الحرب، هذا الخوف قاده الى أن يترجم هذا الاحساس الى تعبير قدمه للرأي العام. والرجل صحفي يكتب، وكان دائما يحذر وينبه الى عدم الاستعداد الكامل، والى صعوبة المعركة، ونحن كمؤسسة رئاسة ومؤسسة عسكرية قررنا الحرب، ولا يهمنا ان نترك مثل هذا الحديث ينشر، فربما يضلل العدو، لكن ما يهمنا هو ان لا تهتز الروح المعنوية للمقاتل، هنا نقول له: قف، لا تتجاوز حدودك وهذا باختصار ما كان عليه تفكيرنا.

أما المقال الثاني المتعلق «بعبد الناصر ليس أسطورة» فاعتقد أن هيكل له حق في جانب من القضية وليس له أي حق في الجانب الاخر.

له حق عندما يقول ان عبد الناصر ليس أسطورة، بمعنى انه لم يكن آلهة أو شيئا يعبد، ونحن نسيء الى عبد الناصر اذا اعتبرناه صنما معبودا... فالرجل كان انسانا يخطىء ويصيب... ولكن بعض الاخوة اخذوا الموضوع من زاوية عاطفية فاعتبروا ان هيكل يريد أن «يغير جلده»، وحقيقة لم يكن ذلك صحيحا، وهو ليس دفاعا عن هيكل».[18]

(17) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

(18) المرجع السابق.

والمتأكد منه، أن هذين المقالين كانا لهما دور كبير في «فرز قوي الصراع»» ويروي عبد الله امام[19]، ما حدث من ردود أفعال قائلا: «وكان هذا المقال (عبد الناصر ليس أسطورة) موضع مناقشة في أول اجتماع للجنة العليا بعد الأربعين عندما أعد الدكتور لبيب شقير مذكرة عرضها على اللجنة برأيه فيما كتبه هيكل وناقشها أعضاء اللجنة ووافقوا على ما جاء فيها... فيما عدا الدكتور محمود فوزي الذي آثر الصمت ولم يبد رأيا لا مع هيكل ولا ضده. وأجل السادات المناقشة الى جلسة تالية، وهي الجلسة التي حضرها هيكل وواجهه د. لبيب شقير برأي اللجنة وقال هيكل: هل تعني أنني خائن... وقال د. لبيب شقير: لماذا تصل الأمور الى هذا الحد، لا أحد يتهمك بالخيانة، ولكننا نرى أن في هذا المقال اشارة للبدء في الهجوم على تجربة عبد الناصر في وقت نحتاج فيه الى تضافر كل الجهود وعدم جذب الناس الى معارك جانبية... اننا في مجال تحديد المواقف.

وخرج هيكل، وتكلم حسين الشافعي (نائب الرئيس) فهاجم هيكل هجوما شديدا.

وسأل ضياء الدين، داوود هل يعتبر هيكل المتحدث الرسمي باسم الدولة وان ما يكتبه يعبر عنها...

---

(19) عبد الله امام، صحفي وكاتب ناصري مشهور، الف كتابا بعنوان «انقلاب 15مايو، القصة الكاملة» لمزيد من التوسع في هذا الفصل يرجى العودة اليه، خاصة وقد تضمن تقريبا كل وجهات النظر المختلفة.

ورد السادات بأن الاهرام جريدة واسعة الانتشار ويمكن ان نوحي اليها بما نريد، أما ما يكتبه هيكل فهو اجتهاد شخصي...».[20]

كما كتب مقالا في مارس 1971 بعنوان «تحية الى الرجال»،وعدد فيه المخاطر التي يمكن ان يواجهها المقاتل المصري اثناء عبور قناة السويس.

ويقول ضياء الدين داوود، «أنني عندما قرأت مقال هيكل وجدته دعوة الى اليأس في وقت نطلب فيه رفع الروح المعنوية ونحن نستعد للحرب...

وذهبت الى أنور السادات وقلت له رأيي، فقال أنه قرأ المقال ولم يأخذ منه هذا الانطباع، وأنه لذلك سوف يعيد قراءة المقال.

ورأينا ان نردعلى المقال في جريدة «الجمهورية» التي كان يشرف عليها فتحي غانم احد المسؤولين في التنظيم الطليعي، وكتب عبد الهادي ناصف عضو اللجنة المركزية ومسؤول التثقيف فيها مقالا تحت عنوان «تحية مردودة من الرجال الى الاستاذ هيكل»... ».[21]

ويرد هيكل على هذا الاتهام بقوله: «انني كتبت هذا المقال في اعقاب رحلة الى اوروبا تكشف لي خلالها معلومات وثيقة عن خطة العدو في مقابلة اي هجوم نقوم به نحن، وكانت هذه الخطة هي موضوع المقال في الواقع.

---

(20) عبد الله امام، انقلاب 15 مايو القصة الكاملة، دار الموقف العربي، القاهرة، 1983، ص ص 132 - 133.

(21) المرجع السابق - ص ص 133 - 134.

لقد اعتقدت - ومازلت اعتقد - ان نشر هذا المقال كان خدمة وطنية، فاي شيء أنفع لجيش وشعب يقفان على أبواب معركة من ان تكون امامهما صورة واضحة لاوضاع الطرف الاخر في مواجهة السلاح...

ان الادعاء بان ما جاء في المقال مثبط للروح المعنوية لا يمكن ان يكون صحيحا لان الشعوب المناضلة تحتاج الى الحقيقة اكثر مما تحتاج الى شيء آخر لان معرفتها بالحقيقة هي التي تمكنها من حشد الطاقات اللازمة لمواجهتها».[22]

أما تفاصيل احداث ماي 1971، فان رواية هيكل لها تقول: «لقد تفجر ذلك الصراع على السلطة في جلسة عقدتها اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي يوم 21 أبريل، ويومها شن عل صبري، (نائب رئيس الجمهورية) - وهو واحد من أعنف مهاجمي السادات - هجوما عنيفا على مشروع وحدة مقترح بين مصر وسوريا وليبيا، ولم يكن الخلاف على مشروع الوحدة - في الواقع - الا غطاء للخلافات الحقيقية حول السلطة. كان السادات يبدو متحمسا للمشروع، وفي نيته أن تغيير شكل الدولة سوف يعطيه الفرصة لاعادة تكوين مؤسسات السلطة، كاللجنة المركزية ومجلس الامة.

وكانت الاغلبية الساحقة في هاتين المؤسستين لمجموعة مراكز القوى التي تسيطر على الاتحاد الاشتراكي.

---

(22) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 153.

ومن جانبهم هم فانهم استطاعوا استكشاف نواياه الدفينة، وبالتالي فقد عارضوا المشروع، ليس كرها في الوحدة، ولكن ابقاءا على ما هو قائم في مؤسسات الحكم.

وهكذا تفجر الصراع في تلك الجلسة من جلسات اللجنة المركزية، وكانت الاغلبية كلها على الجانب الاخر.

ولقد ارتفعت ثلاث أيدي فقط تؤيده عند الاقتراع على المشروع، بينما كان باقي الاعضاء - اكثر من ثلاثمائة يقفون مع الجانب بالآخر، وبدا أن انقساما عميقا قد وقع، وجاء اقتراح برفع جلسة اللجنة المركزية وعقد اجتماع طارىء وعاجل للجنة التنفيذية العليا لم يسفر هو الاخر عن شيء الا تكريس الانقسام وكان معروفا ان الفريق «محمد فوزي» وزير الحربية يقف مع الجانب الاخر، اي مع المعسكر الذي يضم خصوم السادات».[23]

ويضيف هيكل: «ولكن الليلة التي كانت حاسمة في الصراع كله هي ليلة 11 مايو 1971، ففي تلك الليلة وصل الى بيت أنور السادات بعد منتصف الليل ضابط بوليس يعمل في ادارة الرقابة على التليفونات بوزارة الداخلية، وكان يحمل معه مجموعة من الاشرطة المسجلة تكشف بوضوح ان كل تليفونات الرئيس كانت مراقبة... ولم يكن تليفونه هو تحت الرقابة، ولكن الرقابة وضعت تليفونات جميع الذين يتصل بهم بغير استثناء، وبالتالي فقد

(23) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات، مصدر سابق - ص 107.

كان هو تحت الرقابة الكاملة وان لم يوضع تليفونه هو بالتحديد في كشف المراقبات.

وفي صباح يوم 11 مايو أرسل الى ابنته الكبرى في بيتي القريب من بيته يستدعيني لامر هام.

ودهشت انه لم يستعمل التلفون في دعوتي وانه ارسل ابنته الكبرى لاستدعائي في هذا الوقت الباكر من الصباح، وذهبت اليه... وسالته مندهشا عما جرى، وكان رده: «اجلس واسمع» وجلست وسمعت واحسست بخطورة الموقف، واقترحت عليه ان يشرك معنا في السر الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء في ذلك الوقت...

ولم يكن هناك وقت، فقد كان مقررا في ذلك اليوم ان يمر الفريق «فوزي» على الرئيس «السادات» لكي يصحبه الى اجتماع مع قيادة القوات المسلحة... ونصحته بان يذهب الى اجتماعه مع الفريق فوزي، وان يحضر اجتماع قادة القوات المسلحة كما كان مقررا، كما نصحته ايضا ان ينتهز فرصة يتأكد فيها من موقف الفريق محمد صادق رئيس اركان حرب القوات المسلحة، واتفقنا على لقاء مساء ذلك اليوم نعاود فيه بحث الامر على أن يشترك معنا في البحث الدكتور فوزي»[24].

---

(24) المصدر السابق - ص 108.

وحول دور القوات المسلحة في اي احداث قد تقع، ذكر هيكل: «كان واضحا لي، كما كان واضحا للكل، ان موقف القوات المسلحة في هذا الصراع سوف يكون هو الموقف الحاسم، وكنت أتصور انه لو أرادت مجموعة مراكز القوى ان تتحرك ضد رئيس الجمهورية، فليس امامها الا القوات المسلحة تستغلها، اما باستعمالها مباشرة او تحييدها تماما من الصراع».[25]

ويضيف: «ولقد أحسست بأول نذير ينبىء بالاحتمالات القادمة حينما همس الفريق محمد صادق في أذني مرة أثناء لقائي معه «قل لهذا الرجل ان يصحو من نومه وان يأخذ حذره وعلى اثر هذه الملاحظة العابرة فان نصيحتي للرئيس السادات كانت ان يبقي خطوطه مع الفريق صادق مفتوحة وان يحاول شخصيا ان يتأكد من موقف اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري... وهكذا فان اتصالا مباشرا بين رئيس الجمهورية وقائد الحرس بدا لي ضروريا وهكذا كانت نصيحتي له، وهكذا فعل».[26]

«كان أنور السادات - والى اللحظة الاخيرة - تحت الانطباع بان الفريق صادق اقرب الى مجموعة مراكز القوى منه اليه، وكانت تأكيداتي له تلك الليلة بناءا على ما كنت اسمعه من الفريق صادق في عدة لقاءات سابقة، ان الامر ليس كذلك وفي تلك اللحظات الحرجة مساء يوم 13 مايو، لم يكن لدى السادات وقت طويل للتردد وهكذا فانه

(25) المصدر السابق - ص 108.

(26) المصدر السابق - ص ص 112 - 113.

اتصل بالفريق صادق تليفونيا وسأله عن الموقف وطمأنه الفريق صادق، وأخطره السادات بالتليفون بانه عينه وزيرا للحربية».[27]

وسبق هذا الاجراء بساعات حدوث استقالة جماعية قدمتها مجموعة ماي (شعراوي جمعة، سامي شرف، ضياء الدين داوود، محمد فائق والفريق اول محمد فوزي)، وتحركت قوات الحرس الجمهوري بقيادة الليثي ناصف والمخابرات العسكرية واعتقلتهم جميعا وحوكموا.

وعندما اراد السادات ان يقدم خطابا للمواطنين يشرح فيه ظروف الاحداث وطبيعتها، قال له هيكل: «انني أتصور ان القضية المركزية فيما يتعلق بهذا الصراع هي قضية الديمقراطية، فهي القضية التي تهم الناس مباشرة في هذه الظروف، ان الناس يريدون ان يسمعوه وهو يؤكد لهم ضمانات حرياتهم. لقد افلتوا بالكاد من شبح دكتاتورية كان يمكن ان تصل في تجاوزاتها الى بعيد».[28]

ويرى احمد حمروش، ان «هيكل كان في الصدام المنتظر بين أنور السادات ومجموعة مايو يزن الامور بميزان خاص... فهو لم يكن يعلم - عن يقين - من الذي سينتصر في الصراع... ولم يكن واثقا اي من الطرفين يمكن ان يكون اكثر تعبيرا عن افكاره...

---

(27) المصدر السابق - ص 115.

(28) المصدر السابق - ص 116.

وكانت حركته - فيما فهمت - مرتبطة بأمنه وحريته وقدرته على التعبير، ويخطىء من يتصور ان العلاقة بين هيكل وافراد هذه المجموعة كانت سيئة الى حد الصدام... شعراوي جمعة وزير الداخلية وأمين التنظيم كان يتصل به كل صباح.

وكان أفراد المجموعة يريدون ان يكون هيكل اكثر ارتباطا بهم.

يقول محمد حسنين هيكل: «انه بعد الاجتماع الذي عقد في الليلة السابقة لتشييع جنازة جمال عبد الناصر لما يمكن ان يحدثه ذلك من ردود فعل عنيفة حول السعي من اجل السلطة... وانفعل وقتها سامي شرف وقال محتجا على رغبة هيكل في الاستقالة «اما ان نبقى جميعا او نخرج جميعا»...

فلم تكن مجموعة مايو - ان صحت التسمية - على عداء مع هيكل في ذلك الوقت».[29]

ويستنتج سامي شرف من احداث ماي 1971، «ان محمد حسنين هيكل كان يخاف من الرجال الاقوياء القريبين من عبد الناصر مثل علي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف، فحاول أن يبرز آخرين، شخصياتهم باهتة من نوع الدكتور محمود فوزي».[30]

ورغم ذلك «لا اعتقد انه مهندس احداث مايو 1971 كما أعلن[31].

(29) احمد حمروش، «زيارة جديدة لهيكل»، الحلقة الرابعة، مجلة «روز اليوسف» المصرية، عدد 22 - 12 - 1986، مرجع سابق.
(30) سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.
(31) المرجع السابق.

بعد الاطلاع على هذه الروايات المختلفة، بما فيها رواية هيكل لاحداث ماي 1971 يمكن ان نصل الى بعض الاستنتاجات:

أولا: لم يكن هيكل في قطيعة حادة مع رجال ماي، وانما كان امنه الشخصي من الدوافع التي جعلته لا يتحالف معها، خاصة وقد وصلته مؤشرات - وهو رجل معلومات متقدم - تقول بانهم في خانة الخسارة.

ثانيا: اقترب وتحالف مع السادات، لان المجموعة الاخرى، كانت له خلافات معها، ترجع الى عهد عبد الناصر نفسه.

ثالثا: تعود هيكل طيلة ثمانية عشر عاما ان يكون في موقع القريب من الرئيس، بدون وزارة، وهو اليوم لا يستطيع الا ان يكون كذلك.

رابعا: دوره في احداث ماي، تمثل في «تخدير» شعراوي جمعة حسب رواية سامي شرف.

خامسا: وتمثل ايضا في ربط علاقة مع الفريق محمد صادق رئيس اركان حرب القوات المسلحة، وهي رواية هيكل نفسه وسامي شرف.

سادسا: في اعطاء فلسفة خاصة للاحداث، وهي الدفاع عن الديمقراطية ضد دكتاتورية «مجموعة مايو».

3 - تغطية أحداث ماي صحفيا

بعد ان ادى هيكل ادواره التي حددها لنفسه في احداث ماي 1971، شن حملة صحفية دعائية، ضد مجموعة ماي، ولصالح الرئيس «المنتصر» أنور السادات، قال فيها، ومنذ الاسبوع الاول من الاحداث.

«لقد عشت لحظة التفجير، ومن حسن الحظ ان التدمير لم يقع، وتلك

شهادة تاريخية لانور السادات وشجاعته الادبية والمادية في لحظمات بالغة الصعوبة والخطر».[32]

ثم كتب: «لقد كنت أول من دعاه الرئيس أنور السادات الى بيته صباح الاربعاء 12 مايو، ولم يستدعني بالتلفون كما تعود ان يفعل، ولكنه بعث الى بكريمته تدق باب بيتي في الصباح الباكر».[33]

كذلك: «كان أنور السادات في هذه الساعة الحاسمة من التاريخ هائلا باكثر مما يستطيع ان يتصو أو يصف احد.

كانت قراراته لمواجهة التطورات المفاجئة، مزيجا مدهشا من الهدوء والحسم».[34]

أيضا «كانت لحظة حاسمة في تاريخ مصر... وكانت لحظة رائعة ونبيلة».[35]

وبعد أسبوع آخر، كتب «كان أنور السادات صادقا ولم يكونوا صادقين».[36]

ثم، «كان أنور السادات يتصرف على سجيته... سجية مصري أصيل مفتوح القلب والعقل معا».[37]

---

(32) مقال بعنوان «ماذا اقول؟»، صحيفة «الاهرام»، عدد 21 - 5 - 1971.

(33) المصدر السابق.

(34) المصدر السابق.

(35) المصدر السابق.

(36) مقال بعنوان «السؤال الاول الاكبر» الاهرام عدد 28 - 5 - 1971.

(37) المصدر السابق.

كذلك: «حدثت المعجزة في المرة الثانية التي استفقنا الان من هولها بسبب ان مواطنا تحرك ضميره فذهب باشرطته في الليل الى رئيس الجمهورية يضع الحقيقة تحت تصرفه، ثم كانت بعد ذلك شجاعة رجل في موقع المسؤولية الاولى تصرف بجرأة نادرة في لحظات خطر محيق».[38]

وبعد مدة من الزمن عاد وكتب «هذه المرحلة هي التي ستجعل من أنور السادات - باذن الله - قائدا تاريخيا لشعبه وامته لان القيادة التاريخية مرتبة اعلى بكثير من الرئاسة مهما كان وصفها».[39]

وعاد مرة أخرى، وكتب «ان قيادة أنور السادات، على طريق جمال عبد الناصر، هي الممثل الشرعي لحركة الثورة الوطنية والقومية في المرحلة الراهنة، وظني أن هذه القيادة، وتأييدها الى آخر المدى هو العاصم الحقيقي في هذه الظروف من جاهلية اليمين المتخلف وجهل اليسار المغامر».[40]

وأضاف: «لقد أثبت أنور السادات ذلك عمليا في معركته ضد مراكز القوى، كان أمامها أعزل من اي سلاح... وكانوا أمامه ومعهم كل أدوات السلطة في مصر، وكنسهم من فوق الارض كنسا لان الجماهير معه».[41]

---

(38) المصدر السابق.

(39) مقال بعنوان «الخطوة الضرورية»، الاهرام عدد 26 - 11 - 1971.

(40) مقال بعنوان «علامات على طريق طويل»، الاهرام عدد 11 - 2 - 1972.

(41) المصدر السابق.

واستمرت العلاقة قوية بين هيكل والسادات، حتى حرب 6 أكتوبر 1973، عندما اعلمه الاخير بالموعد التقريبي للمعركة، وبانه يريد منه ان يشارك في بعض نواحيها السياسية والاعلامية.

وانه يفكر في ان يتفرغ لهذا العمل بجانبه في رئاسة الجمهورية ويترك عمله الصحفي في «الاهرام» وقال له هيكل انه يستطيع ان يؤدي ما يطلبه منه وفي نفس الوقت يواصل عمله الصحفي... ودخلا في تفاصيل الاعداد للعملية العسكرية على جبهة القتال.[42] وكلفه يوم 27 سبتمبر 1973 بان يكتب توجيهه الاستراتيجي الى القائد العام للقوات المسلحة الفريق اول احمد اسماعيل علي، بتحديد الاهداف الاستراتيجية للحرب.[43]

وأثناء الحرب كان ضيفا شبه مقيم في «قصر الطاهرة» الذي اتخذه الرئيس مقر القيادة في ايام الحرب... كان هناك ليلا ونهارا في كل ما يطلبه الرئيس منه في تلك الظروف، واهداه الرئيس مرة علما اسرائيليا ممزقا كان مرفوعا على مقر القيادة الاسرائيلية لخط بارليف الى جانب لفائف مخطوطة من التوراة من سفر الخروج كانت موجودة في هذه القيادة... وقال له ضاحكا: اني اعرف غرامك بجمع مثل هذه الشظايا التاريخية.[44]

ومع انتهاء الحرب، وبداية المفاوضات بين السادات والولايات المتحدة الامريكية و«اسرائيل»، بدأ الخلاف يدب شيئا فشيئا بين هيكل والرئيس حتى وصل حد القطيعة.

---

(42) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 141.

(43) المصدر السابق - ص 142.

(44) المصدر السابق - ص 142.

الفصل الرابع

هيكل - العهد الساداتي: الاختـــلاف

بعد ان تحالف هيكل مع السادات ضد مجموعة ماي، وساهم بأسلوبه في توطيد حكم الرئيس الجديد، فان غيوما كثيرة بدأت تتجمع في سماء العلاقة بين الرجلين، وخلافات عميقة بدأت تتراكم شيئا فشيئا حتى وصلت بالعلاقة الى حد القطيعة النهائية.

1 - أسباب الاختلاف

يعتقد هيكل أن مجموعة الخلافات التي حدثت بينه وبين الرئيس أنور السادات تنحصر اسبابها في:

- اختلاف فيما قاله السادات عن سنة 1971 باعتبارها «سنة الحسم» ولم يرها هيكل كذلك لأكثر من سبب. «وحتى اذا كانت كذلك فلم يكن ينبغي الاعلان».(1)
- اختلاف في الطريقة التي عالج بها مظاهرات الطلبة في أواخر سنة 1971، ولم يكن يرى ان العنف هو وسيلة الحوار مع الشباب.(2)
- اختلاف في علاج موضوع الفتنة الطائفية، فقد كان السادات يرى

---

(1) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 357.

(2) المصدر السابق - ص 357.

تفجير المشكلة، أما هيكل فيراها مشكلة لا تصلح فيها سياسة الصدمات الكهربائية، وانما لابد من علاج حذر لاسبابها وعوارضها، ولجذورها قبل الفروع.[3]

- اختلاف في موضوع الوحدة مع ليبيا، وكان هيكل من انصارها، ويراها مختلفة عن تجربة الوحدة مع سوريا بسبب عنصر الاتصال الجغرافي والسكاني، فهي تشكل عمقا للمعركة بثلاثة آلاف ميل على شاطىء البحر الابيض، كذلك فان الثروة السائلة الليبية تتكامل مع الامكانيات البشرية والطاقة الانتاجية المصرية. وكان السادات يتهمه بالانحياز لمعمر القذافي وهو يعلم انه لم يضع قدما في ليبيا منذ سنة 1970 حين زارها لاخر مرة في صحبة جمال عبد الناصر.[4]

- اختلاف في الطريقة التي راح السادات يجري بها اتصالات خفية مع الولايات المتحدة الامريكية عن طريق قناة اتصال خلفية.[5]

- اختلاف حول الصورة الجديدة لعلاقاته مع بعض العناصر في المملكة العربية السعودية.[6]

- اختلاف حول الطريقة التي جرى بها اخراج الخبراء السوفيات من مصر.[7]

---

(3) المصدر السابق - ص 357.

(4) المصدر السابق - ص 358.

(5) المصدر السابق - ص 358.

(6) المصدر السابق - ص 358.

(7) المصدر السابق - ص 358.

- اختلاف حين اعتذر هيكل عن اجراء مفاوضات سرية مع كيسنجر، لان موقفهم التفاوضي وقتها لم يكن قويا في تقديره، وكذلك لان هدفه من التفاوض لم يكن واضحا امامه.[8]

- اختلاف في قرار السادات بنقل ثمانين صحفيا الى وظائف في مصلحة الاستعلامات، وبينهم بعض ابرز اصحاب القلم (وبينهم من اسرة الاهرام الاستاذ احمد بهاء الدين والدكتور يوسف ادريس والدكتور لويس عوض والاستاذ مكرم محمد احمد والاستاذ زكريا نيل والسيدة أمينة شفيق، الى جانب رئيس قسم المعلومات في الاهرام الاستاذ محمد حمدي)، واعتذر عن تنفيذ القرار فيما يتعلق بالاهرام ووضع امام السادات استقالته.

في هذا كله، كان حريصا على ان يظل الخلاف في حدوده... «فهو رئيس الدولة وصاحب القرار - ولي الحق ان ابدي رأيي - ولكنه المسؤول وحده أولا وأخيرا».[9]

- ثم جاء الخلاف الاكبر حول الادارة السياسية لحرب اكتوبر وكان يرى نتائج الحرب تضيع واحدة بعد واحدة، وراح يكتب رأيه بصراحة لا لبس فيها في مجموعة مقالات امتدت من اكتوبر 1973 الى أول فيفري 1974، وصدرت هذه المقالات في مجموعة واحدة على شكل كتاب فيما بعد تحت عنوان «عند مفترق الطرق».[10]

---

(8) المصدر السابق - ص 358.

(9) المصدر السابق - ص 358.

(10) المصدر السابق - ص 359.

وفي اواخر شهر ديسمبر 1973 طلب السادات من هيكل ان يلتقيا، في نادي الرماة عند سفح الاهرامات وهناك قال له «ان مقالاتك تحدث بلبلة في الرأي العام كله»، وكان السادات قد غضب اشد الغضب من مقال كتبه هيكل بعنوان «أسلوب التفاوض المصري»، وقرأه في طائرة كانت تقله الى السعودية، وعاد من رحلته وقد بلغت ثورته مداها، وذكر له ايضا أنه لم يعد صحفيا وانما اصبح سياسيا ولابد ان يترك الصحافة الى السياسة، وكان من رايه انه ليس من حق الصحفي ان يناقش القرار السياسي فتلك مسؤولية الرئاسة، وكان رأي هيكل ان حرية الصحافة في صميمها هي مناقشة طريقة صنع القرار الى جانب نتائج القرار... ثم خيره بين العمل في الوزارة (نائبا لرئيس الوزراء) او في الرئاسة (مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي).

وكان رد هيكل: «انه يستطيع ان يقرر انه لم يعد يريد بقائي في الاهرام، ولكني وحدي اقرر ماذا أفعل بعد ذلك».

واعتبر ان هيكل يريد ان يملي عليه آراءه ويفرض تصوراته، ثم انتهيا من مشادة حامية وقد ترك له «الفرصة للتفكير».(11)

هذه مجموعة أسباب الاختلاف التي اوردها هيكل، بقي انه يمكن لنا اضافة مجموعة من الاسباب الاخرى المتعلقة برؤية السادات للعلاقة.

فالرئيس أنور السادات، بدأ مبكرا في التخلص من حلفائه الذين ساندوه في توطيد حكمه، وضرب مجموعة ماي، حيث لم تمر سنة على الاحداث حتى قام بازاحة الفريق محمد صادق من قيادة القوات المسلحة،

---

(11) المصدر السابق - ص 359.

وهو اهم شريك له في انتصاره في صراع ماي 1971، كما وجد اللواء الليثي ناصف، القائد السابق للحرس الجمهوري، والذي اعتقل مجموعة ماي، منتحرا من شقته في لندن، حيث القى بنفسه من النافذة في ظروف غامضة، كما سجن حليف السادات محمد عبد السلام الزيات... وكان طبيعيا ان يصل الدور الى محمد حسنين هيكل، فالسادات اتبع خطة ذكية، وهي التخلص من الذين ساعدوه في اقامة حكمه حتى لا يمنون عليه في اي يوم من الايام بأنهم شركاؤه، وحتى لا يمارسون صلاحياتهم القوية التي استمدوها من ادوارهم في احداث ماي 1971... ومهما حاول هيكل ان يتفادى الصراع، فان الصدام كان سيحدث حتما، لان السادات لم يكن في حاجة الى شركاء في السلطة... وكان يسير منذ البداية نحو الانفراد بكل شيء...

2 - محاولة صلح

واجه هيكل الحملة الشرسة التي شنت عليه في الصحافة المصرية بهدوء كبير، متفاديا كل رد فعل متشنج، ومحافظا على بعض الجسور بينه وبين الرئيس أنور السادات.

وهو ما جعل الحملة الموجهة ضده تتوقف في اواخر سنة 1974 والنصف الاول من 1975، وعادت الصلات بينه وبين الرئيس و«أمسك الاخرون أعصابهم».

ففي خريف 1974، اتصل به السادات فجأة وبغير مقدمات يقول له أنه يريد ان يراه، وحدد له موعدا في استراحة الهرم وذهب اليه... وأعاد طلبه في تولي منصبا رسميا، ورفض هيكل ثم قال «... لقد ابتعدنا ستة شهور لم نلتق

فيها، وكان لي موقف من بعض ما حدث، وكان لك موقف، فاذا سمحت لي بمكان ومكانة الصديق فانني استطيع أن أعود للتعرف على مجرى الاحداث وقد نستطيع ان نصل الى تفاهم اعمق»، وكان الرئيس ودودا في قبول رأيه، وهكذا عاد الى الاقتراب منه، واصبح يراه بانتظام ويتحدثان في كل شيء.(12)

وفي تلك الفترة تابع عن قرب محادثاته مع «هنري كيسنجر» في أسوان، وكانت المحاولة الاولى في المرحلة الثانية من فك الاشتباك، ولم تنجح ويتصور هيكل ان مناقشاته مع السادات في مخاطر ما كانت تعرضه اسرائيل في ذلك الوقت كان لها أثر في موقفه، وكان في رأيه أنه أقوى بغير اتفاق منه باتفاق سيء، وتفهم الرئيس رؤيته وتقبلها.(13)

كما تولى كتابة خطابه في مجلس الشعب الذي شرح فيه اسباب فشل الاتفاق.

وقدم له في اطار مشروع هذا الخطاب اقتراح فتح قناة السويس بقرار مصري وارادة مصرية، وكان يتصور ان ذلك يقلل من تلهفه على الوصول الى اتفاق، فقد كان يريد دخل قناة السويس ودخل بترول سيناء.

وقال له هيكل: «بهذا الاقتراح تستطيع بغير اتفاق ان تحصل على نصف ما تريد دون حاجة الى شروط مجحفة».

---

(12) المصدر السابق - ص ص 390 - 391.

(13) المصدر السابق - ص 391.

وقبل رأيه كاملا، وحين رأى اثر فتح قناة السويس على العالم كله كان بالغ السعادة، وكانا يلتقيان كل يوم.(14)

ثم كتب خطابه امام مجلس الشعب عن اعادة تنظيم العمل الداخلي، وكان يريد اسناد رئاسة الوزارة لممدوح سالم».(15)

ومما يدل على انه مازال قريبا من الرئيس، ومازال موضعا للثقة، ان الرئيس السادات، قام وطلبه للقاء في «استراحة القناطر» مساء يوم 11 أفريل 1975، وهناك عرض عليه منصب نائب رئيس الوزراء للاعلام في وزارة ممدوح سالم التي كان يجري تشكيلها في ذلك الوقت... ووجد أنه مناسب ولائق ان يذهب الى الرئيس ظهر يوم 14 أفريل ليرجوه نهائيا اعفاءه من قبول هذا المنصب لعدة اسباب... وتصور السادات انه لا يريد العمل في الوزارة فعرض عليه ان يكون مديرا لمكتب رئيس الجمهورية بدرجة نائب رئيس الوزراء، ومرة اخرى اعتذر.(16)

لكن لم يستطع هيكل ان يبقى على علاقة جيدة مع السادات، فأصبحت علاقتهما تزداد توترا كل يوم.

3 - القطيعــة

عندما ظهر كتاب هيكل «الطريق الى رمضان» اعتبر السادات ان الكتاب لم يعطه حقه وكان هذا حكما بناه على بعض ما نشرته الصحف من

---

(14) المصدر السابق - ص 392.

(15) المصدر السابق - ص 392.

(16) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 261.

أجزاء الكتاب.[17]

وبعد نشره في لندن في شهر ماي 1975، شنت عليه الصحف المصرية حملة عنيفة وكان ذلك بمقولة انه زيف التاريخ.[18] وذلك بعد ان اتهمه الرئيس السادات في كل خطبه بهذه التهمة، ثم اتهمته هذه الصحف بالعمالة للمخابرات المركزية الامريكية، مستشهدة «بخروتشوف» وبعميل المخابرات الامريكية «مايلز كوبلاند» من خلال ما كتبه.[19]

وبدأ منذ سنة 1975 يكتب عن مصر مقالات منظمة تنشرها مجموعة من الصحف العربية خارج بلاده.

وكانت أولها سلسلة ظهرت في كتاب عنوانه «لمصر لا لعبد الناصر»، ثم تبعتها سلاسل أخرى كان من بينها مجموعة مقالات عن المبادرة (مبادرة الصلح مع «اسرائيل») صدرت في شكل كتاب تحت عنوان «حديث المبادرة».

وبدأ السادات يعد «قانون العيب» وبدأ بعض مستشاري مجلس الدولة المكلفين بمراجعة صياغة القانون، يسمونه «قانون هيكل».[20]

وحاول في هذه الفترة ان يدفعه إلى الهجرة من مصر، وخاف كثير من اصدقائه ولم يهاجر بل ولسنة كاملة لم يسافر من مصر على الاطلاق حتى

---

(17) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 394.

(18) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام الدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 261.

(19) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص ص 394 - 395.

(20) المصدر السابق - ص 398.

يكون تحت تصرف اي قانون ولو كان مفصلا من أجله.(21)

وذكر في احد مقالاته، أنه أجهش بالبكاء عندما سمع اذاعة القاهرة تقول في وصفها لترتيبات زيارة السادات الى القدس، ان سربا من مقاتلات السلاح الجوي الاسرائيلي سوف يخرج لاستقبال طائرة الرئيس السادات عندما تدخل الاجواء الاسرائيلية... وكان تعبيرا عن مشاعر حزينة تعلقت به.(22)

وحينما زار «مناحم بيغن» مصر، وصف مشاعره وانفعالاته قائلا: «... كان موكبه امام نافذة مكتبي يعبر جسر النيل.

لحظتها - ولدقائق - راودني احساس طاغ بأنه لم يبق أمامي غير أن أحزم حقائبي وارحل، لكنني بعد قليل ساءلت نفسي:

- وهل أترك له جسر النيل؟

وجاءني الرد من أعماقي:

- ولا جسر الاردن؛ ولا جسر ينبوع ماء صغير على تراب اي ارض عربية، وأحسست أنني انفعلت بأكثر مما تسمح به موازين القوة وموازين المواقع، ولكن الانفعال أراحني ولو حتى كحلم يقظة».(23)

---

(21) المصدر السابق - ص 399.

(22) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 220.

(23) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، مصدر سابق - ص ص 22 - 23.

وقرر الرئيس السادات سنة 1978 ان الفرصة قد واتته ليضرب هيكل، فأحاله الى المدعي الاشتراكي الوزير أنور حبيب، ومنعه من السفر، وجرى التحقيق معه صيفا بأكمله والصحف تكتب قبل كل جلسة انه يحقق معه «لانه أساء الى مصر فيما كتب خارجها» ويعتقد هيكل انه لم يسيء الى مصر بحرف، وانما كان قد انتقد سياسة رئيسها واعتبرها هي التي تسيء الى مصر.

وانتهى التحقيق، وانتظر التصرف فيه، ولكنهم تركوه معلقا[24]، ثم شملته اعتقالات 5 سبتمبر الشهيرة سنة 1981[25]، عندما شن الرئيس السادات حملة ضارية على كل معارضيه السياسيين من اقصى اليمين الى اقصى اليسار، ووضع الالاف في السجن، ومرت ايام معدودة، حتى جاء يوم 6 أكتوبر، واثناء استعراض يقوم به الجيش المصري، قام ضابط يدعى خالد الاسلامبولي ومعه مجموعة من التنظيم (الجهاد الاسلامي) الذي ينتمي اليه، بهجوم مباغت عنيف بالاسلحة النارية والقنابل على منصة الرئيس السادات، الذي لقي مصرعه فورا...

وتولى محمد حسني مبارك رئاسة الجمهورية، وقام بالافراج عن المعتقلين السياسيين، ومن بينهم محمد حسنين هيكل، الذي استقبله في قصر الرئاسة، وطلب منه ان يبدؤوا جميعا صفحة جديدة في تاريخ مصر وقال له:

---

(24) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 399.

(25) المصدر السابق - ص 400.

«أريد ان ننسى ما حدث، واريد صفحة جديدة، واريد تعاون كل القوى في مصر».[26]

وكتب «خريف الغضب» وقال عنه هيكل: «لم يكن غضبا على أنور السادات لانه وضعني في السجن، ولكن كنت اريد ان اشرح للعالم ما حدث في مصر خلال خريف عاصف سنة 1981.

وكيف تطورت قضايا اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية ودينية لكي تصنع صاعقة البرق التي رأتها الدنيا على شاشات التلفزيون ظهر يوم 6 أكتوبر.

ولم تكن في الكتاب كلمة اساءة واحدة الى انسان، وانما كان عرضا وتحليلا لشخصيات وتيارات وسياسات واتجاهات وقوى الداخل والخارج.

لكن البعض تصوروا ان ظهور الكتاب فرصة سنحت اخيرا لتصفية كل الحسابات مرة واحدة، واستغلت عبارات في الكتاب مبتورة، ومحاولات للغوص في اعماق النفس اخرجت من سياقها ومن مضمونها وبعيدا عن هدفها، ثم راحت الطاحونة تدور.

لثلاثة أشهر او اربعة عاصفة لا تهدأ، بالكلمات والرسوم، حلقات بعد حلقات يوما بعد يوم كأن صواعق السماء كلها انقضت مرة واحدة».[27]

وكتب كتاب كامل، ينتقد «خريف الغضب» وهيكل بشدة، للدكتور فؤاد زكريا بعنوان «كم عمر الغضب؟ هيكل وأزمة العقل العربي»[28]، جاء

---

(26) المصدر السابق - ص 403.

(27) المصدر السابق - ص 403.

(28) هذا الكتاب سبق ان ذكر كمرجع.

فيه مثلا «ان هيكل قد ارتكب في كتابه خطأ قاتلا وهو اشاراته الطويلة الى الجوانب الشديدة السلبية في تاريخ السادات قبل ان يتولى الحكم، هذه الاشارات لو كانت قد صدرت عن كاتب محايد لم يرتبط بالسادات في اي وقت ارتباطا عضويا وثيقا، لكانت، مصدر عظيم القيمة للمعلومات عن عادات وممارسات حاكم مثير للكثير من الجدل، ولكن صدورها عن هيكل بالذات يلحق به أفدح الاضرار».(29)

وكتب كذلك «... وحسبنا ان نقول ان الصفات المعنوية والاخلاقية للشخص الواحد لا يمكن ان تتغير في مرحلة واحدة من حياته، ولكننا عند هيكل نجد انفسنا ازاء سادتين، لا سادات واحد، احدهما كان بطلا عندما كان هيكل راضيا عنه وشريكا له، والاخر كان منحرفا عندما حل «خريف الغضب» ويظل السؤال الاهم، بعد هذا كله، هو: اذا كان لدينا «ساداتان» فكم هيكل هناك؟».(30)

الاجابة واضحة، هناك هيكل واحد، ولو كان اثنان لما اختلف مع «السادات الثاني» واتفق مع «السادات الاول»، فالذي تغير تغيرا كاملا هو السادات وليس هيكل، هيكل بقي في مكانه لم يتغير، محافظا على افكاره... اما سادات 1971 فهو يقينا ليس بسادات 1981، في حين هيكل 1971 هو تقريبا هيكل 1981، مع بعض اضافات أضافتها قوة الزمن...

(29) فؤاد زكريا، كم عمر الغضب؟ هيكل وازمة العقل العربي، مرجع سابق - ص 78.
(30) المرجع السابق - ص 88.

ورغم هذه الحملة نجح كتابه نجاحا ضخما، وبيعت منه كميات فلكية وصلت الى المليون ونصف المليون نسخة بأكثر من لغة، وقبل ذلك نشرته أشهر الصحف العربية اليومية، ثم أذاعت فصولا كثيرة منه كل من اذاعة دمشق واذاعة طرابلس...

لقد تميزت علاقة السادات بهيكل، بمرحلتين، الاولى كانت تحالفا بينهما، والثانية اختلافا فادحا.

وكان السادات ذكيا، يعرف جيدا ماذا يريد هيكل من جهاز الدولة، كان يريد دور الرجل الصحفي المؤثر كلية في الساحة الاعلامية في مصر - وهي من أقوى الساحات وربما توازي قوة المؤسسة العسكرية نفسها - اضافة الى قرب شديد من هرم السلطة (الرئيس)، يؤثر من خلاله على مجرى الاحداث دون ان يحاسبه احد... رافضا كل المواقع التنفيذية...

وفي المقابل كان هيكل لا يقل ذكاء عن السادات، فكان يعرف ماذا يريد هذا الاخير، وكان متفطنا الى نواياه، فهو يعرف موقع القوة الذي يحتله هيكل، وكانت صحيفة «الاهرام» هي هذا الموقع، فعمل هيكل بكل جهوده على عدم ترك الاخرين يزيحونه منه، وكان يعتذر للرئيس السادات عن كل المناصب والمواقع التي عرضها عليه، لانها كانت تعنى له ضرب نفوذه الحقيقي في «الاهرام»، ووصلت المسألة في النهاية بالسادات الى ان اعلن عن نواياه صراحة وازاح هيكل من موقعه القوي، وكانت له بمثابة الضربة القاضية.

وهذه النتيجة التي وصل اليها هيكل، تؤكد انه والسادات لم يكونا في عهد عبد الناصر حليفين استراتيجيين، يجمع بينهما خط فكري أو سياسي مشترك في صراع مع خطوط أخرى، وذلك على عكس ما ذهب البعض.

كما كان انحياز هيكل المؤقت للسادات يعبر عن «أمنه الشخصي» وعن تلك العادة الطويلة التي اكتسبها من علاقته بعبد الناصر وهي ان يكون قريبا من الرئيس، مؤثرا في القرار بالمعرفة او بالمشاركة، بدون ان يتولى اي منصب رسمي...

كما نجح هيكل في علاقته مع عبد الناصر، لانه يمثل زعامة «كاريزمتية»، تبحث عن الكفاءات - وهيكل احدها - لتحيطها بنفسها... في حين ان السادات، كان يدرك انه ليس بالزعيم الكاريزمي، وكان اتجاهه متناقضا تماما مع اتجاه عبد الناصر والعهد الناصري، فلم يعد يحتاج الى الكفاءات «الناصرية» القديمة، وانما اصبح يبحث عن مجموعات شابة اخرى تتعلم في «مدرسته» الخاصة، ويكون ولاؤها له قبل أي شيء آخر...

من داخل هذه الصورة الواضحة، وجد هيكل نفسه آليا وطبيعيا خارج اطارها.

الفصل الخامس

اتجاه الفكر السياسي عند هيكل

كل مقالات هيكل وكتبه تقريبا تتحدث عن قضايا سياسية هامة، تلك القضايا التي عكست طبيعة الصراع في منطقة الشرق الاوسط طيلة الخمسينات والستينات والسبعينات، لقد عالج هيكل في كتاباته اغلب هذه القضايا، واستنتاجا من مقاربتنا لها نلاحظ انها ركزت اساسا على مجموعة مسائل أساسية وهي: رؤيته للصراع، صورة الولايات المتحدة الامريكية في كتاباته، صورة الاتحاد السوفياتي في ما كتبه، ثم استنتاج الباحث في صورة هيكل نفسه، وموقعه من خارطة التيارات السياسية - الايديولوجية المتشابكة.

1 - رؤيته للصراع

يرتكزقسم كبير من كتابات هيكل حول مسألة، ادارة الصراع بين الرئيس جمال عبد الناصر من جهة و«اسرائيل» وحلفائها (الادارة الامريكية، بريطانيا، فرنسا)، والانظمة العربية «المحافظة» من جهة أخرى.[1]

(1) ترصد هذه الكتابات خاصة في كتبه الاخيرة، المتسلسلة تحت عنوان حرب الثلاثين سنة، وهي «قصة السويس 1956» «سنوات الغليان 1967» ثم «الانفجار».

ويقول هيكل عن جذور هذا الصراع: «وجهة نظري في الصراع القائم في الشرق الاوسط، وكما شرحتها في كل ما كتبت، ان هناك صراعا قائما بين الحركة القومية العربية ككل وبين قوى الاستعمار العالمي وان اسرائيل تلعب دور الطليعة المتقدمة لهذه القوى، كما ان مصر هي القوة الطليعية للعالم العربي ودورها في هذا دور أساسي لانها القوة الوحيدة القادرة حاليا على ادارة الصراع على رأس الامة العربية وبالتعاون مع كل شعوبها، فضلا عن اعتقادي الراسخ بأن مصر على وجه التحديد مستهدفة اكثر حتى من فلسطين.. بقصد عزلها عن المشرق».(2)

وتزداد أهمية مصر عند هيكل عندما يقول: «ان كل القوى الراغبة في السيطرة على المنطقة، وبالذات بعد انهيار الامبراطورية العثمانية، كانت تضع أمامها دوما مطلب عزل مصر عن المشرق باعتباره مطلبا اساسيا يحقق لها حرية الحركة والعمل في المشرق العربي».(3)

أما عن هدف الصراع، فكان الصراع كله على الجسر البري بين آسيا وافريقيا ومن حوله، اي في فلسطين وحولها».(4)

وعن كيف يمكن حل هذا الصراع، فان الالتجاء الى «الحرب المحدودة» هي أحد ركائز فلسفة هيكل الاستراتيجية.

ومجمل فلسفته هذه، كانت متأثرة بالمؤرخ العسكري وعالم الاستراتيجيا

---

(2) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 33.

(3) المصدر السابق - ص 33.

(4) المصدر السابق - ص 38.

الالماني «كلاوزفيتز».[5]

فهو يعلق على عبارة «كلاوزفيتز» الشهيرة «ان الحرب صراع بين ارادات، طرف يريد ان يفرض ارادته على طرف»، بانها تعبير عن الحقيقة الابدية الازلية في قضية الحرب».[6]

ويضيف هيكل، ان «كلاوزفيتز» حين قال عبارته الشهيرة الاخرى «ان الحرب هي ممارسة للسياسة بوسائل اخرى» «فان طبيعة هذه الحقيقة كانت تزداد جلاء».[7]

ولكن أي حرب يقصدها هيكل؟ انها «الحرب المحدودة» التي يقول عنها: «كان رأيي طول الوقت بعد 1967، انه ليس هناك سبيل امامنا الا سبيل المعركة، وقد أبديت رأيي في كل ما كتبت، وتعرضت لمشاكل بسببه من بعض المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي والصحف، وكانوا عاجزين عن الفهم لذا ركزت على شرح نظرية الحرب المحدودة، اي عمل سياسي شامل

---

(5) كارل فون كلاوز فيتز ولد في مدينة «ماغدبورغ» في المانيا عام 1870، هو من الاسماء البارزة في اوساط العسكريين او المؤرخين العسكريين، وترجع شهرة هذا المؤلف الى ما قدمه للفكر العسكري في القرن التاسع عشر، عبر مؤلفه الشهير «في الحرب»، ولا يزال هذا الكتاب ينتشر باعداد كبيرة ويخضع للمراجعة والتحليل والجدال، اذ انه يتجاوز الحدود الزمنية الضيقة التي تقلل من اهمية الكتابات العسكرية المعاصرة له... لمزيد التوسع انظر عرض الاستاذ يزيد صايغ في دراسته «كلاوزفيتز كلمات شهيرة قراتها القلة» عن مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد الثالث، جانفي 1982.

(6) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق - ص 55.

(7) المصدر السابق - ص 55.

يستهدف طول الوقت تغيير موازين القوة».(8)

ويشرح نظريته في الحرب المحدودة «بأن الحرب المسموح بها الان هي استعمال القوة المسلحة لهدف تتوفر له الشرعية الدولية... ويتوفر للطرف الذي سيحمل السلاح لتحقيق هذا الهدف تأييد احدى القوتين الاعظم على الاقل ثم يتوفر لهذا الطرف بقوته الذاتية وبما يتلقاه من اصدقائه طاقة لا شك فيها لتحقيق هذا الهدف في اطار محدد او محدود، ثم يكون القصد من تحقيقه هو التأثير في الوضع السياسي، معنى ذلك انها حرب محدودة... محدودة الهدف».(9)

ويفرق بين طبيعة الحرب قديما، وطبيعتها في العصر الراهن حيث «كانت الحرب طبقا لاراء «كلاوزفيتز» - اكبر اساتذة علوم الحرب وفلاسفتها - هي التجاء مجتمع الى القوة المسلحة لكي يكسر ارادة مجتمع ويفرض عله مشيئته كاملة».(10)

«وأما الحرب المحدودة، حتى طبقا لآراء هنري كيسنجر فهي «عمل سياسي شامل يلجأ الى القوة المبسلحة في مرحلة من مراحله لتحقيق هدف معين لا يستدعي بالضرورة كسر ارادة الخصم أو فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة».(11)

---

(8) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 61.

(9) محمد حسنين هيكل، «نوع الحرب الممكنة والضرورية» الاهرام عدد 24 - 3 - 1972، اي قبل حرب اكتوبر 1973، وهي مجموعة مقالات كان هيكل يحضر فيها - اعلاميا - للحرب.

(10) محمد حسنين هيكل، قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة، مصدر سابق - ص 8.

(11) المصدر السابق - ص 8.

ان تبني هيكل لهذه الفلسفة دفعته في النهاية الى الصدام مع الرئيس أنور السادات والاختلاف معه حول كيفية استغلال نتائج حرب اكتوبر 1973، حينما اعتقد هيكل ان الادارة السياسية للحرب فرطت في مكاسب ونجاحات الادارة العسكرية، فما حققه الجنود بدمائهم فرط فيه الساسة (السادات) بمفاوضاتهم، ولخص رأيه في حديث موجه للسادات يقول فيه: «انني أرجو ان يفهم الرئيس ان الحرب ليست معارك دبابات ومدافع وانما هي صدام ارادات، ونتيجة الحرب معلقة بالهدف السياسي الذي من أجله دارت المعارك، اذا كان الهدف بعد توقف المعارك - مع طرف - فانه المنتصر، واذا لم يكن معه فهو المهزوم... قولوا للرئيس ان يعيد قراءة كتاب «كلاوزفيتز» المشهور «عن الحرب»...».[12]

ان رؤية هيكل للصراع تعتمد على مجموعة ثوابت جغرافية، وهي ان مصر، تقع في قلب الصراع بقيادتها للعالم العربي، وهدف الصراع هو الجسر البري الرابط بين آسيا وافريقيا - اي فلسطين - وهذا الصراع يمكن حله عن طريق «الحرب المحدودة» لتحقيق اهداف محددة، وهو اختيار تاريخي محدد بالزمن والجغرافيا.

(12) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 378.

2 - صورة الولايات المتحدة الامريكية في كتابات هيكل

تعتبر الولايات المتحدة الامريكية الطرف الرئيسي في الصراع الدائر في العالم، فمن جهة «القطب الاشتراكي» بقيادة الاتحاد السوفياتي[13] ومن جهة مقابلة الولايات المتحدة، التي خاضت «حربا باردة» ضد «المعسكر الاشتراكي»، ويصف هيكل المراحل التي حدث فيها هذا الصراع بقوله: «قرب نهاية السبعينات كانت علاقة القوة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية في الشرق الاوسط قد دارت دورة كاملة.

في بداية السبعينات كان الاتحاد السوفياتي في قلب المنطقة، وكانت الولايات المتحدة على حافتها، وقرب نهاية السبعينات كانت الولايات المتحدة هي التي تحتل قلب المنطقة، بينما أزيح الاتحاد السوفياتي الى حافتها».[14]

ويمكن تقسيم مواقف هيكل من الولايات المتحدة الأمريكية الى ثلاثة مواقف، الأول، كان يعتقد فيه أن امريكا هي الحليف الطبيعي «لاسرائيل» والثاني دعا فيه الى ضرورة «تحييد امريكا» والثالث عاد مرو أخرى لانتقادها.

---

(13) الحديث عن الولايات المتحدة الامريكية في هذا الموضع مرتبط بدورها في «الحرب الباردة» ضد الاتحاد السوفياتي، لاننا نغطي فترة الخمسينات والستينات وبداية السبعينات، اما التطورات اللاحقة التي حصلت في بداية التسعينات ، فهي بالطبع خارجة عن مساحة البحث، واهم مميزاتها انهيار الاتحاد السوفياتي وانفراد الولايات المتحدة بالعالم.

(14) محمد حسنين هيكل، آفاق الثمانينات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية - بيروت 1982، ص ص 124 - 125.

- الموقف الاول: تميز بمعاداة الولايات المتحدة الامريكية، واعتبار «أن العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة وصلت الان الى الحد الذي لم تعد فيه السياسة الامريكية قادرة على ان تظهر او تمارس اي قدر من الاستقلال عن الارادة الاسرائيلية».(15)

كما قامت امريكا بدور «التعهد باستمرار تفوق اسرائيل في قوى النيران على كامل ما لدى العرب مجتمعين من قوة النيران».(16)

ثم أصبحت حدة هذا الموقف تخف شيئا فشيئا، حينما يقول هيكل: «... في اعتقادي ان هناك تناقضا في المصالح بين الغرب عموما وخصوصا الولايات المتحدة وبين مصر، ولكن علينا ان نراعي المتغيرات... الدور الاستعماري... امريكا اخذته بطريقة جديدة (الدولة الراغبة في السيطرة) - وكان رأيي اما وقد انتهت العلاقة الاستعمارية مع اوروبا الغربية، فيجب ان نحاول ادارة التناقض بأسلوب جديد، نستطيع معه تضييق منطقة الخلاف، وتوسيع منطقة المصالح المشتركة قدر ما نستطيع».(17)

ومن هنا ينتقل الى «ضرورة تحييد أمريكا».

- الموقف الثاني: برز عن طريق مقالات دعا فيها الى «ضرورة تحييد امريكا» وقد بدأت في العام 1965، وعاد اليها قبل حرب 1967، ثم عاد

(15) محمد حسنين هيكل، «السياسة الامريكية والادارة الاسرائيلية» الاهرام عدد 20 - 2 - 1970.
(16) محمد حسنين هيكل، «المسدس... وفي يد من هو؟»، الاهرام، عدد 6 - 3 - 1970.
(17) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 38.

اليها بعد النكسة، وقد جرت عليه مشاكل مع الاتحاد الاشتراكي لا حدود لها، لدرجة، اتهامه بالعمالة لامريكا.(18)

ان تصعيد لهجة «تحييد أمريكا»، بدأ يزداد طوال عام 1971، فكتب: «ومن المحتمل ايضا وبجهد متواصل وعاقل. ان الولايات المتحدة يمكن تحييدها بشكل ما ولو جزئيا اثناء تحقيقه وان كان ذلك متداخلا في اوضاع وظروف قد تقتضي شرحا أوسع».(19)

ويضيف في مكان آخر: «اذا اردنا ان نصل بنتيجة ما حدث سنة 1967 الى نجاح يماثل نجاحا سنة 1956، فاننا يجب ان نحصل على عنصرين: اولهما تأييد احدى القوتين العظميين وذلك متاح لنا بتعاطف وصداقة وتأييد الاتحاد السوفياتي، والثاني تحييد القوة العظمى الاخرى، وهي الولايات المتحدة، او على الاقل منع تدخلها ضد مصلحتنا في الازمة، وغير ذلك مستحيل».(20)

ازاء هذه المواقف، تعرض هيكل الى، حملة من قبل اعضاء «الاتحاد الاشتراكي» وخاصة مجموعات «التنظيم الطليعي» التي رأت في حديثه نوعا من مغازلة امريكا، فبرر هيكل منطقه قائلا، «لقد كان منطقي في الدعوة الى ضرورة تحييد الولايات المتحدة الامريكية ان «التحييد» يختلف عن «الحياد» فلم أتصور في اي وقت، ولا أزال الى الان أعجز عن تصور حياد الولايات المتحدة في هذا الصراع منحازة، وانحيازها لاسرائيل، ولكن «التحييد»

---

(18) المصدر السابق - ص 38.

(19) محمد حسنين هيكل، «عن الاقتناع بامكانية تحقيق هدف»، الاهرام، عدد 26 - 2 - 1971.

(20) محمد حسنين هيكل، «التضاريس في الطبيعة والسياسة»، الاهرام، عدد 5 - 3 - 1971.

هنا يختلف عن «الحياد»، لان «التحييد» وضع نفرضه نحن بوسائل القوة السياسية والاقتصادية الشاملة، واما «الحياد» فموقف تختاره الولايات المتحدة بمحض ارادتها، وهذا مستحيل في ظروف الصراع العربي الاسرائيلي، ونوعية العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل، كان رأيي ان نضغط على الولايات المتحدة لكي نشل اكبر مساحة ممكنة من انحيازها، ولنفرض عليها - ولو كرها - بعض التوازن في موقفها، مما يتيح لها ان تؤدي دورا محكوما في حل ازمة الشرق الاوسط».(21)

- الموقف الثالث: بعد حرب 6 أكتوبر 1973، اختلف هيكل مع السادات في أسلوب ونتائج مفاوضاته مع «أمريكا»، ووصل الامر الى روايات تتناقلها برقيات وكالات الانباء، بينها ان «كيسنجر» كان سببا رئيسيا في اسباب خروجه من «الاهرام» لانه احتج على معارضته العلنية لاتفاق فك الارتباط وبالفعل فقد رأى رسالة احتجاج في برقيات شفرية بعث بها كيسنجر الى الرئيس السادات واحدة من بكين وكان يزورها، والثانية من واشنطن بعد ان عاد اليها».(22)

وبعد خروج هيكل من «الاهرام» في أواخر سنة 1974، وقف ضد كل مشاريع «الارتماء» في «أحضان امريكا» واعطائها «أوراقا» كثيرة «تلعب» بها في «أزمة الشرق الاوسط» وصلت عند الرئيس السادات الى 99٪!(23)

---

(21) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 244.

(22) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق - ص 382.

(23) اعلن الرئيس انور السادات، اكثر من مرة ان 99٪ من اوراق الشرق الاوسط بيد الولايات المتحدة الامريكية.

3 - صورة الاتحاد السوفياتي في كتابات هيكل

منذ هزيمة 5 جوان 1967، اصبح للاتحاد السوفياتي دور يتزايد في اهميته، ووصل الى أوجه في حرب الاستنزاف (1967 - 1970) وفي هذه المرحلة، كان لهيكل موقف ايجابي تجاه السوفيات. ثم انتقدهم بعد احداث مايو 1971، حينما أزاح السادات الشق الاشتراكي الناصري من الحكم (أهم رموزه سامي شرف، شعراوي جمعة، علي صبري، ضياء الدين داوود، محمد فائق، محمد فوزي)، ليعود ويدافع عنهم بعد صلح السادات مع «اسرائيل».

- المرحلة الاولى: تحمس فيها هيكل لدور يقوم به السوفيات في المنطقة، وكتب في «الاهرام» «لماذا يتخذ الاتحاد السوفياتي هذا الموقف المؤيد لنا؟ الرد: ان الامر بالنسبة للاتحاد السوفياتي مسألة مبدأ وهو عداء الاستعمار».(24)

ثم أضاف مؤكدا دور السوفيات في صمود مصر بعد هزيمة 5 جوان 1967، «منذ يونيو 1967... فان دور الاتحاد السوفياتي واثر هذا الدور هو الذي ساعد الامة العربية على تحقيق ارادتها بالصمود ضد الامر الواقع الذي حاول تحالف الاستعمار والصهيونية فرضه علينا عسكريا».(25)

ونبه الى ما يقوم به الامريكان ضد العرب حينما كتب «المناورة الامريكية واضحة امام اي عربي، فهي تريد عزل العرب عن الاتحاد

(24) محمد حسنين هيكل، «ما هو الخلاف والاختلاف؟»، الاهرام عدد 14 - 8 - 1970.

(25) محمد حسنين هيكل، «ازمة الشرق الاوسط»، الاهرام عدد 20 - 3 - 1970.

السوفياتي لا لكي يخرج الصراع العربي الاسرائيلي من نطاق الحرب الباردة بين القوى الكبرى... ولكن لكي يبقى الطرف العربي تحت رحمة الامر الواقع الذي يفرضه السلاح الامريكي الذي تمسك به اسرائيل».(26)

وتوجه باللوم الى القوى القومية العربية التي تعادي الشيوعية قائلا: «مازالت هناك بين قوى القومية العربية عناصر تنسى اسرائيل لكي تغرق نفسها في حرب مقدسة مع الشيوعية، بينما الدول الشيوعية هي التي وضعت سلاحها في يد العرب ولولاه لما كان هناك امامهم بديل عن الاستسلام»(27).

هذه المرحلة من التقييم الايجابي لدور الاتحاد السوفياتي في المنطقة امتدت حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970، وبعدها ببضعة اسابيع تطور الموقف.(28)

- المرحلة الثانية: برز فيها موقف هيكل مجافيا للسوفيات، خاصة بعد احداث ماي 1971، حينما اتهمهم «بانهم لم يدركوا قيمة مصر الحضارية ولم يدركوا ان مصر هي مصر، وسوف تبقى دائما مصر».(29)

وأضاف متهما، ومقللا من قيمة السلاح السوفياتي بانه «كان متأخرا عن الولايات المتحدة في هذا المضمار سبع سنوات.(30)

---

(26) المصدر السابق.

(27) محمد حسنين هيكل، «الى متى الضباب؟»، الاهرام، عدد 16 - 1 - 1970.

(28) محمد حسنين هيكل، «وقفة موضوعية مع صديق»، الاهرام، عدد 18 - 8 - 1972.

(29) المصدر السابق.

(30) محمد حسنين هيكل، «مرة اخرى العلاقات العربية السوفياتية»، الاهرام، عدد 27 - 8 - 1971.

ووصل الامر الى حد ان «ليونيد بريجنيف» طالب بابعاده عن الصحافة المصرية وتأثيرها السياسي على الرأي العام المصري. وقد نقل طلب «بريجنيف» الى القاهرة مع الوفد المصري الذي حضر المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي والتقى بسكرتيره العام «بريجنيف» قبل عودة هذا الوفد من موسكو الى القاهرة، بل ان الرئيس «نيكولاي بادجورني» اعاد هذا الطلب على الرئيس «أنور السادات» في آخر زيارة له للقاهرة، وكان الرئيس السادات بنفسه هو الذي اخبره بما طلبه منه «بادجورني»» بل وفوضه الرئيس السادات ان يناقش هذا الموضوع مع «بوريس باناماريوف»» عضو المكتب السياسي السوفياتي، وكان يزور القاهرة في صيف سنة 1971، في اعقاب زيارة «بادجورني لها»[31]

- المرحلة الثالثة: عاد فيها هيكل الى موقفه الايجابي من الاتحاد السوفياتي مدافعا عنه وعن صداقته لمصر، ضد الذين هاجموه وانتقدوه، وبعد ان تم التحالف بين الولايات المتحدة الامريكية ومصر بقيادة أنور السادات، وبعد ان رفض هيكل اسلوب ونتائج استغلال حرب اكتوبر 1973، وذكر قائلا: «... وقد دافعت ومازلت ادافع عن دور طبيعي ومشروع للاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط...».[32]

(31) محمد حسنين هيكل، لمصر لا لعبد الناصر، مصدر سابق - ص 143.

(32) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 47.

وكتب ايضا: «ولم تكن المساندة السوفياتية في مواجهة الازمات وحدها، سواء بامدادات السلاح او بالمواقف السياسية، وانما تحمل الارض العربية على ظهرها شواهد لا يمكن انكارها من رموز التعاون العربي السوفياتي. سد أسوان، سد الفرات، مجمعات الحديد والصلب، ترسانات بناء السفن، مصانع بالمئات وبالالاف، مفاعلات ذرية، محطات كهرباء، الى آخره».[33]

وتواصل موقف هيكل مؤيدا لدور يلعبه الاتحاد السوفياتي في المنطقة، ورافضا لانفراد الولايات المتحدة الامريكية بها.. كان هيكل يدعو في مواقفه الى ضرورة التوازن في علاقة مصر مع «العملاقين». اما التهم التي وجهت له، فقد استنكرها رجال ماي 1971، الذين القى بهم السادات في السجن، وكانوا في الضفة المقابلة لموقع هيكل الذي انحاز الى السادات، ورغم اختلافهم معه، فان سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة[34]، يوضح المشكل قائلا «...اعتبارا لتوجهات هيكل الليبرالية، فهي لم تعجب الاتحاد السوفياتي، وفي نفس الوقت كانت مقالاته الوطنية لا تعجب امريكا...».

ويؤكد محمد فائق، وزير الاعلام ووزير الخارجية في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات[35]: «أن الحديث عن عمالة هيكل لامريكا، حديث

---

(33) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 47.

(34) سامي شرف، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

(35) محمد فائق، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

سخيف، وثبت من التاريخ ومن مواقف هيكل، انه لم يكن الا مصريا، مرتبطا بعبد الناصر والناصرية».

ورغم هذه التوضيحات فان السؤال عن «صورة» هيكل من التيارات الايديولوجية المشتبكة يبقى قائما.

4 - صورة هيكل

4 - 1 - هيكل الليبرالي

يعتقد بعض المقربين من الرئيس جمال عبد الناصر، ان هيكل يحمل في اعماقه توجها «ليبيراليا» فسامي شرف[36] يقول: «انا من معايشتي لهيكل اعتقد ان توجهه ليبيرالي، ومن خلال علاقته الخاصة مع الرئيس استطاع ان يتعايش مع التحول الاجتماعي، والدليل على توجهه الليبيرالي، امتلاكه مثلا لعزبة خاصة، وحياته «حياة طرية» اصدقائه الحميمين جدا من أمثال السيد مرعي، وفي نفس الوقت علاقته بعبد الناصر جعلته لا يتمادى في ذلك».

ويبدو ان عملية اثبات «ليبيرالية» هيكل، مسألة صعبة، بل ربما العكس اقرب الى الصحة، رغم التقييم الايجابي للطبقة البرجوازية التي يقول عنها: «وفي اعتقادي ان الحركة القومية العربية قد أخطأت في فهم دور الطبقة المتوسطة ومع تسليمي بان هناك قطاعات جاهزة دائما من البرجوازية لكي تصبح احتياطيا للرجعية الا انني اتصور ايضا ان هناك مجالا مفتوحا للتعامل

(36) سامي شرف، مرجع سابق.

مع هذه الطبقة، وللتعامل مع الخريطة الاجتماعية للوطن العربي كما هي في الواقع لانني اعتقد ان الطبقة البرجوازية لها دور هام بالفعل».[37]

4 - 2 - هيكل الاشتراكي

لكنه في اغلب كتاباته، كثيرا ما يؤكد على دور القطاع العام كقائد لعملية التطور الاجتماعي، فهو يقول مثلا: «انني افهم تماما مشكلات رأس المال الخاص، ولكنني اعتقد في صورة قيام اقتصاد مشترك تحت قيادة القطاع العام».[38]

وينفي عن نفسه «الشيوعية» عندما يؤكد: «من الواضح اولا انني لست شيوعيا، ومن الصعب ان أكون...».[39]

غير انه كثيرا ما يستخدم بعض قوانين التحليل الماركسي، مثل استخدامه لقانون «التراكمات الكمية والانتقال الكيفي»، فهو يكتب ان: «التحولات الكبرى في التاريخ لاتحدث بأسلوب الانقضاض من الهواء على غير انتظار، وانما تحدث هذه التحولات بقوانين التطور ذاتها، تغيرات كمية، تتراكم بعضها مع بعض، ويحدث تراكمها تفاعلات تؤدي في لحظة من اللحظات الى تغيير كيفي يبدو فوريا وليس هو كذلك في حقيقته».[40]

---

(37) مجلة «المستقبل العربي» عدد 29، بيروت الشهر السابع، 1981، مقابلة مع محمد حسنين هيكل.

(38) المصدر السابق.

(39) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 252.

(40) محمد حسنين هيكل الزلزال ،السوفياتي، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة، جويلية 1990، ص 10.

وتتضح الفكرة الماركسية في قوله ايضا: «لا شك ان صراع المجتمعات حول ادوات وعلاقات الانتاج قانون طبيعي وصحيح.

ولا شك ان مطلب المجتمعات في المساواة والحرية قانون طبيعي وصحيح...».[41]

ويحدد مفهوم اليسار بقوله: «ان اليسار الوطني وكل حركات الثورة الوطنية بالطبيعة هي حركات يسار، لان مقتضى مفهوم اليسار هو الانتقال بمواقع الثورة - وبالتالي السلطة - من سيطرة الاقلية الى سيطرة اوسع الجماهير، فاذا كان مفهوم اليسار الوحيد اذن فان كل حركة تحرير وطني ذات محتوى اجتماعي هي على نحو ما حركة يسار».[42]

4 - 3 - هيكل الناصري

ويعتبر هيكل ان الناصرية ايضا تمثل اليسار عندما يقول: «وفيما يتعلق بان الناصريين حركة يسار وطني فلا أظن ان هناك خلافا على ذلك».[43]

لكنه ينفي في مكان آخر وجود «الناصرية» كنظرية حيث يقول «انني اولا أبدي اعتراضي على حكاية الناصرية... هناك ناصريون باليقين ولكن ليست هناك ناصرية بالتأكيد... عندما تنسب شيئا الى شيء، فأنت تتكلم عن قانون وجمال عبد الناصر عبر عن مخزونات تاريخية للشعب المصري ولكنه

(41) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 28.

(42) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 253.

(43) المصدر السابق - ص 252.

لم يضع قانونا، وهو ايضا قد صنع تجربة ضخمة جدا وأرسى مبادىء تاريخية هائلة وأجرى تحولا تاريخيا ولكن هذا كله اسلوب في التنفيذ وليس نظرية في الفكر...».(44)

وأضاف هيكل في هذا المعنى «من الظلم لعبد الناصر ان يقال ان الناصرية نظرية. لان النظرية تعني القوانين، والقانون له صفة الصرامة والاستمرار وقابلية التطبيق على الظواهر في مختلف الامكنة والازمنة... ظلم لاننا لو حاسبنا عبد الناصر على ممارساته بمعيار ان الناصرية قانون، لكان اخفاقه في كثير من المواقف او الحالات غير مبرر ولا وارد».(45)

وبعد هذا النفي، يستطرد هيكل قائلا: «من الممكن ان اتفق على ان الناصرية منهج يتعامل مع المتغيرات وفق ثوابت محددة لا تحتمل الخلاف، وفي مقدمتها ثوابت او حقائق الجغرافيا والتاريخ التي تحكم مصر والوطن العربي».(46)

ويبدو ان قصد هيكل من هذا الكلام، هو ان «الناصرية» ليست نسقا فكريا، مثل «الماركسية» وغيرها من النظريات التي تتميز بشمولية التحليل، ويبدو انه اراد ان يضع «الناصرية» في اطار عملي، حينما اكد على انها «منهج يتعامل مع المتغيرات وفق ثوابت محددة لا تتحمل الخلاف»، فهي بالاساس اسلوب في الصراع، وليست رؤية نظرية في التحليل.

---

(44) احمد الجمال، «الناصرية محاولة للفهم»، من مناقشات وردت في كتاب «اوراق عربية» العدد الثاني نقلا عن «الشراع» المجلة اللبنانية عدد 19 - 1 - 1987.

(45) المرجع السابق.

(46) المرجع السابق.

ولم يحاول هيكل، بعد خلافه مع السادات، ان ينخرط في العمل الحزبي، وعندما أشار البعض الى امكانية حدوث مثل هذا الامر، كان رده قاطعا في نفيه، فهو قد احتج مثلا على رئيس تحرير صحيفة «الدايلي تلجراف» اللندنية، وكذب خبرا نشرته يقول: «انه مشغول في مصر بالمشاركة في تكوين حزب سياسي جديد يحمل اسم جمال عبد الناصر».(47)

وقال هيكل: «وهو يعرف، (رئيس التحرير) واصدقاؤنا في العالم كله يعرفون ان تأسيس حزب سياسي او المشاركة في تأسيس حزب سياسي هو امر خارج عن نطاق ما أفكر فيه... ان هناك شيئا واحدا أريده وهو ان أظل - كما كنت دائما - صحفيا».(48)

واضاف: «أنت تعرف قدر جمال عبد الناصر عندي، وتعرف انني لا اعتبر تجربته مجرد فعل ماضي في العالم العربي، ولكني اعتقد ان مبادئه - بصرف النظر عن الماضي - هي المستقبل في العالم العربي، غير ان ذلك لا يدعوني الى تأسيس أو المشاركة في تأسيس حزب يحمل اسم جمال عبد الناصر».(49)

---

(47) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، مصدر سابق - ص 13.

(48) المصدر السابق - ص 14.

(49) المصدر السابق - ص 14.

ثم يستنتج قائلا: «انني اعتقد ان الجيل الذي سيحمل راية جمال عبد الناصر ليس هو مجموعة الرجال الذين عاشوا بقربه او عرفوه في حياته، هذه المسؤولية اكبر من اكتاف هؤلاء الذين تقدمت بهم السنون او الذين ساقتهم المطامع او المطامح...».[50]

وفي النهاية، يعلل رفضه لمسألة الحزب بقوله: «انني أظن ان الاحزاب في العالم الثالث - وفي مرحلة الانتقال التي يعيشها هذا العالم الثالث، مجرد أشكال.

حزب الاغلبية هو حزب السلطة دائما... اي ان السلطة هي التي تصنع الاغلبية، وليست الاغلبية التي تصنع السلطة».[51]

والظاهر ان هيكل يستمد رفضه للعمل الحزبي، من رفضه السابق، ومنذ كان في قمة السلطة مع عبد الناصر، لتولي المناصب التنفيذية.

هذه المواقف، جعلت البعض يشكك في «ناصرية» هيكل، فالدكتور فؤاد زكريا يكتب: «المهم في الأمر ان كثيرا من الناصريين المتمسكين بمبادئهم يتشككون في ناصرية هيكل لاسباب عدة، فهو قد هاجم اهم رموز الناصرية بمجرد موت عبد الناصر، بحيث يمكن ان ينظر الى هجوم هيكل عليهم بوصفه هجوما على شيء في الناصرية ذاتها... والاهم من ذلك انه كان من الدعائم الكبرى لحكم السادات، في الفترة الحرجة الاولى، على

(50) المصدر السابق - ص 14.

(51) المصدر السابق - ص 17.

الرغم من كل ما يعرفه عن الاختلاف الهائل بين السادات وعبد الناصر في الشخصية والفكر والاتجاه».[52]

ويضيف «وهكذا يتبرأ كثير من الناصريين المتمسكين بعقيدتهم من هيكل، بل ويناصبونه العداء، وعندما يستعرض المرء تطور مواقف هيكل، منذ بدء ارتباطه بعبد الناصر حتى اعتقاله القصير الامد في عهد السادات، لا يملك الا ان يتساءل: هل كان هناك اي اساس حقيقي لتلك العلاقة التي ارتبط فيها اسم هيكل بالناصرية، باستثناء ولائه لشخص عبد الناصر...».[53]

غير ان هذا الحديث يبدو انه مبالغ في حدته، فضياء الدين داوود وزير الشؤون الاجتماعية، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وهو اليوم أمين عام «الحزب العربي الديمقراطي الناصري»[54]، يدافع عن «ناصرية هيكل» في قوله: «لا شك ان التزام هيكل بالخط الناصري ودفاعه عنه بمجموعة الكتابات والكتب التي اصدرها، من اكبر العوامل التي دعمت الفكر الناصري، ومهما كان دور هيكل، وقد أضر بي كثيرا، فانا انساه لاجل ما قام به فيما بعد لصالح الناصرية، فانا اتجاوز المسائل الذاتية التي ليس لها اية قيمة».

---

(52) الدكتور فؤاد زكريا، كم عمر الغضب، هيكل وازمة العقل العربي، مرجع سابق - ص ص 91 - 92.

(53) المرجع السابق - ص 92.

(54) ضياء الدين داوود، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

ويدعم هذا الرأي، رد الفريق اول محمد فوزي، القائد العام للقوات المسلحة المصرية من جوان 1967 حتى ماي 1971[55]، عن سؤال الباحث عن هيكل، حينما قال: «لقد أساء لي محمد حسنين هيكل كثيرا، وشوهني في اكثر من مناسبة، وأضر بي، لكني لاحظت ان كتاباته عن عبد الناصر والناصرية كانت ايجابية، وقام بدعاية كبيرة لهما... لذلك سوف لن ارد عليه، ولن اتحدث في هذا الموضوع... فأرجو اعفائي».

وتشابهت تقريبا كل آراء رجال عبد الناصر الذين اعتقلوا في ماي 1971، ورغم انحياز هيكل لخصمهم السادات، فانهم اليوم يعتقدون بدور ايجابي قام به هيكل لصالح «الناصرية» في مصر وفي الوطن العربي، من خلال ما كتبه.

ان اتجاه الفكر السياسي عند هيكل، تميز، بتأكيده على مسألة ادارة الصراع، ودور مصر فيه، قائدة «للعالم العربي»[56]، وأهمية فلسطين «كجسر بري يربط المشرق بالمغرب»، وبدت صورة الولايات المتحدة الامريكية في فكره، خصما طبيعيا للعالم العربي، رغم ضرورة «تحييدها»، كما اعتبر الاتحاد السوفياتي، «صديقا استراتيجيا» للعرب.

---

(55) الفريق اول محمد فوزي، مقابلة خاصة في الاسكندرية، اوت 1991.

(56) العالم العربي، تعبير يستخدمه هيكل في كتاباته، البعض الاخر يستخدم تعبير «الوطن العربي» يعد تعبير هيكل مرادفا للترجمة الفرنسية «le monde arabe».

وتميزت «صورة هيكل» بتبنيه مقولة «دور للبرجوازية»، في العالم العربي، وبضرورة قيادة القطاع العام للعمل التنموي، مستخدما في اماكن كثيرة بعض التحاليل او التعابير من القاموس الماركسي، بدون تعصب مع او ضد الماركسية، واعلن هيكل عن عدم وجود «ناصرية» كنظرية، وانما يوجد «ناصريون»، رافضا مسالة انضمامه او مشاركته في «حزب يحمل اسم جمال عبد الناصر»، ورغم بعض الالتباس في «ناصريته» فان القيادات الناصرية المصرية، تدين له بدفاعه عن الناصرية ودعمه لها بكتاباته.

خاتمة عامة

ان ظاهرة هيكل - النجم، ارتبطت بعهد ذهبي، تفوقت فيه كل المجالات، فهيكل كان نجما في الصحافة، وجمال عبد الناصر زعيما كاريزميا مؤثرا في الوطن العربي والعالم، وأم كلثوم، نجمة الغناء والطرب، كما ان نجيب محفوظ نجما في الرواية... وأفرز هذا العصر نجومه ومبدعيه، وقدموا للعالم ابداعات انسانية خالدة... وربما من هنا جاءت عالمية محمد حسنين هيكل والشهرة الواسعة التي اكتسبها.

خاتمة عامة

1 - الهدف الاساسي للرسالة

حاول هذا البحث أن يقوم بمقاربة بيوغرافية لحياة الصحفي والسياسي محمد حسنين هيكل، منطلقا من أهمية ظاهرة هيكل وتميزها في الساحة العربية وسط «تخلف اعلامي بارز»، ومنطلقا من انعدام الدراسات الاكاديمية التي بحثت في حياته المزدوجة بالصحافة والسياسة، ومن الغموض والاراء والمواقف المتناقضة الحادة تقيم هذا الصحفي الذي كاد ان يكون أسطورة.

كانت هناك مساحات ضبابية، حاولت هذه الرسالة ازالتها او ازالة بعضها، فسعت الى توضيح جوانب من تاريخ الصحافة المصرية ومن ثمة العربية المعاصرة.

كانت هذه الرسالة تهدف الى توثيق تجربة صحفية نموذجية، تكاد تكون فريدة من نوعها في الوطن العربي.

فعالجت حياة محمد حسنين هيكل من زاوية، بعض القضايا الملحة في حياته الصحفية والسياسية منبهة الى ان هذا الفصل بين الجانبين، الصحفي من جهة والسياسي من جهة ثانية، لم يكن الا فصلا اعتباطيا، دعته ضرورة منهجية، وحتى لا يسقط البحث في منهجية زمنية بسيطة chronologique، تقع بنا في سهولة مبتذلة.

وحددت الرسالة، المساحة الزمنية التي يتناولها هذا البحث بثلاثين سنة تقريبا اي من سنة 1952 الى سنة 1981، وهي الفترة التي عمل فيها هيكل في الصحافة والسياسة معا.

2 - المنهجيــــــة

واستخدمت المنهجية شبه البيوغرافية في مقاربة هذه الشخصية - الظاهرة، مستعينة ببعض المناهج، مثل منهج المقاربة الوثائقية، او تحليل المضمون، او جمع الشهادات، او المنهج التاريخي، نظرا لتشعب الموضوع وتنوعه، فلم يقع الاكتفاء بمنهج واحد.

وتم الاختيار على ان تبدأ الرسالة بالجانب الصحفي في حياة هيكل، حيث ان الصحافة، هي التي شكلت بداية نجاحه وتفوقه، وبفضلها تمكن من دخول عالم السياسة، والاقتراب الشديد من صانع القرار، فكثيرا ما فضلها عن العمل السياسي، وكثيرا ما اختارها دون منصب الوزير.

اما القسم الثاني فتناول الجانب السياسي في حياة هيكل فاصلا بين العهد الناصري ودور هيكل فيه والعهد الساداتي وعلاقته بهيكل، ثم تعرض الى اتجاه الفكر السياسي عند هيكل مركزا على الافكار والاراء والمواقف التي اعلنها في مواجهة أهم القضايا التي عاشتها المنطقة.

وعلى المستوى العلمي واجه البحث بعض الصعوبات من بينها الانقسام الحاد تجاه هيكل بين أعداء حد «الحقد» واصدقاء حد «التمجيد»، ولاحظنا ان بعض الذين حاورناهم كانوا يرفضون نشر بعض الاراء والروايات التي يدلون بها طالبين من الباحث ايقاف «التسجيل»...

3 - أهم النتائج

ووصلنا في رسالتنا هذه الى مجموعة نتائج أهمها:

3 - 1 - نتائج القسم الاول: صحفيا

- يعود الفضل الى «دار أخبار اليوم» في تفوق هيكل الصحفي ونجاحه، بعد ان وفرت له امكانية القيام بتحقيقات كبيرة خارج حدود مصر، في منطقة الشرق الاوسط وكوريا... وذلك يحدث لاول مرة لصحافي مصري، ونجحت هذه التحقيقات نجاحا باهرا، جعلته ينسج شبكة ضخمة من العلاقات مع ألمع ساسة وصحفيي العالم في تلك الفترة من الزمن، وفي مصر تمكن من ربط علاقة صداقة مع جمال عبد الناصر وهو مازال ضابطا شابا قبل ان يصبح رئيسا للجمهورية، وزعيما للمنطقة.

- مع صحيفة «الاهرام» وصل الى قمة نجاحه المهني، فأصبحت الصحيفة تربح بعد ان كانت تخسر، ووصل توزيعها الى ثلاثة ارباع مليون نسخة في اليوم، ووصلت أرباحها السنوية الى ما بين ثلاثة وأربعة ملايين جنيه... وأصبحت واحدة من الصحف العشر الكبرى في العالم طبقا لتقرير نشرته جريدة «التايمز»، كما اصبحت دارها الصحفية، بما فيها من تجهيزات حديثة ومعدات، واحدة من الدور الصحفية الثلاثة الاكثر تقدما في العالم، وذلك بشهادة مؤتمر الصحافة العالمي في لوس أنجلس.

ومن ناحية المضمون الصحفي والتحرير، فقد أدخل هيكل الى الاهرام ألمع الكتاب والمثقفين المصريين والعرب بمختلف حساسياتهم الفكرية والسياسية، فاكتسب بهم عمقا في التحليل وتنوعا في وجهات النظر، رغم ما واجهه من مضايقات أجهزة الامن وجهاز التنظيم السياسي الحاكم.

صارت «الاهرام» جزءا من حياة هيكل، واصبحت مفارقته عملية وجدانية صعبة، لكنها تمت بقرار من الرئيس أنور السادات الذي حرم هيكل

من الصحافة بتهمة انه تحول من العمل الصحفي الى العمل السياسي.

وفي 31 جانفي 1974، انسحب هيكل من «الاهرام» الصرح الكبير الذي بناه على مدى سبع عشر سنة.

- اختلف هيكل مع عبد الناصر في مسألة تأميم الصحافة، فعبد الناصر كان يرى بضرورة تأميمها كغيرها من القطاعات التي أممت في اطار التحول الاشتراكي الذي شهدته «الجمهورية العربية المتحدة»، في حين حاول هيكل ان يجنب الصحافة تملك الدولة او التنظيم السياسي لها، فبحث عن امكانية حل وسط، يبعد الصحافة عن ملكية الافراد، وينقذها في نفس الوقت من شبح السلطة والدولة، ونجح نسبيا في اقناع عبد الناصر، فأتاح له فرصة تشكيل «هيئة الصحافة العربية المتحدة»، و«اتحاد الاذاعة والتلفزيون»، وهي مشاريع حاول تطبيقها بعد ان تأثر بصيغة «الملكية التعاونية» لصحيفة «لوموند» الفرنسية، وتجربة اذاعة «BBC» في استقلالية الاذاعة عن الحكومة... لكن بعد عزله عن الصحافة تفككت التجربتان.

- ساهمت عملية تدفق المعلومات من محمد حسنين هيكل الى قائد الثورة الشاب ثم رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر في تبوإ هيكل لمكانة خاصة عند الرئيس، جعلته يصبح الاقرب اليه، ومكنته من الوصول الى أسرار ووثائق الدولة والطبقة السياسية، وتخزينها وتوثيقها، ثم استخدامها في مرحلة لاحقة في الدفاع عن عبد الناصر وتجربته ضد خصومه، كما ساعدته في رد الحملة التي ووجه بها من قبل أنصار الرئيس السادات.

- على عكس ما يعتقده العامة في الوسط الصحفي والسياسي في مصر والوطن العربي، من ان هيكل مؤرخ «العهد الناصري»، فاننا رصدنا ان

كتابات هيكل لا ترتقي الى عمل المؤرخ، لنقص شروط المنهج التاريخي فيها وهو ما اعترف به هيكل واكده في اكثر من مكان، حيث نفى عن نفسه هذه الصفة، وبين انه يعتبر ما كتبه «قراءة صحفية للتاريخ».

3 - 2 - نتائج القسم الثاني: سياسيا

- عندما ارتبط هيكل «بالعهد الناصري» مبكرا، قبل الثورة، حرص على ان يكون هذا الارتباط معتمدا على علاقة شخصية بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر، فحاول بكل قوته ان يحصر علاقته بقيادة الثورة في شخص عبد الناصر، وان لا يدخل في لعبة الصراع على السلطة والمواقع والنفوذ مكتفيا بموقعه كرئيس تحرير «الاهرام».

- لكن رفض هيكل الدائم للمواقع التنفيذية كالوزارة لم يعن مطلقا رفضه للقيام بادوار سياسية محددة يطلبها منه الرئيس عبد الناصر، فكثيرا ما تولى أدوارا حساسة، خاصة في عمليات التفاوض او جس النبض مع ادارة الولايات المتحدة الامريكية، ولم يكن هيكل يرفض المناصب، الا لانه كان يراها تحد من مجال حريته، وتضعه في موقع المساءلة أثناء الفشل، أما القيام بالادوار «الخاصة»، فهي لا تزيده الا مكانة عند الرئيس، ولا يتحمل تبعات فشلها لانه لا ينفذها في اطار رسمي.

- كذلك، تكاثر «أعداء» هيكل داخل جهاز الدولة، فاصطدم في مناسبات كثيرة مع اجهزة الامن، وخاصة مع جهاز المخابرات العامة، كما اصطدم مع جهاز الاتحاد الاشتراكي، التنظيم السياسي الحاكم، في عديد الافكار والاراء والمقالات التي ينشرها لنفسه أو لزملائه من محرري

«الاهرام».

- رغم محاولة هيكل الدائمة الابتعاد عن صراعات السلطة، فانه وجد نفسه في خريطة معقدة من التكتلات السياسية المتنافسة في أواخر عهد عبد الناصر، وكاد يمثل بذاته كتلة قوية داخل هذه الخريطة.

- بعد رحيل عبد الناصر عن الدنيا، تولى السادات رئاسة الجمهورية، وبعد فترة وجيزة من الزمن، انفجر الصراع، وانحاز هيكل الى الرئيس الجديد ضد مجموعة ماي 1971.

وتمثل دوره في ربطه علاقة بين السادات ورئيس اركان القوات المسلحة الفريق محمد احمد صادق، وكذلك في «تخدير» شعراوي جمعة، ثم اعطاء صفة لهذه الاحداث وهي الدفاع عن الديمقراطية.

ثم نظم حملة صحفية مشيدا فيها بدور السادات، ومنتقدا بشدة لمجموعة ماي 1971.

ان أمنه الخاص دفعه الى الانحياز الى السادات، اضافة الى تعوده على العمل الدائم بالقرب من رئيس الجمهورية.

- لم تتواصل علاقته الجيدة مع الرئيس أنور السادات طويلا فسرعان ما بدأ هذا الاخير في مضايقات متتالية أنهاها بعزله من صحيفة «الاهرام»» عارضا عليه مناصب سياسية رفضها هيكل، ورغم محاولات الصلح فان علاقتهما انتهت الى قطيعة، والى سجن محمد حسنين هيكل في سبتمبر 1981.

وكانت حركة منتظرة من الرئيس السادات، الذي قضى على كل من ساعده في احداث ماي 1971.

وفيما يتعلق بفكره السياسي فهو:

- يعتقد أن فلسطين هي سبب الصراع في الشرق الاوسط وان مصر هي قائدة العالم العربي، وان «الحرب المحدودة» هي التي يجب ان يخوضها العرب، متأثرا في فكره الاستراتيجي بالعسكري الالماني «كارل فون كلاوزفيتز».

كما تميزت صورة الولايات المتحدة الامريكية في فكره، بتقييمها في ثلاثة مواقف مختلفة، معاديا لها في الاول، ومتقربا منها داعيا الى ضرورة «تحييدها» في الثاني، معاديا لها مرة اخرى في الثالث.

كما تميزت صورة الاتحاد السوفياتي في فكره، بتقييمات ثلاثة، في الاول نوه به وفي الثاني انتقده وفي الثالث عاد وأشاد بصداقته مع العرب.

- وعند مقاربة صورة هيكل نفسه، تبين انه لم ينجذب في فكره السياسي الى اليمين الليبيرالي ولا الى اليسار الاشتراكي رغم أخذه منهما بعض الافكار، ورفض العمل الحزبي مع الناصريين، نافيا وجود «ناصرية» مؤكدا تواجد «ناصريين»، ورغم ذلك فقد أشادت أغلب القيادات الناصرية باسهامات هيكل في الدفاع عن عبد الناصر والعهد الناصري.

4 - استنتاجـات عامــة

ان التفوق الذي تميز به هيكل، والنجاح المهني الذي وصل اليه في مجال تخصصه، يعود أساسا الى فهمه لطبيعة العلاقة بين السياسة والاعلام في بلده وبلدان العالم الثالث، لقد انتبه مبكرا الى طبيعة هذه العلاقة عندما

قال: «اننا ننسى أحيانا ان الصحافة في اي بلد، جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية فيه، كما ان الحياة السياسية في اي بلد هي بدورها تعبير عن واقع اقتصادي واجتماعي هو الاساس في كل شيء».[1] وأضاف في مكان آخر «ان العلاقة بين السياسة والاعلام معقدة في كل الدنيا، وهي في دنيانا - دنيا العالم الثالث ــ أكثر تعقيدا».[2]

ويشرح هذا التعقيد في قوله «هناك اولا ان الصحافة في اي بلد هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية في هذا البلاد.

وهناك أيضا ان الصحف لا تصدر وتنتشر تعبيرا عن الاراء والرغبات الذاتية لمحرريها، وانما هي تصدر وتنتشر عندما تعبر عن آراء ومصالح أوسع وأكبر لقوى وتيارات اجتماعية.

وهناك ثالثا ان حرية الصحافة لا تتأكد بمجرد الاعلان عنها، وانما تتأكد حين تكون الاراء والمصالح التي تعبر عنها، اي صحيفة قادرة على حماية حقها في التعبير عن نفسها.

ويترتب على ذلك - رابعا - ان تعدد القوى في المجتمع - ودرجة هذا التعدد وفق مرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والتوازنات الناشئة عنها - هو الذي يخلق امكانية تنوع الاراء تعبيرا عن تعدد القوى.

---

(1) هيكل في نقابة الصحافيين، مجلة الشراع اللبنانية، السنة الخامسة العدد 242، 3 نوفمبر 1986.
(2) محمد حسنين هيكل، بين الصحافة والسياسة، مصدر سابق- ص ص 7 - 8.

ويتصل بذلك - خامسا - أنه اذا سادت في مجتمع معين - بسبب طبيعة مرحلة التطور التي يمر بها - سلطة واحدة فان الحياة السياسية في اي بلد تنحصر في حدود هذه السلطة الواحدة، وما عداها يكون خروجا عليها بالتمرد أو الثورة».(3)

كذلك، ان النجاح الذي وصل اليه هيكل، والمكانة التي احتلها في عالم الصحافة والسياسة يعود الى تواجده القريب من صانع القرار، فهو يعترف: «ان الظروف وضعتني لفترات طويلة بالقرب من صانع القرار المصري، وكانت هناك صداقة ربطتني بالرئيس جمال عبد الناصر وبالرئيس أنور السادات بعده، وكنت ألخص مهمتي كصديق بالقرب من صناع القرار في عنصرين اثنين لا ثالث لهما، واعتقد انهما العنصران اللازمان لكل من تضعه الظروف التاريخية بقرب صانع القرار في أي بلد من البلدان.

العنصر الاول: أن لا يفاجىء صانع القرار بأي تطور أو بأي تيار فكري.

العنصر الثاني: أنه عندما يقع أي تطور أو يبرز أي تيار، فانه لابد أن تكون هناك بدائل متعددة للحركة، بحيث لا يجد صانع القرار انه أمام خيار واحد لا مناص له من قبوله...».(4)

لقد وظف هيكل السياسة في سبيل نجاحه الصحفي كما وظف الصحافة في سبيل نجاحه السياسي، على حد تعبير ضياء الدين داوود.(5)

---

(3) المصدر السابق - ص 235.

(4) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق ص - 194.

(5) ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة اجراها معه الباحث، مرجع سابق.

لقد لعب بمهارة فائقة لعبة الصحافة والسياسة معا، يوظف هذه لتلك وتلك لهذه في أسلوب دقيق ذكي، وهي من أحد العوامل التي أوصلته الى قمة الضوء.

أيضا، يعود الصيت القوي الذي أخذه هيكل الى ارتباطه بجمال عبد الناصر، وهو الزعيم التاريخي الذي كتبت حوله كتب تجاوز عدد عناوينها الخمسين ألف.(6) ونوقشت في «الناصرية» أطروحات كثيرة، ومازالت الصحف والمجلات العربية والعالمية تستخدمها كمادة مفضلة لقرائها، اضافة الى تأسيس أحزاب كثيرة في الوطن العربي تحمل لقب وصفة «الناصري» في مصر ولبنان واليمن وموريطانيا... وهي حركات جماهيرية تهتم وتقرأ وتكتب في كل ما هو ناصري، مما أتاح لهيكل جمهورا عريضا جاهزا ومتحمسا له ولكتاباته، خاصة بدفاع هيكل عن عبد الناصر الذي لخص رأيه فيه بقوله «ربما استطعت ان ألخص دور جمال عبد الناصر فيما يلي: رجل أعطى أمته يقينا متجددا بأنها موجودة، وأعطى لهذا اليقين المتجدد بالوجود حركته التاريخية، وانجز بهذه الحركة مهاما كبيرة على أرضها وحول أرضها وفي العالم».(7)

كما يرجع نجاح هيكل الى اهتمامه بما يقدمه للقارىء العربي، «وتمرده» الدائم على الرقابة الرسمية او حتى الرقابة الذاتية التي كثيرا ما تعوق الصحافي او الكاتب عن نقل الحقيقة، وعن الجرأة، ومن ثمة الابداع.

---

(6) رياض الصيداوي، حوارات ناصرية، نقوش عربية، تونس 1992، ص 3.

(7) محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، حوار مع صديق هناك، مصدر سابق - ص 32.

ان هذه الشجاعة في نقل الاراء ونشر ما تسميه اجهزة الدولة المتزمتة بالاسرار، جعل هيكل يكتسب حب القارىء واعجابه وثقته، ويقول هيكل في هذا الموضوع: «انني اعتقد ان مسؤولية الصحفي امام قارئه اولا وأخيرا، على شرط ان يلتزم فيما يكتب بالقانون العام، وباخلاقيات النشر، وبفهمه هو للمصلحة العامة وحدود السلامة الوطنية.

ولقد وجدت من هذا كله أن واجبي كصحفي يحتم علي ان يكون القارىء على علم بكل التصورات المطروحة حول الصراع الذي هو طرف رئيسي فيه، خصوصا اذا كانت هذه التصورات تدرس وتناقش في كل مكان في العالم المتحضر».[8]

وأضاف أسلوب هيكل ومنهجه في الكتابة، نقطة اخرى تثير اعجاب القارىء، وتجعله يتعلق بقلمه، فهو يؤكد، «... أن المنهج الذي التزمه في كتاباتي هو ان اضع امام القارىء اكبر مجموعة ممكنة من الحقائق والتصورات والافكار ولا أفرض عليه نتيجة حتمية لها، وانما أشركه في نوع من الحوار معي ليصل بنفسه الى ما يريد استخلاصه من النتائج، ومن هذا الاسلوب فان مقالاتي تختلف عن مقالات غيري... غيري يكتب مقالاته بداية ونهاية، واما أسلوبي فانني احاول ان اترك فيه القارىء مع المشكلة يفكر فيها بعد ان يفرغ من قراءة المقال... انني لا اريد ان اقدم للقارىء «لغة جاهزة» وانما أريد ان اقدم له مادة للتفكير...».[9]

---

(8) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي امام المدعي الاشتراكي، مصدر سابق - ص 169.
(9) المصدر السابق - ص 143.

5 - امتـــــــداد

ويلاحظ كل من يقرأ مقالات هيكل او كتبه، جمال اللغة العربية التي يستخدمها وغزارة المعلومات وتنوعها التي يوظفها في تحاليله. وتلك العبارات الجميلة التي تفوق بها، ودخلت القاموس السياسي...

كما تميزت ببراعته في استخدام تقنيات السرد والوصف والحوار والاستدراك، كانه قصاص او روائي مبدع، بل ربما كثيرون يتساءلون عن، أين يبدأ الصحفي واين ينتهي الروائي في كتابات هيكل؟ أفلا تعد بعض الكتب التي كتبها من نوع الرواية السياسية؟ ويتساءل البعض، ترى لماذا لم يكتب هيكل الرواية؟ أتراها تنجح كبقية كتبه ام يصيبها الفشل لو فعل وكتب؟ خاصة وان كل ما كتبه يوحي بانه لن يعجز أمام هذ العمل الجديد، ويجب ان نلاحظ هنا ان اغلب الصحافيين الكبار في مصر وفي الوطن العربي كتبوا روايات كثيرة، حتى مصطفى أمين خصم هيكل كتب اكثر من رواية...

ان ظاهرة هيكل - النجم، ارتبطت بعهد ذهبي، تفوقت فيه كل المجالات، فهيكل كان نجما في الصحافة، وجمال عبد الناصر زعيما كاريزميا مؤثرا في الوطن العربي والعالم، وأم كلثوم، نجمة الغناء والطرب، كما ان نجيب محفوظ نجما في الرواية، ويوسف ادريس نجما في القصة القصيرة، وصلاح جاهين في الشعر، ولويس عوض في النقد الادبي، ويوسف شاهين في السينما و«رأفت الهجان» في المخابرات...

كان عهدا تميز بالحروب والالم وبالصراع والتحدي وبالانتصار والهزيمة وبالامل والاصرار على التقدم، وأفرز هذا العصر نجومه ومبدعيه، وقدموا للعالم ابداعات انسانية خالدة... وربما من هنا جاءت عالمية محمد حسنين هيكل والشهرة الواسعة التي اكتسبها.

رياض الصيداوي

بوحجلة في 15 جويلية 1992

A la suite de la guerre d'octobre 1973 leur relation se dégrade au point où Sadat va jusqu'à mettre Haykal en prison.

Le troisième et dernier thème : tendance de la pensée politique de Haykal. Le premier point traite de la pensée politique de Haykal concernant le conflit du Moyen Orien. Le second point concerne son point de vue des deux super Puissances. Le dernier point essaye de définir la pensée politique de Haykal dans le but de savoir qui est Haykal en réalité : libéral, marxiste ou nassérien ?

Conclusion : Haykal a utilisé le Journalisme pour jouer un rôle politique effectif comme il a su utiliser la politique pour devenir le plus grand journaliste dans le monde arabe.

Le second thème de cette même partie traîte de Haykal et l'organisation de la Presse en Egypte. Contrairement à Nasser, Haykal voulait une Presse totalement libre vis à vis de l'Etat.

Le troisième thème aborde le sujet des renseignements : au début c'est Haykal qui fournissait au Président Nasser des renseignements importants; par la suite Nasser, lui accordant sa confiance, se mit à mettre à la disposition de Heykal des renseignements sur divers secrets. Après la disparition de Nasser, Haykal s'est protégé contre les ennemis de Nasser ainsi que de ses propres ennemis en utilisant les secrets fournis par Nasser.

Le dernier thème de cette partie traîte de Haykal "l'Historien". L'analyse que nous avons faite nous mène à conclure que Haykal n'est en fait un vrai historien que pour l'homme de la rue. En fait, Haykal n'utilise pas de méthode scientifique pour aborder l'histoire. D'ailleurs Haykal admet lui-même "qu'il ne fait qu'une lecture de l'Histoire".

Dans la seconde partie de ce mémoire, nous traitons 3 thèmes. Le premier se rapporte à Haykal pendant la période de Nasser : comment leur relation a débuter, puis l'évolution de cette relation dans sa dimension humaine. Nous traitons ici aussi du rôle politique de Haykal et ses relations avec les différents appareils d'Etats. Enfin sa position politique vis à vis des découpages politiques.

Le deuxième thème : Haykal et Sadat. Au début du règne de Sadat, ils furent de bons alliés. Leur alliance atteint son plus haut niveau lors de ses démêlés avec les pro-Nasseriens le 15 mai 1971.

6 - RESUME

Le thème principal de ce mémoire est la vie journalistique et politique de Monsieur Mohamed Hassaneïne Haykal, personnage qui a grandement influencé par ses écrits la vie politique dans le Monde Arabe et plus particulièrement en Egypte.

La biographie de Monsieur Haykal n'a pas été traitée chronologiquement mais par thèmes.

La vie et l'oeuvre de cet important personnage arabe a été volontairement divisée en deux : la première partie traîte du rôle et de l'influence des activités journalistiques alors que la deuxième partie analyse le rôle et l'influence politique.

Dans la première partie de ce mémoire nous nous sommes penchés sur l'expérience de Haykal avant l'époque du Journal El Ahram. On remarquera qu'il a contribué par divers articles à trois différents journaux successivement : "Egyptian Gazette, Akhar Sâa, Akhbar El Yaoum". C'est en écrivant dans ce dernier Journal qu'il est devenu un journaliste reconnu. En 1957, il est devenu rédacteur en chef "d'El Ahram". Avant sa venu, El Ahram était un journal déficitaire; mais ses écrits étant largement appréciés le Journal ne tarda guère à redevenir financièrement sain surtout que Monsieur Haykal est aussi un bon manager et un fin tacticien.

Après la guerre d'octobre 1973, ses différents avec le Président Sadate lui coutèrent la Direction d'El Ahram.

The third and last theme deals with Haykal political orientation. The first point deals with Haykal's viewpoint on the two Super Powers. In the last point we try to define Haykal's political thought : was he a liberal, a marxist or a nasserian?

Conclusion : Haykal utilised his newspaper man skills to play a strong political role and, later, his political experience to play an important role as a newsman and become the most important newsman in the arab world.

President Sadat, he was forced to leave El Ahram.

The second theme of this same part has to do with Haykal and the organisation of the Press in Egypt. Unlike Nasser, Haykal wants a totally free press vis à vis of the State.

The third theme deals with intelligence gathering : in the beginning it was Haykal who was giving to Nasser the important and secret information. Latter on, it became the opposite, because Nasser had full confidence in Haykal. After Nasser's death, Haykal protected himself and Nasser's ideas by using the information he obtained through Nasser.

The last theme of this part looks at Haykal as a historian. It appears that Haykal was viewed as a professional historian only by the man of the street. In fact Haykal never used a scientific approach to history. Moreover, he admits that his "work is only a reading of history".

In the second part of this mémoire, three themes are considered. The first has to do with Haykal during Nasser's presidency. We see how their relationship is born and the evolution of it in its human dimension. Here too, we treat his political role and his relations with the various state apparatus. Finally we analyse his political view in regard of the Egyptian political scene.

The second theme : Haykal and Sadat. At first they were good allies. Their alliance was at its top when Sadat had to deal with the pro-nasserians, on may 15, 1971. After the 1973 war their relationship went down the drain and Haykal was jailed.

7 - SUMMARISE

The main topic of this mémoire is Mr. Mohamed Hassaneïne Haykal's political and journalistic life, a man who has greatly influenced through his writings the political scene in his country and in the arab world as well.

This Haykal's biography was not looked at from a chronological view point, but rather through the study of several themes.

The life and the work of this important arab thinker was wilfully divided in two. The first part deals with his journalistic activities. The second part deals with his role and influence on the political life.

In the first part of this mémoire, we looked at Mr Haykal's life and work before joining the famous newspaper El Ahram. He worked successively in three different newspapers : The Egyptian Gazette, Akbhar Sâa, and Akhabar El Yaoum. It is Akhbar because of his writings in this last newspaper that he was noticed and his talent was recognised.

In 1957 he became the chief editor at El Ahram. Before his transfer to this newspaper, El Ahram was loosing money. But because his writings were widely appreciated and also because he was a good manager, Al Ahram soon started making money again.

After the 1973 war, because of his disagreement with

الملاحق

عالم هيكل

حينما ضغطت على جرس الشقة رقم 43، في البناية الضخمة المتواجدة في شارع النيل والمحاذية لفندق الشيراتون، استقبلني الاستاذ منير عساف، مدير مكتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل، المكتب كبير نسبيا، وفي الرواق الذي تتفرع عنه الغرف، علقت مجموعة من الصور الكبيرة، التي يبرز فيها الاستاذ هيكل في مواقع كثيرة... في الحرب الكورية، وفي سيبيريا وفي مدن شهيرة اخرى من العالم... وفي احد الغرف نشاهد مجموعة من أجهزة الفاكس، تعمل كلها تقريبا... اضافة الى أجهزة الاعلامية المعتمدة...

وبعد لحظات قليلة دخلت مكتب الاستاذ هيكل، ووجدت المشهد مألوفا لدي، فهو يتكرر مع كل زائريه... الاستاذ هيكل في بدلة انيقة، يستقبلك والسيجار الفاخر بين اصابعه... تأثيث المكتب من النوع التقليدي،الكراسي، المكتبة... رحب بي الاستاذ وبعد المجاملات قال:

- انا الان منشغل في كتابي عن حرب الخليج، وحقيقة وقتي ضيق، ويمكن ان اعطيك وقتا اكثر في مناسبة اخرى.

ثم حدثته عن طبيعة الموضوع... فعلق قائلا:

- كثيرون هم الذين كتبوا عني، ولم اعد اتفاعل معهم كثيرا، حتى لا أموت غيضا حينما يهاجمني بعضهم، ولا أموت غرورا حينما يمدحني بعضهم الاخر.

وأضاف:

- من الاحسن لك، ان تدرسني بعيدا عن راي هيكل في هيكل، من الخارج يكون افضل تكتفي بكتبي ومقالاتي، وهي تترجم,حقيقة افكاري في

الحياة... وتسمع من الاخرين... وهكذا تكون رسالتك اكثر علمية وموضوعية...

ويعيش محمد حسنين هيكل حياة خاصة تتميز بانه:

كيف يقضي هيكل يومه؟

يستيقظ عادة مبكرا، حوالي الخامسة صباحا... برنامجه اليومي يبدأ خلال ايام الاسبوع بلعب الجولف في «نادي الجزيرة» فهو من المؤمنين باهمية الحركة.

على الساعة الثامنة والنصف يجلس الى مكتبه حتى الساعة الرابعة... بعد ذلك يغادر المكتب الى البيت للغداء وقراءة الصحف ثم يعود الى مكتبه في الخامسة لغاية السابعة والنصف تقريبا ثم يعود الى البيت.

يقع مكتب الاستاذ هيكل وبيته في طابق واحد ويفصل بين الاثنين جدار ولكن لكل منهما باب مستقل عن الاخر ويتعامل هيكل مع الاثنين - المكتب والبيت - كمكانين متباعدين فاذا كان في المكتب كان ممكنا الاتصال به، اما اذا كان في البيت فانه خارج دائرة الاتصال.

ويعتبر هيكل ان المكتب يكمن دوره في:

- اولا: لعمل الاتصالات والمقابلات

- ثانيا: للعمل الخاص بالكتب التي يكتبها... لاعمال البحث وتخزين المعلومات... لقراءة الاخبار والتقارير والمعلومات المرسلة من الخارج، للمراسلات...

ويعتقد ان صلته بالصحافة العالمية قائمة ومستمرة... لكن ليس لديه بالطبع مندوبين، لكن له اتصالات واسعة بالعالم وعلاقات كبيرة بمراكز البحث

والتفكير فيه...

ويقرأ الصحف دائما في فترة الظهر في المنزل، والمجلات يقرأها ليلا قبل النوم، اما الكتب، فيطالعها عادة يومي الخميس والجمعة في الريف حيث يقضي نهاية كل اسبوع.

ويقول عن التلفزيون «أحرص على متابعة نشرة أخبار الدولة» وفي الاذاعة يتابع بانتظام رسالة «الستركوك» في BBC الانجليزي واسمه «رسالة من أمريكا A letter from America».

وهو يكتب دائما مذكراته مهما كان مرهقا، فقط خلال فترة السجن كان عليه ان يعتمد بالكامل على ذاكرته.

أوراقه وملفاته منظمة، وهذا لانه كان يعرف أنه سوف يكتب يوما من الايام معتمدا على هذه الملفات والوثائق... ورقه كله احتفظ به منظما، وقد بذلت معه سكرتيرته نوال المحلاوي طوال عملها جهدا ضخما خلال عمله بالاهرام، وعندما ترك الاهرام استطاع ان يكمل جمع ورقه وتنظيمه وحفظه.

وبالنسبة لمسألة الذاكرة يعتقد هيكل ان «اي صحفي في الدنيا هو، أولا: قاعدة معرفة، علوم وثقافة، ثانيا: اتصالات، ثالثا: جهاز ذاكرة ثم بعد ذلك مقدرة على التعبير وغير هذا لا يكون صحفيا بالمعنى المعروف».

وحتى ينمي ذاكرته، فهو خلال الفترة التي يقوم فيها بممارسة لعب الجولف صباحا... يردد الشعر... ويعتبر مجموعة قصائد الشعر التي يحفظها وسيلة لتنمية ذاكرته او على الاقل الاحتفاظ بها.

فقبل ان يذهب الى ممارسة الجولف، يختار كل يوم شاعرا من الشعراء... في يوم يختار البحتري، وفي يوم ثاني شوقي، ويوم ثالث المتنبي، ويوم رابع

بشار... وهكذا تكون احدى شواغله في أثناء فترة المشي التي يمشيها في لعبة الجولف محاولة استعادة ما يحفظه من قصائد وأبيات لهذا الشاعر الذي يعينه... لان الذاكرة شانها شان اي جهاز اذا لم تستخدمه يصدأ... وحفظ الشعر عنده ليس هو المقصود وانما المقصود هو تعويد الذاكرة على الاسترجاع... مع انه لا يستعمل الشعر ابدا في مقالاته...

وكان هيكل معجبا بنهرو وديغول وشوان لاي، ويتمنى ان يعيش معهم وقتا طويلا، في حين يعتبر الرئيس موبوتو أسوأ شخصية سياسية عرفها.

سامي شرف

مدير مكتب عبد الناصر

محمد حسنين هيكل، فتح درج مكتبي، واخذ اوراقي، عندما اعتقلني السادات في ماي 1971

* لم تعط أجهزة الدولة معلومات خاصة لهيكل
* تصلني يوميا عشرة آلاف رسالة باسم عبد الناصر
* حاول عبد الناصر ان لا ينفرد هيكل بمنصب الصحافي الاول
* قواعد الاتحاد الاشتراكي كانت رافضة لترشيح السادات رئيسا للجمهورية
* قبل 20 أفريل 1971، لم نكن نعرف مع من كان هيكل، معنا ام مع السادات
* انني اتهم هيكل بتخدير شعراوي جمعة
* كلا، هيكل ليس بمهندس انقلاب ماي 1971
* اعتقد أن هيكل في كتاباته، تجاوز بعض الحقائق، وتجاهل اخرى وغير بعضها
* هيكل ليس بمؤرخ الناصرية

القاهرة - رياض الصيداوي

حينما سألت صديقا صحفيا مصريا، عن امكانية ان يدلي الاستاذ سامي شرف، مدير مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ووزير شؤون الرئاسة، بحديث يسجل فيه شهادته حول محمد حسنين هيكل، الموضوع الذي ابحث فيه في، رسالتي اجاب بان ذلك شبه مستحيل لان الرجل لم يتحدث الى أحد منذ سنة 1971 تاريخ اعتقاله، لكنه قال: الاستاذ عبد الله امام صديقه، لو تخاطبه قد يتمكن من اقناعه، وفعلت... وجاءني الرد ايجابا، ودخلت بيتا متواضعا في مصر الجديدة، استقبلني فيه الاستاذ بحفاوة وكرم كبيرين، وبعد حديث قصير عن تونس واخبارها، بدأنا اللقاء، وسجلنا ساعة ونصف عن هيكل، تعرضنا فيها الى نقاط غامضة، والى اسرار لم تذع، وقبل ان اودعه قال: هل أطلب منك طلب، اجبت طبعا بكل سرور، قال: أريدك ان تعطيني نسخة من التسجيل، وأنا أفعل ذلك حتى تعود واحدثك فيما تشاء من معلومات وأسرار لم اتحدث عنها منذ اعتقالي سنة 1971.

وعدت، وفتح كاتم اسرار عبد الناصر الباب على مصراعيه لأطلع على تاريخ بلاده، وقمنا باربع جلسات، سجلنا فيها تقريبا كل شيء، عن عبد الناصر والاخوان المسلمين، وعن علاقة الرَّيس (كما كان يلقبه طوال الحديث) بالشيوعيين، وبالاتحاد الاشتراكي، وعن هزيمة 1967، وصراعه مع صلاح نصر وعبد الحكيم عامر، وعن محاولات الحركة العربية الواحدة، وعلاقاته بحركات التحرر العربية، وعن التعددية السياسية في عهد عبد الناصر، ومشروع تعدد الاحزاب الذي لم يتمكن من انجازه وعن انقلاب السادات في مايو 1971...

وتضمن الحديث اسرارا كثيرة، بعضها، رفض الاستاذ سامي شرف تسجيلها، فكان يطلب مني من حين الى آخر ايقاف المسجل، خاصة عندما يمس الحديث شخصا في سلوكه وحياته الشخصية... وفي آخر جلسة طلب مني عدم النشر الا بموافقته، وألح في ذلك، ووعدته انا بدوري، لكن هذا الوعد لا يتضمن الحديث عن محمد حسنين هيكل باعتباره جزء من البحث الذي أقوم به، وهو سينشر على أية حال...

الاستاذ سامي شرف، رجل هادىء، قوي البنية، شديد التواضع، لا يملك بيتا ولا سيارة فارهة، فقط واحدة من نوع نصر 128 يجيب عن كل الاسئلة مهما بلغ احراجها، ويعتز بانه كان الاقرب الى قلب جمال عبد الناصر طوال فترة حكمه حتى وفاته...

* كيف تعرفت على محمد حسنين هيكل؟

** كان ذلك سنة 1954 أو 1955.

* الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كانت له مجموعة من مصادر المعلومات، البعض يقول ان هيكل له تأثير كبير على الرئيس باعتباره يوفر له كمية هامة من المعلومات؟

** هيكل كان احد مصادر المعلومات باعتبار عمله الصحفي، ووجوده في وضع قيادي في مجال تخصصه، لكن بالنسبة لتدفق المعلومات للرئيس جمال عبد الناصر، كان يتميز بالتنوع وعدم الاحادية حتى لا يصبح أسير جهة واحدة او جهتين، وبالتالي طبيعة تكوين الرئيس، كقائد خطط ونفذ ثورة 23 يوليو 1952، تجعله لا يكتفي بمصدر واحد، ولنوضح هذا الكلام فنقول:

ان مصادر المعلومات لعبد الناصر كانت تنقسم الى قسمين، القسم الاول تشكله المصادر العلنية وتشمل الصحافة، الاذاعات العالمية بمختلف اتجاهاتها، الدوريات والنشرات والدراسات والكتب، فكل ما هو منشور ومسموع ومرئي كان يسعى للاطلاع عليه.

وتشمل المصادر العلنية ايضا رسائل المواطنين، وكانت كثيرة جدا، حتى تتعدى في بعض الاحيان وفي اليوم الواحد عشرة آلاف رسالة، وفي بعض الاحداث التاريخية، يصل الرقم الى مئات الالوف من الرسائل في اليوم موجهة لجمال عبد الناصر، وتأتي من مصريين وعرب، ومن أمريكا اللاتينية، واستراليا، ومن بلدان اخرى.

مجموعة هذه الرسائل كانت تعطي لجمال عبد الناصر صورة حية نابضة عن مشاعر الجماهير وما تريده.

اما القسم الثاني من المعلومات، فهو المعلومات المغطاة، وهذه المعطيات السرية تصله من الاجهزة المختلفة ومن لقاءات واتصالات شخصية، على سبيل المثال، بعض رؤساء الدول يبعثون له بموفودين يتحدثون في مواضيع ذات طابع سري، كنوع من انواع جس النبض، او محاولة معرفة وجهة نظر جمال عبد الناصر، من جهة اللقاءات كان الرئيس يتحصل على كم من المعلومات تساعده في اتخاذ القرار المناسب.

اضافة الى كل ذلك، هناك تقارير الوزارات والمؤسسات الرسمية، وهي جهات خبيرة.

استنتاجا لا يمكن القول بان جمال عبد الناصر يعتمد على مصدر واحد فقط، ومحمد حسنين هيكل كان احد المصادر المنظمة المرتبة.

* حسنا هذا فيما يخص اتجاه المعلومات من هيكل والمصادر الاخرى الى جمال عبد الناصر، فماذا عن الاتجاه المعاكس اي اتجاه المعلومات من الرئيس وأجهزة الدولة الى محمد حسنين هيكل، خاصة وان الرجل شحن كتبه بكمية كبيرة من الوثائق بالغة السرية؟

** والله انا سمعت كثيرا حول هذا الموضوع، عندما كنت في مركز السلطة، مسؤولا عن مدير مكتب الرئيس ووزير سكرتارية شؤون الرئاسة، لم يتجاوز حجم الوثائق التي كانت تعطى للاستاذ هيكل المسائل العلنية المباحة، اما الوثائق السرية فلم تخرج من المكتب ابدا، لذلك انا وقد اكون مخطئا، ربما لان هذا الامر حصل وانا في السجن، سمعت من بعض الاشخاص ان أنور السادات سمح بعد انقلاب مايو 1971 لهيكل ان يدخل مكتبي ويأخذ ما يشاء من أوراق.

والذي يؤكد لي هذه المعلومة ان هناك وثائق نشرت في كتب الاستاذ هيكل، لم تعط له، قطعا ويقينا، وخصوصا تلك الاوراق التي كتبتها بخط يدي، وكانت موجودة في مكتبي الشخصي، وبالتحديد في درج مكتبي الخاص، وحصل عليها، وأنا لم أعطه شيئا، لذلك اعتبر الرواية التي قيلت أقرب الى الصحة.

* قبل ان يلمع نجم هيكل الصحافي كمقرب لعبد الناصر، الم يحاول صحافيون آخرون ان يقوموا بدور القريب من الرئيس الراحل؟

** ليس صحافيون آخرون حاولوا لعب هذا الدور، وانما عبد الناصر نفسه حاول ايجاد دور لهم، يعني ان الرئيس كان متضايقا في اعماقه من ان هيكل هو الوحيد القادر على التعبير عن النظام، وكثيرا ما حاول طوال 18

سنة ان يعطي الفرصة لاخرين، لكنهم لم يستطيعوا ان يثبتوا وجودهم.

ومن هنا أقول ان هيكل محترف ممتاز، ذكي، لماح، له قدرة فائقة على التعبير.

وهذه مسألة موهبة، وانا اعتبر انه يمثل آخر العمالقة في ميدان الصحافة.

* هل يمكن ان نعرف من هم الذين اعطاهم عبد الناصر الفرصة ولم ينجحوا؟

** الرئيس حاول ان يعطي الفرصة لاكثر من عشرة صحفيين، مثل احمد بهاء الدين، كمال الحناوي، جلال الحمامصي، وربما تندهش لذلك، حلمي سلام... لكنهم لم يستطيعوا.

* هل كان لهيكل دور رئيسي في صياغة خطب عبد الناصر؟

** صياغة الخطب كانت تتم على النحو التالي: الرئيس يفكر، ويضع نقاطا للخطاب، ثم يستدعي هيكل، ويجلسان مع بعض، ويتكلمان فيها، ثم يصيغها هيكل، وهذا شيءطبيعي لانه لم يوجد رئيس يكتب خطبه دائما بنفسه.

* ومكتب المعلومات الذي ترأستموه ألم يكتب خطبا لجمال عبد الناصر؟

** حاولنا في مناسبات قليلة، ونحن لسنا حرفيين، فمال الرئيس الى محترف، اما واجبنا نحن فهو تجميع المعلومات.

* الصورة السياسية في الستينات كالاتي: الرئيس جمال عبد الناصر بطلا كاريزميا، عبد الحكيم عامر وصلاح نصر كتلة تعمل في الجيش والمخابرات، ومجموعة الاشتراكيين المتشددين متكونة من المرحوم علي صبري،

والمرحوم شعراوي جمعة، والاستاذ سامي شرف، محمد حسنين هيكل اين يتموقع في هذه الصورة، وهو يبدو غريبا في هذه الصورة، بدون علاقته مع الرئيس الراح؟.

** أنت سألت وأجبت، فهيكل كان يعتبر علاقته مع عبد الناصر شخصية اكثر منها عامة، ولا اكتمك حقيقة انها نفس العلاقة التي كانت بيني وبين الرئيس الراحل، علاقتي معه، يصعب جدا ان اترجمها بالالفاظ.

* علمت انه بعد وفاة الرئيس، كنت الوحيد الذي يزور قبره يوميا.

** نعم، صحيح.

* الفكر السياسي عند هيكل، الا يبدو انه الاقرب الى الفكر الغربي الليبيرالي من قربه الى الفكر الاشتراكي الشعبي؟

** أنا من معايشتي لهيكل اعتقد ان توجهه ليبيرالي، ومن خلال علاقته الخاصة مع الرئيس استطاع ان يتعايش مع التحول الاجتماعي، والدليل على توجهه الليبيرالي امتلاكه مثلا لعزبة خاصة، حياته حياة طرية اصدقاؤه الحميمين جدا من أنواع السيد مرعي، وفي نفس الوقت، علاقته بعبد الناصر جعلته لا يتمادى في ذلك.

وهنا اوقفت جهاز التسجيل بطلب من الاستاذ سامي شرف، وتحدث عن بعض الاشياء ثم عاد التسجيل ليقول: انا اريد ان ادافع لا ان اهاجم، وانظر الى الامام الى المصلحة العامة، وهي تقتضي ان نرتفع عن اشياء تفصيلية تؤذي وضعنا، رغم معرفتي انها حقائق فعلا، ويجب ان تذكر، لكن ليس كل ما يعرف يقال.

* مقاطعا، التاريخ لا يرحم، وهذه شهادة له يا استاذ!

** صحيح، التاريخ لا يرحم، وانا انسان تتلمذت على يد جمال عبد الناصر، وعشت معه طوال التجربة بحلوها ومرها، ثم بعد وفاته ذقت عذابا كبيرا في سجون السادات ورغم ذلك انا لا امتلك اي شيء، وفي عهد عبد الناصر «كنت على الحجر» استطيع ان افعل ما اشاء، بلا حسيب وبلا رقيب، كنت اقدر مثلا ان امتلك بيتا اؤمن به اولادي بعد وفاتي، ولكنني الى اليوم لا املكه، وربما يدخل هذا في التوجه العام، وهو توجه عبد الناصر الذي يعتبر ان الملكية يجب ان تكون في حدود عدم الاستغلال.

* الاتحاد السوفياتي، عبر في بعض المناسبات عن عدم ارتياحه لمحمد حسنين هيكل في حين انه مرتاح للمرحومين علي صبري وشعراوي جمعة، كيف تفسر هذا الموقف؟

** أنا كمواطن مصري عربي لا يهمني موقف موسكو ولا واشنطن، وما يعنيني هو مصلحة بلدي وامتنا العربية، واذا كان فلان او علان يرضى عنه المندوب الامريكي او السوفياتي، فهذا شيء لا يهمني بتاتا، لكن من اجل قضايا معينة، وبما انك دولة والعالم يحكمه قطبان كبيران، وسياسة عبد الناصر كانت متوازنة، وفي بعض الحالات، كانت العلاقات مقطوعة مع الولايات المتحدة الامريكية في حين تزودنا بثلاثة ارباع قطع غيار مصانعنا مثلا، وألمانيا الغربية كانت تسلح اسرائيل ورغم ذلك قامت بمجمع كيميائي كبير جدا في أسوان، فسياستنا في عهد عبد الناصر كانت متوازنة تراعي مصلحة وطننا وأمتنا العربية.

أما مسألة دولة راضية عن فلان او غير راضية فهذه مسألة لا تعنينا تماما، وانما كانت تعتبر نكتة نمزح بها.

واعتبارا لتوجهات هيكل الليبيرالية، فهي لم تعجب الاتحاد السوفياتي، وفي نفس الوقت كانت مقالاته الوطنية لا تعجب امريكا.

* ليلة 28 سبتمبر 1970، عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، حدث اجتماع لاركان الدولة لبحث مستقبل البلاد، ما الذي دار في هذا الاجتماع، واين كان موقع هيكل في المشهد؟

** بعد الوفاة واقرارها من قبل الاطباء، حصل اجتماع في بيت الرئيس عبد الناصر، تحديدا في الصالون التحتي، وحضره أنور السادات، وحسين الشافعي وعلي صبري، وشعراوي جمعة، والفريق محمد فوزي ومحمد حسنين هيكل وأنا، ولا اتذكر ان كان أمين هويدي حاضرا ام لا، وتم نقاش سريع، حيث كنا جميعا مرتبكين، وما وقع تناوله كان مجرد رأس موضوع حول «ماذا بعد؟»، وبدون تردد وبدون اي نقاش احادي او مزايدة، اتفقنا جميعا على سيادة الشرعية، ليه؟ حتىيضرب المثل للشعب المصري وللامة العربية وللعالم، ان هناك مؤسسات تركها عبد الناصر قادرة في غيابه ان تسير الامور وفق ما كان يريد.

بعد ذلك اتفق على عُقد اجتماع مشترك لمجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في القصر الجمهوري بالقبة، وتم الاجتماع وأبلغ الحاضرون بالوفاة، وأقررنا استمرار الشرعية، واتفقنا على بيان صاغه هيكل، يلقيه أنور السادات ينعى فيه الشعب المصري والامة العربية في وفاة زعيمها.

* في هذين الاجتماعيين ألم يكن لهيكل دور واضح في ترشيح السادات للرئاسة؟

** نحن أتفقنا على الشرعية وهي تعني ان هناك نائبا للرئيس يتولى الرئاسة، والنقاط التي اثيرت واختلف فيها، استطيع ان اقول لك انها لاسباب شخصية، فالمعترض الوحيد كان حسين الشافعي لاسباب شخصية محظة ونحن قلنا ان نائب الرئيس هو الذي يجب أن يباشر مهام الرئيس، وأثيرت نقطة دستورية وناقشناها وهي، هل يتولى أنور السادات قيادة مصر لغاية ازالة آثار العدوان، او حتى نهاية ولاية الرئيس عبد الناصر.

* هل يمكن ان نعرف من الذي اثار هذه النقطة؟

** الذي أثارها أنور السادات نفسه، حيث قال اريد ان أبقى في هذه الرئاسة حتى ازالة اثار العدوان، وهذا يدل على ان المعركة كانت قريبة جدا، فعبد الناصر كان قد عين تاريخا لعبور قناة السويس ولتحرير الارض العربية، وهذا رد على الذين قالوا ان ليس هناك خطة واجتهدوا اجتهادات مغرضة... اما نحن فقلنا له اكمل المدة الرئاسية، وبدأت سلسلة الاجراءات القانونية حيث تجتمع اللجنة التنفيذية العليا وتسمى المرشح، ثم يزكيه مجلس الامن وفيما بعد تقع الانتخابات، واعترف اننا هوجمنا جميعا من قواعد الاتحاد الاشتراكي وقالوا لنا «كيف يصبح أنور السادات رئيسا؟» ويثبت ذلك في محاضر جلسات مكتوبة ومسجلة في نقاشنا مع قواعدنا، وكانت الشرعية دائما نصب أعيننا.

* عبد الناصر كان يعرف طبيعة وحقيقة أنور السادات، فكيف عينه نائبا لرئيس الجمهورية، وهو ما اعتبره البعض خطأ عبد الناصر الفادح طوال حياته؟

** الموضوع ليس موضوع خطأ أو صواب، فالحقيقة مسألة تعيين أنور

السادات نائبا لرئيس الجمهورية مسألة خاصة، فالسادات كان عضو مجلس قيادة الثورة الوحيد الذي لم يعين في هذا المنصب، وعبد الناصر تقيد ببيان 30 مارس 1968 الذي أمر بالتغيير الشامل الكامل، والذي كان عبد الناصر مصرا على تنفيذه ووفاءا منه لزمالة تاريخية عين أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية لمدة عام، وذلك لانه لا يتحصل على الراتب التقاعدي لاي وظيفة الا بعد سنة من العمل فيها.

وقد كان بالنسبة لعبد الناصر مطيعا وأمينا.

* بالنسبة لبيان 20 مارس 1968، ورد فيه انه سيحصل تغيير شامل في الاسلوب والحكم، فما هي ملامح هذه التغييرات؟

** نعم جاء فيه ذلك، وأهم شيء مس العمل السياسي، وكان عبد الناصر يقدر انه في سنة 1975، سيكون هناك تعددية حزبية، وبدأ التفكير، تحديدا في أغسطس 1967، في قيام حزبين، واحد للاتحاد الاشتراكي العربي وآخر معارض.

* هذا الحزب المعارض، ما هي أهم سماته؟

** هناك اتفاق على الخط الاستراتيجي العام، ولكن معارض في وسائل التنفيذ وأسلوب التنفيذ.

* هل كانت هناك تسمية معينة لهذا الحزب؟

** كلا، لم تكن هناك أية تسمية.

* الحزب المعارض، سيتشكل من داخل الاتحاد الاشتراكي ام من خارجه؟

** من خارج الاتحاد الاشتراكي طبعا، واذا كان من داخله فالمسألة

تصبح مجرد تمثيل، وهذا لم يكن واردا، فالرئيس قال: يمكن ان يعمل علي صبري، وعبد المحسن ابو النور حزب معارض، ولكن في هذه الحالة لن يصبحوا حزبا، وانما تيارا، لانهم من الاتحاد الاشتراكي، لكن، اذا جاء واحد مثل كمال الدين حسين او عبد اللطيف بغدادي، - وهما لا ينتميان الى الاتحاد الاشتراكي ولكنهما ينتميان الى الثورة وملتزمين بها أدبيا - فيصبح الامر معقولا، وهذه كانت نقطة الانطلاق، لكن فيما بعد أجلت هذه الفكرة نتيجة الانغماس في عملية التحرير.

... ولقد كان عبد الناصر جادا في مسار التعددية الحزبية، وليس فقط حزبان، وخطط لذلك في سنة 1975.

* هل كان الشيوعيون مرشحين لنيل حزب باعتبار قربهم في فترة ما من عبد الناصر؟

** لا استطيع ان اتحدث عن التفاصيل، فقط أقول كان المسار يتجه نحو حزبين، ثم تعددية حزبية، واي احد يدعي غير هذا، فهو لا يعلم، لا يعلم.

* فيما يتعلق بالحركة العربية الواحدة، كيف خطرت في ذهن عبد الناصر بعد 1967؟

** الحركة العربية الواحدة، لم تفارق ذهن عبد الناصر بتاتا، فايمانه بالقومية العربية، ترجمه الى وحدة مع سوريا، الى وحدة مع اليمن، الى علاقات وطيدة جدا مع ليبيا والسودان تمهيدا للوحدة، فهذا الموضوع لم يفارقه ابدا، والذي كان يعوق تطلعاته، اما المراهقات السياسية او التطلعات الشخصية الانتهازية من بعض القيادات التقليدية لركوب الموجة... وعبد الناصر كان يرفض ذلك، ويبحث عن القواعد السليمة، وهي الاسباب التي

دفعته الى التوجه الى الشباب واهتمامه بتكوين منظمة شباب، وخلق جيل جديد يؤمن بالوحدة العربية.

* لكن ألم تلاحظ ان تنظيم فتحي الديب «الطليعة العربية» لم يتمكن من انشاء الحركة العربية الواحدة جماهيريا؟

** العملية التي تولاها فتحي الديب كانت التمهيد وليس الاساس، ومع احترامنا له كصديق وزميل، وهو لسوء حظه وضع في مكان حرج، رغم تأكيدنا على انه انسان شريف نقي، وفي الحقيقة عبد الناصر كان يباشر بنفسه تحقيق حلم الحركة العربية الواحدة، بغض النظر عن المحيطين به.

* لو توضح لنا هذه النقطة أكثر؟

** طيب، عبد الناصر كان يلتقي بكثير من العاملين في المجال السياسي العربي، ومن خلال هذه اللقاءات كان يشكل مع بعضهم علاقات شخصية مباشرة او عن طريقي ليكونوا بمثابة النواة للحركة العربية الواحدة، وباقي التحركات كانت اما للتغطية او لاكتشاف عناصر جديدة او للفرز بينها.

* هذه المجموعات طبعا ناصرية؟

** ضحك عفويا وقال، «إو مال يعني استرالية!»

* فوضحت السؤال اكثر، اعني ربما تكون من حركة القوميين العرب... أو غيرهم؟

** والله، حقيقة كانت هناك عناصر كثيرة ملتقطة من تيارات عاملة في الحقل القومي، ولما جاءت فكرة عبد الناصر تشبثوا بها باعتبارها الاصل، وهؤلاء كانوا من القوميين العرب، ومن بعثيين سوريين وعراقيين، وعناصر تقدمية ماركسية لما فتح لهم عبد الناصر الباب دخلوا جميعا منه.

* أغلب الناصريين الذين تعاملتم معهم، كانوا من لبنان؟

** ليس من لبنان فقط وانما من جميع انحاء العالم العربي، وكل حركات التحرر من المغرب العربي تعاملت مع القاهرة، وكل العناصر التقدمية تعلموا او تدربوا في مصر، من الامارات واليمن والسعودية...

* نعود الى مسألة هيكل، وتحديدا قبل ماي 1971، عندما كتب مقالين أثارا زوبعة كبيرة، مقال «تحية الى الرجال» و«عبد الناصر ليس أسطورة»، كيف واجهت المجموعة الناصرية هذين المقالين؟

** بالنسبة الينا يمكن تقييمهما موضوعيا كالاتي: - هيكل، كان في داخله متخوفا من الحرب، هذا الخوف قاده الى ان يترجم هذا الاحساس الى تعبير قدمه للرأي العام، والرجل صحفي يكتب، وكان دائما يحذر، ونحن كمؤسسة رئاسة ومؤسسة عسكرية قررنا الحرب، لا يهمنا ان نترك مثل هذا الحديث ينشر، ربما يضلل العدو، لكن ما يهمنا هو أن لا تهتز الروح المعنوية للمقاتل، هنا نقول له، قف، لا تتجاوز حدودك، وهذا باختصار ما كان عليه تفكيرنا.

المقال الثاني، المتعلق «بعبد الناصر ليس أسطورة»، اعتقد ان هيكل له الحق وليس له اي حق!

له حق في ان عبد الناصر ليس بأسطورة بمعنى انه لم يكن آلهة ولا شيئا يعبد، ونسيء الى عبد الناصر اذا اعتبرناه صنما معبودا... فالرجل كان انسانا يخطىء ويصيب، ولكن بعض الاخوة اخذوا الموضوع من زاوية عاطفية، فاعتبروا ان هيكل يريد ان يغير جلده، وهذا، حقيقة لم يكن صحيحا، وليس ذلك دفاعا عنه، وانا تحدثت معه حول هذا الموضوع في تلك الايام،

وأيضا حديثا جدا (سنة 1991)، وأنا اتفق معه بأن عبد الناصر ليس أسطورة.

* لكن الى أي حد يعتقد رجال عبد الناصر، بأن هيكل تأثر بتوجيه معين من السادات خاصة في مقال «تحية الى الرجال» الذي أثار خاصة الفريق محمد فوزي؟

** محمد حسنين هيكل رجل يحسب لكل شيء، وطبعا مثلما قلت، كانت علاقته بعبد الناصر علاقة خاصة، وبعد رحيل القائد، لا يمكن ان تكون له مع اي منا علاقة مثل تلك التي كانت مع الراحل، لاسباب كثيرة خاصة به وبنا.. فعبد الناصر كانت له حساباته، وكان قادرا على احتواء الجميع يقرب هذا، ويبعد ذاك، وكل شيء كان محسوبا، فهيكل اعتقد انه لن يكون له نفس الموقع والمكانة التي كانت له مع عبد الناصر، واعتقاده صحيح، من الناحية العلمية، لكن عمليا خطأ، لماذا؟ لانه أراد أو لم يرد محسوب على عبد الناصر، يعني لو انقلب عليه، لن يصدقه احد، فهو لا يستطيع ذلك مطلقا.

واعتقد انه لو حسب الامر على أساس نبقى على علاقات طيبة فيما بيننا لكانت التطورات في طريق آخر.

كذلك، وهذه مسألة نسبية، وهي ان قدرتنا على موازنة الامور لدى بعضنا حدية، اي يا أبيض أو أسود، ومثال ذلك، اذا أخطأ هيكل، فنحن نأخذ منه موقفا حديا، بينما عبد الناصر قد يغض الطرف، وأضيف ان عبد الناصر يستطيع ان يشد هيكل من أذنه بينما لا نقدر على ذلك، أيضا هيكل يقبل من عبد الناصر شد أذنه بينما يستحيل ان يقبل ذلك منا نحن!!

ولاحظ هيكل خلافات جوهرية على السطح، وتنبأ بأن الصدام سيقع..

وهو راهن على الحل السلمي لانه يؤمن به، وقال يمكن لهؤلاء لو أقدموا على الحل العسكري ان يضروا البلد فهم ليسو عبد الناصر.

فحساباته قامت على عنصرين، إلاول شخصي وهو أين موقعه.. وخصوصا انه يرفض ان يكون وزيرا، وهذه ضد رغبة عبد الناصر، لانه حينما اختاره للوزارة، كان واعيا باختياره، فقد قال له: «انت تفلسف هذه المسائل وانت صحافي خارج عن الدائرة، امسك الوزارة وفلسفها من الداخل وأنت وزير»، ومن هنا امرني عبد الناصر بأن أذيع قرار تعيين محمد حسنين هيكل في الوزارة، على الساعة 12 ظهرا بالاذاعة، وفوجىء هيكل بالقرار، وهذا المثال دليل على ان عبد الناصر هو الذي يحرك هيكل وليس العكس.

* أدقق السؤال، هذان المقالان، هل اعتقدتم، أنتم رجال مايو 1971، ان السادات كان وراء كتابتهما؟

** لا، هيكل بعد عبد الناصر، أصبح يكتب بفكره الشخصي، يمكن بعد 15 مايو 1971، نسق مع السادات.

* لكن المرحوم علي صبري هاجم بشدة هذين المقالين؟

** ليس فقط علي صبري، وانما الجميع، فأيضا ضياء الدين داوود، ولبيب شقير، وعبد المحسن أبو النور.

* لقد ذكر لي الاستاذ محمد فائق انهم هاجموا هذين المقالين، باعتبارهما يمثلان فكر السادات، فكانت شدة انتقادهم موجهة أساسا الى السادات؟

** هم اتفقوا من حيث لم يتفقوا، يعني لم يجلسوا على طاولة للاتفاق، فهيكل كان خائفا، والسادات اكتشفنا فيما بعد ان له اتصالات

خاصة مع الامريكان، وغيرهما...

* متى أحسستم بأن محمد حسنين هيكل تموقع نهائيا مع السادات في مواجهتكم، وما هي المؤشرات التي ترجمت هذا الاحساس؟

** لغاية آخر لحظة كان من الصعب ان نحدد موقعه لغاية الفترة الممتدة من 20 أفريل الى 15 مايو (1971).

* تأكد لكم ذلك؟

** ليس تأكد لنا، وانما تأكد لي شخصيا، ففي يوم 19 أو 20 أبريل، كنت والمرحوم شعراوي جمعة (وزير الداخلية) عند هيكل في مكتبه، وطرح هيكل موضوعا قال فيه: «انت رئيس الوزراء القادم، يا شعراوي»، فوجئت انا بهذا الموضوع، شعراوي سعد بالخبر، اما انا فتضايقت وسكت عن الحديث، وبعدما خرجنا - أنا وشعراوي - قلت: له «ايه الكلام ده يا شعراوي، هو هيكل حيعينك انت رئيس وزراء!» وأضفت «او هو أنت عايز تبقى رئيس وزراء» سكت. وثاني يوم، وكان شعراوي يمر علي كل يوم يشرب معي القهوة في مكتبي، ثم يذهب الى مكتبه، قابلته، وقلت له «لقد فكرت طوال البارحة، واعتقد أن هناك عملية تخدير، لماذا، لان هيكل رشح د. محمود فوزي لرئاسة الوزراء وأصر على تعيينه بعد وفاة الريّس، علما ان المرحوم الدكتور فوزي، فاضي، وهيكل هو الذي صنع منه شيئا من خلال كتاباته، وكان دائما كل ما يسأله عبد الناصر في شيء يقول له: أمرك يا ريّس، الى تشوف، الهامك يا ريّس...

* هل كان هيكل يؤثر في صنع القرار في عهد السادات قبل 15 مايو 1971؟

** طبعا، لان السادات كان يعتقد ان هيكل كان مؤثرا في عهد عبد الناصر، فالسادات لم يكن يعلم شيئا، علما بأن عبد الناصر كان يستخدم محمد حسنين هيكل، وكان يعرف كيف يستخدمه، وهذا الحديث لا ينال من هيكل ولا يحط من شأنه.

* لنقل ان محمد حسنين هيكل كان يخاف من الرجال الاقوياء القريبين من عبد الناصر مثل علي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف، فحاول ان يبرز آخرين شخصياتهم باهتة من نوع محمود فوزي، حتى يتمكن من التأثير في الجميع وبالتالي الامساك بالقرار السياسي، فما رأيك في هذا التحليل؟

** أوافقك، هذا تجريد سليم.

* نأتي الى بداية تسارع احداث مايو 1971، قلنا ان النصف الثاني من أبريل، كشف ان مجموعة عبد الناصر تموقعت في جهة، وهيكل في الجهة المقابلة، فكيف بدأ هذا الاخير يعمل للاطاحة بكم؟

** هو اتبع سياسة تخدير تجاه شعراوي جمعة عندما أوهمه بمسألة رئاسة الوزارة، والحقيقة أنني لغاية هذه اللحظة، ومع تقديري لشعراوي كانسان شريف نقي تتلمذ على يد عبد الناصر، لم استطع ان افسر لماذا انجرف وراء هيكل وتخديره، فأنا مثلا لم أخدع، ولم أكن أعادي محمد حسنين هيكل، فكنا نتزاور، يزورني اولاده وكذلك أولادي، لكن العمل عمل والسياسة سياسة... لانه لو حصل حوار بين شعراوي وبيني، حول هذا الموضوع، لكان من الممكن ان نعالج المشكلة سياسيا فكنا نتنبه الى ما يحدث، لكن نتيجة لهذا التخدير وقع المحظور.

* اذن، تعتقد ان اهم دور لعبه هيكل في 15 مايو هو تخدير شعراوي جمعة؟

** حقيقة، لم يكن على المسرح سوى شعراوي جمعة، فعلاقته بعلي صبري كانت سيئة، وحسين الشافعي والفريق فوزي كان أمرهما محسوما كخصوم لهيكل والسادات، وهو يعلم ان شعراوي وسامي قريبين من بعض، والى حد وفاته رفض شعراوي الحديث في هذه النقطة الغامضة، ولم أكن أقدر أن اجبره على الكلام.

* نحوصل فنقول ان اهم دور له كان في تخدير شعراوي جمعة؟

** وأضيف خلق علاقة مع محمد احمد صادق ليس من خلال الفريق فوزي طبعا.

* مقاطعا، لو تسمح لي هل يمكن ان أعرف لماذا هذا العداء الشديد بين هيكل والفريق اول محمد فوزي؟

** لست أدري، أنا لم اطرح هذا الموضوع الى اليوم مع هيكل، ولكن في ذهني ان احكي معه في هذه المسألة، لا استطيع ان اعطيك اجابة على هذا السؤال.

أعود الى موضوع العلاقة مع محمد احمد صادق، لقد استخدم هيكل احد الصحفيين في جريدة «الاهرام» واسمه عبدو مباشر، وكان مراسلا حربيا ومندوب «الاهرام» في الدوائر العسكرية، وبالتحديد مكتبه في مبنى المخابرات العسكرية، وكانت علاقته بمحمد صادق قوية، حيث يقوم له بدعاية... ولما انتقل الفريق صادق الى رئاسة الاركان انتقل معه عبدو مباشر، ومن خلال هذه العلاقة ربطت الخيوط بين هيكل وصادق ولم نكن نتابعها، وبعدما دخلنا

السجن، عرفنا ان رابطا قويا كان بينهما، لكن ما هو حجمه الي أي مدى، هذا ما لم نكن نعرفه.

* محمد حسنين هيكل قال انه مهندس أحداث مايو 1971، فهل تعتقدون بانه المهندس الحقيقي لهذه الاحداث؟

** لا، واعلم ان احداث مايو 1971، لا اعتبرها صراعا على السلطة، وانما هي صراع بين اتجاهين، اتجاه تقدمي واتجاه رجعي، وحسمت لصالح الاتجاه الرجعي نتيجة لحجم كبير جدا من الاخلاقيات يمتلكه الاتجاه التقدمي، ولو كنا سياسيين محترفين وتخلصنا من أخلاقنا لانقلبت الصورة تماما بنسبة 180 درجة، وان السادات لما قضى عليهم بسهولة، فقضاؤه لم يأت نتيجة ضعف، وانما نحن تنازلنا على السلطة بمحض ارادتنا، لقد كنا تيارين متناقضين، واحد منهما أخلاقي والاخر متآمر.

* اليوم ألا تحسون بالندم، لتفريطكم في مستقبل مصر؟

** اعترف ان اخلاقياتنا كانت اكثر من اللزوم، وأنا تعلمت منذ عشرين سنة ان السياسة لا يجب ان تكون اخلاقيات مائة بالمائة، وأنا أقول هذا الحديث على لساني دون ان يقتنع به قلبي وعقلي، وانا احس بمرارة ليس لفقداني الحكم، فاليوم لو تعطيني هذا الحكم وتثقله ذهبا سأرفض، لان حكم مصر امر صعب جدا وقاس وليس سهلا.

* أنتم مسكتم تسجيلات خطيرة جدا ومصيرية ضد السادات تبين ارتباطه الوثيق مع الأمريكان وبداية انحرافه، فكيف كان رد فعلكم؟

** لم نعمل انقلابا لاننا لسنا انقلابيين، فنحن حتى، ترددنا في المحكمة في اثارة هذا الموضوع، وكان يمكن ان نفعل ذلك ونحن مسجونين، على الاقل

نبدو أبطالا في المحكمة، ولكن اخلاقياتنا مرة اخرى تحكمت فينا، لم نكن نريد ان نبرز رئيس جمهوريتنا خائنا لوطنه امام القوات المسلحة التي ستحارب العدو، ودار بيننا حوار ونحن في السجن واتفقنا على عدم اثارة هذه النقطة، وكان من حقنا ان ندافع عن أنفسنا، تقول لي: أنتم هبل، فيه عبط فيه تخلف، الان أقول لك نعم... الاخلاق تحكمت فينا.

* هل تعتقدون ان تلك الفترة، وطد فيها هيكل حكم السادات؟

** من الممكن الى حد ما، ولكن ربما بناء هيكل لنفسه كان اكثر من بنائه للسادات.

* لنجرد المسألة، فنقول، ان محمد حسنين هيكل ساهم في ضرب رجال عبد الناصر الاقوياء من اجل ان ينفرد بالرجل الضعيف وهو السادات، فحاول ان يكون مع الضعيف وهو القوي، حتى تزداد قوته ويزداد تأثيره عليه، لكن يبدو وأن السادات كان أقوى من ذلك.

** في الواقع، السادات رجل متآمر، فهو لا يريد ان يتعايش مع من عرفه في موقع ضعف، بالدليل انه ضرب من اعتبرهم أبطالا قوميين، مثل عزيز صدقي الذي طرده، ومحمد صادق الذي قال عنه بطلا قوميا اصبح في نظره خائنا وعميلا، كذلك مع محمد عبد السلام الزيات الذي قال عنه انه عميل شيوعي، فالسادات متآمر وممثل يجيد التمثيل منذ صغره، وكان يريد الدخول الى عالم التمثيل المسرحي منذ الثلاثينات.

* هذا سؤال حرج، هل كان لمحمد حسنين هيكل ملفا عند جهاز المخابرات؟

** طبعا كان له ملف عند المخابرات العامة، وليس عند مكتب الرئيس

للمعلومات، وهذا عمل المخابرات، وهي ليس بالضرورة ملفات ادانة، وانما تواكب نشاطه ومقابلاته واتصالاته، فليس كل من له ملف عند أجهزة الامن يكون مدانا.

* أكيد أنك قرأت ما كتبه هيكل، في كتبه الكثيرة، وقد ورد اسمك فيها عشرات المرات، فهل تعتقد بعد اطلاعك عليها، ان هيكل، غض الطرف عن بعض الحقائق، أو تجاهل بعض الحقائق، أو تجاوز بعض الحقائق او غير الحقائق.

** كل الذي ذكرته، ورد فعلا، حيث هناك أشياء غض عنها الطرف، وأخرى تجاوزها، واخرى غير من حقيقتها، طبعا هناك أشياء صحيحة.

وانا اعطي مثالا، اذا طلبت مني ان اكتب عن عبد الناصر فسأكتب منحازا له وليس مدافعا عنه، وهناك فرق كبير بين الدفاع والانحياز، وهيكل عندما يكتب، فهو يكتب منحازا لنفسه، وهذا من حقه، لا ألومه عليه، ولكن لو أنا مثلا، أكتب فسأذكر الحقائق كما هي، وفي حواراتي مؤخرا مع هيكل، تحدثت معه بصراحة كبيرة حول بعض المسائل، واتضح لي ان بعض الاحداث لا يعرف خلفياتها فيجتهد من عنده دون معرفتها.

* هل ترى ان هيكل مؤرخ للحقبة الناصرية ولعبد الناصر؟

** هو بنفسه قال انا لست مؤرخا، حتى انه في كتابه «سنوات الغليان» يقول له مؤرخ انجليزي انت أرخت لمصر، الا ان هيكل ينفي ذلك.

اضافة الى ذلك، ان التاريخ لا يكتب في حياة الاشخاص، وانما بعد 50 سنة مثلا من نهاية الاحداث.

فالتاريخ يكتبه آخرون محايدون، وانما الذين يكتبون الان، هم جامعو

شهادات وحقائق وليسو بمؤرخين.

* أثناء فترة حكم عبد الناصر، هل وجد في جهاز الدولة المصرية من حاول عرقلة ومحاصرة محمد حسنين هيكل؟

** هناك فترة لغاية 1967، وأخرى من 1967 الى 1970 والثالثة ما بعد 1970.

* في الفترة الاولى مثلا؟

** من سنة 1952 الى سنة 1967، برز وجود المؤسسة العسكرية، لاسباب كثيرة أهمها تأمين الثورة، ولذلك عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة، والسبب الاخر ان تجربة 23 يوليو 1952 واجهت مؤامرات لا نهاية لها، من قبل قوى قوية وعنيفة طوال الوقت، فكانت المؤسسة العسكرية هي التي تحمي البلد، لانه في العالم الثالث، يعتبر عمودك الفقري هو القوات المسلحة، واعتبر ان القوى الرجعية كانت غبية في هجومها على الثورة، لان النتيجة تكون في تقوية المؤسسة العسكرية واجهزة الامن بحيث انهم يقولون اليوم ان الحكم كان بوليسيا، ولم يكن كذلك، فقط من حقي كنظام ان أقاوم التدخل في شؤوني الداخلية، وهو حق مشروع... وبالتالي اي اعمال يومية لا تخلو من بعض التجاوزات سواء من المؤسسة العسكرية او من اجهزة الامن... وهي تجاوزات مرفوضة وغير مبررة، وهيكل بتفكيره الليبيرالي وخوفه من العسكر، لم يكن يقبل ويهضم أسلوب العسكر، وطبيعي أن المثقف المدني يخشى عن جهل وليس عن اطلاع طبيعة المجتمع العسكري، فالمجتمع العسكري متكون من اهلي واهلك، والضابط يخرج بعد الظهر ويعيش حياة عادية بلباسه المدني...

* من الذين اصطدم بهم هيكل في أجهزة الدولة؟

** هيكل لم يصطدم بأحد نظرا لعلاقته الخاصة بعبد الناصر، ولما كتب مقال «زوار الفجر»، كان قد استشار عبد الناصر ووافقه.

* يقول البعض ان أغلب أفكار هيكل التي يكتبها في ركن بصراحة بالاهرام مستوحى من نقاشاته ولقاءاته بعبد الناصر؟

** هذا غير صحيح، فعبد الناصر كان يقرأ المقال مثله، مثل أي قارىء.

* ألم يأخذ بعض المعلومات من عبد الناصر؟

** طبعا، هناك اتصال يومي معه.

* لكن باعتبار هيكل قريبا من عبد الناصر، ألم يحاول الرئيس توجيهه، في مقالاته؟

** هيكل يعرف جيدا، توجيه الاحداث وكيف تسير الامور، ولم يكن محتاجا، وربما لا تتجاوز المقالات التي استشار فيها عبد الناصر اصابع اليد ومن ضمنها «زوار الفجر» وعبد الناصر يريد انسانا يكتب ويخطىء حتى...

□ أجري هذا الحديث في أوت 1991 ببيت الأستاذ سامي شرف بمصر الجديدة بالقاهرة

ضياء الدين داوود

مجموعة مايو وهيكل وقعنا في خطأ مشترك

* محمد حسنين هيكل مؤرخ العهد الناصري
* هيكل وظف الصحافة للسياسة والعكس صحيح

- ضياء الدين داوود: وزير الشؤون الاجتماعية من 1967 حتى انقلاب ماي 1971 - عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي - وكيل الحزب العربي الديمقراطي الناصري اليوم.
- أجرى اللقاء في القاهرة بمكتب الاستاذ عبد الله امام بمجلة روز اليوسف المصرية في أوت 1991.

* متى عرفت محمد حسنين هيكل وكيف؟

** معرفتي به الشخصية جاءت مع دخولي الى السلطة ولكن معرفتي به كقارىء، كانت منذ زمن، وانا معجب بكتاباته ولم تكن بيني وبينه خلافات ذات قيمة في تلك الفترة، ولكن كانت له خلافات مع بعض رجال السلطة - وهذا أمر طبيعي - فهو كان يبدي أراء قد لا تعجب بعض رجال السلطة، وهو يعتقد انه يفجر قضايا، ولا يضع حلولا... وذلك ليثور حولها نقاش، وبعض عناصر الشباب كان صدرها يضيق بهذا الكلام بحكم قرب هيكل الشديد من

جمال عبد الناصر ويخشى في الرأي العام بين ان يكون هذا هو رأي عبد الناصر أو تعبير شخصي، لكن هيكل في نهاية الامر كان يرى أنه يفجر قضايا للحوار وكان في بعض الاحيان يفعل ذلك لاحداث صدمات للنفس مثل ان الناس كانت متحمسة جدا للمعركة، فهو يجعلها في صورة اكثر عقلانية حتى تعرف مدى مخاطر المعركة.

هذه الخلافات تركت مواقف لان المجموعة القريبة من جمال عبد الناصر والتي كانت تتولى تسيير الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والمنظمات السياسية، كانت تسبب لها مقالات هيكل بعض المشاكل فكانوا يختلفون معه.

وكانت اجتماعات للاتحاد الاشراكي تهاجم مقالات هيكل ومناقشاته... في نهاية الامر خلق هذا الجو ما يمكن تسميته بالصراع بين هيكل وهذه المجموعة وخاصة المجموعة العسكرية.

ولما حصلت عملية 15 مايو، بدأت هذه الخلافات الشخصية تطفح على السطح، فاذا انتصرت مجموعة مايو وسيطرت على السادات، فذلك كان سيشكل خطرا بالنسبة لهيكل ومن ثمة لما وقعت احداث 15 مايو كان الاقرب الى السادات وكان البعض يقول او هو يقول انه مهندس هذه الاحداث، تقديرا منه ان هذا قد يفتح له بابا اوسع للتأثير على السادات.

وفي رأيي وقعنا في خطإ مشترك، وهو تصور المدى الذي قد يصل اليه السادات، وطبعا هيكل رجل ذكي وبالضرورة يكون لديه ملامح شخصية السادات، لكن لا اعتقد انه - هو أو نحن - تصور أن سيصل أنور السادات الى حد الانقلاب على عبد الناصر ومنجزات الثورة... هذا التصور اغتقد انه

لم يرد في خاطرنا ولا خاطره، الى جانب دور العامل الشخصي... بدليل ان هيكل رغم تأييده للسادات ضدنا واصراره حتى الان على هذا الموقف، لكن التزامه بالخط الناصري ودفاعه عنه بمجموعة الكتابات والكتب التي أصدرها لا شك انها من اكبر العوامل التي دعمت الفكر الناصري.

وعن السادات كنا نعتقد انه سيكون وفيا للطبقة الفقيرة الكادحة، لكن الحقيقة نسينا ان ابناء هذه الطبقات اذا انفصلوا عن طبقاتهم يصبحون اشد ضراوة عليها من الطبقات الرأسمالية، فقد أساء الجميع تقديره، ولكن هو تعامل مع هذه المجموعات على أساس انها أدوات يتعامل مع كل مرحلة ثم ينتهي دورها، مثل محمد صادق، عادل صدقي محمد حسنين هيكل... اضافة الى الميل الشخصي الذي طغى على التفكير العام.

ولكن مهما كان دور هيكل، وقد أضر بي كثيرا، فأنا أنسى هذا، للدور الذي قام به فيما بعد لصالح الناصرية فانا اتجاوز المسائل الذاتية التي ليس لها أية قيمة.

* هل تعتبر محمد حسنين هيكل مؤرخا للناصرية؟

** طبعا، لا أحد يمكنه الاختلاف على ذلك، فكفآة هيكل الصحافية، كفآة نادرة، فهو قارىء جيد ومستوعب جيد وباحث عميق يعمل بعلمية كبيرة جدا في تحضير مقالاته وكتابة آرائه، مثل الذي يحضر دكتوراه او ماجيستار. كذلك له موهبة حفظ الوثائق وبدأ يجهز لذلك مبكرا، وأهم من هذا هو ان شغله الشاغل الصحافة، فحياته هي الصحافة والكتابة، وبالتالي فهذا التركيز، يعطيه كفاءة يتفوق بها على الاخرين من الناحية التوثيقية واللغة والتحرير والحجة والتزامه فيها بتوجهاته الفكرية.

* ألم تكن له طموحات سياسية؟

** لا استطيع ان اجرد أي انسان من طبيعة البشر، ولا يعيب احد ان تكون له طموحات سياسية، انما الذي يعيب هو أن تكون الطموحات السياسية على حساب قيم ومبادىء.

* هل تعتقد انه وظف الصحافة من أجل السياسة؟

** والله في رأيي انه وظف الاثنين لبعض، فهو خدم السياسة بالصحافة، وخدم الصحافة بالسياسة.

* * آخر سؤال، لقد قرأت لهيكل كما قرأنا له، هل تعتقد انه بالغ في عرض علاقته بعبد الناصر؟

** أنا كنت قريبا من جمال عبد الناصر بحكم وضعي في السلطة ولا اعتقد أن هناك مبالاغات، فالبعض اليوم يكتب ويقول كذا وكذا، فجمال عبد الناصر كانت له طريقة في تسجيل افكاره، وكان يرى ان أكفأ من ارتبط به في دقة التعبير عن أفكاره، وقد قال لي ذلك شخصيا، يعني حين كان يقول رأيا أو فكرة ويصوغها هيكل، كان يرى أنه التزم التزاما حادا وأمينا بفكرته.

وكان عبد الناصر يسجل افكاره كتابة ويناقشه فيها ثم فيما بعد يأخذها ويكتبها، ويعيدها له مكتوبة، فيصححها عبد الناصر بخطه وتأخذ صورتها النهائية.

وطبعا كانت له علاقة جيدة بعبد الناصر بحكم ان هيكل قارىء جيد ومتابع جيد لسياسة الدولة وله اتصالاته بقيادات اعلامية في العالم، وهذه قنوات كان يستمد منها جمال عبد الناصر معلومات ويزكي بها ايضا معلومات وأفكار.

محمد فائق

اني متأكد من ان هيكل لم يكن يعلم بانحراف السادات في ماي 1971

* هيكل هو احسن من يفهم عبد الناصر
* الحديث عن عمالة هيكل لامريكا حديث سخيف
* لم يخدم احد الصحافة في مصر مثل هيكل
* لم يكن سعيدا بتعيينه وزيرا للاعلام.

محمد فائق، وزير الاعلام، ووزير الخارجية، في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وفي بداية عهد السادات عمل وزيرا للاعلام حتى أحداث ماي 1971، عندما سجن مع مجموعة الوزراء الناصريين الاخرين بتهمة، محاولة قلب الحكم، والتآمر على أمن الدولة... أجري هذا الحديث عن «محمد حسنين هيكل» في مكتبه بدار «المستقبل العربي» بمصر الجديدة، بالقاهرة، في أوت 1991.

* رصدنا قبل احداث ماي 1971، انقسام الحكم الى ثلاثة خطوط، خط أنور السادات ومعه بعض المقربين منه مثل الفريق محمد احمد صادق، وقائد الحرس الجمهوري، الليثي ناصف، وخط ثاني يمثله رجال عبد الناصر

مثل سامي شرف، شعراوي جمعة، علي صبري، محمد فائق، ضياء الدين داوود، والخط الثالث، يمثله محمد حسنين هيكل الذي لم يكن مرتبطا بمجموعة ماي، ولا ارتبط نهائيا بالسادات... وكان يعتقد ان السادات هو الاضعف، وبالتالي يسهل التأثير عليه... الى اي حد يصح هذا التحليل؟

** ان القول بأن أحداث ماي 1971، هي انقسام بين مجموعات، قول خاطىء، لان هذه المجموعة لم تكن مجموعة واحدة، في حين كان السادات يخطط للابتعاد عن الثورة والانقلاب عليها، وكان يدرك ان هذه المجموعة ستواجهه... وعندما اصطدمت عناصرها به، كانت فرادى، فالبعض معترض على الوحدة مع ليبيا، وكانوا ضد توقيتها... فانقلاب 15 ماي، كان انقلاب قصر، وهو جمع كل معارضيه، وادعى محاولة انقلاب، وذلك غير صحيح، فقط كانت هناك معارضة حقيقية لتوجهه، أولا في الاعتقاد بأن أمريكا في يدها الحل، وثانيا، في تأجيل المعركة، فالسادات، كان يرى بامكانية تحرير الارض عن طريق المفاوضات، وكنا نعلم ان هذا أمر مستحيل، وثالثا، كان يريد حل الاتحاد الاشتراكي، ووضع عناصر موالية له فيه.

هذه مجموعة الخلافات، والاحظ ان مجموعة ماي لم تكن تعمل في انسجام.

والسادات، رجل مناور، وقبل ان يقوم بانقلابه حاول كسب بعض الحلفاء مثل محمد حسنين هيكل، الذي أوهمه بان المجموعة تريد به شرا، وأوهم الجميع أفرادا بأنهم يتآمرون على بعضهم البعض.

والمتأكد منه أن هيكل لم يكن يعلم ان السادات سينحرف كل هذا الانحراف.

* يقول الاستاذ محمد حسنين هيكل أنه «مهندس» أحداث ماي 1971؟

** والله، يمكن على مستوى اخراج الاحداث، لكن اعتقد أنها كانت نية مبيتة من السادات، ولا اعتقد ان هيكل كان يتصور امكانية حدوث ثورة ضد عبد الناصر والناصرية.

* هل يمكن ان نعرف مدى تأثير هيكل على القرار السياسي في عهد عبد الناصر، خاصة في الفترة التي مسكتم فيها وزارة الاعلام؟

**في رأيي ان هيكل، هو أحسن من يفهم عبد الناصر، وما يريده وكيف يصيغ أفكاره، اما القرار السياسي عند عبد الناصر فكان يعتمد على مؤسسات، وعلى أجهزة متعددة، وحقيقة كانت توجد علاقة صداقة شخصية بينه وبين الرئيس، كذلك يعتبر هيكل مصدرا هاما للرئيس، لقوة مركزه في مؤسسة «الاهرام» الضخمة.

لكن يبقى قراره يعتمد على المؤسسات مثل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، ووزارة الخارجية...

* أثناء فترة الرئيس عبد الناصر، يلاحظ البعض، ان النظام كان يتواجد فيه شق اشتراكي يساري يمثله سامي شرف وشعراوي جمعة وعلي صبري، وشق ليبيرالي يمثله خاصة محمد حسنين هيكل...

** المسألة لم تكن بهذا الشكل، وانا اعتقد ان اكثر الناس التزاما بالاشتراكية في النظام، هو الرئيس جمال عبد الناصر، فهو اكثر الاطراف جميعا يسارية، لكن هذا لا يمنع وجود افكار اخرى، سمح بها عبد الناصر، واود ان الاحظ ان الجميع بمختلف آرائهم كانوا وطنيين مخلصين لبلدهم، فلا

مجال للقول ان زكريا محي الدين مثلا رجل أمريكا او ان علي صبري، رجل السوفيات، او ان هيكل رجل امريكا... جميعهم كانوا وطنيين، فقط ان عبد الناصر كان يعطي بعض الادوار لبعض الافراد، مثل ربطهم علاقات مع الخارج.

وكان القرار يتخذ بعد الاطلاع على كل الاراء، والدراسات العلمية، فمثلا، اثناء تحولنا الاشتراكي، كان القيسوني على رأس المجموعة الاقتصادية.

* ما رأيك في اتهام «خروشوف» محمد حسنين هيكل بالعمالة لامريكا؟

** في الحقيقة الحديث عن عمالة هيكل لامريكا، حديث سخيف، وثبت من التاريخ، ومن مواقف هيكل أنه، لم يكن الا مصريا، مرتبطا بعبد الناصر والناصرية... هذا حديث أوهام...

* بعد خلاف السادات مع هيكل، شنت الصحافة المصرية على الاخير حملة اتهمته فيها بالهيمنة على الصحافة، والانفراد بها، وممارسته لدكتاتورية خاصة، باعتبارك كنت. وزيرا للاعلام، الى اي حد تقبل أو ترفض مثل هذا الحديث؟

** انطلاقا من موقعي كوزير اعلام، يمكن ان أقول، أنه لم يخدم أحد الصحافة والصحافيين في مصر، كما خدم وفعل محمد حسنين هيكل.

ففكرة أنه «الصحفي الاوحد»، فكرة غير صحيحة، لكنه كان اميز الصحافيين، وبعمله وباجتهاده وصل الى المركز الاول.

ويمكن ان الفرص التي أخذها، أيضا آخرون لم يثبتوا كفاءتهم، أو لم يصلوا الى درجة هيكل.

وبالعكس، اعتقد أنه كان دائم الدفاع عن الصحافيين، وفي حالات كثيرة، دافع عنهم، وساعدهم على الاستمرار في الكتابة والبروز.

أما تميزه هو، فيعود الى اجتهاده وكفاءته العالية جدا، وكسبه لثقة عبد الناصر، فأصبح قريبا من موقع القرار.

وأضيف، أن هيكل اليوم بعيد عن السلطة، بل بالعكس كان خصما لها في عهد السادات، ورغم ذلك حافظ على موقعه كأبرز صحافي في مصر حتى اليوم.

* ألم تكن له طموحات سياسية؟

** الذي أعرفه ان هيكل، كان قاطعا في هذا الموضوع، فهو لا يريد الموقع التنفيذي، ويعتقد ان تأثيره كصحفي أكبر من تأثيره كسياسي في موقع، وأنا أول من أبلغه بتعيينه وزيرا للاعلام، بل بالعكس لم يكن سعيدا... ومن البداية لم يرغب في المواقع السياسية.

وصحيح انه عمل، أيام عبد الناصر من اجل ان يكون قريبا منه، ولكن لا اعتقد ان ذلك كان من اجل السلطة.

* هل تعتبره مؤرخا للناصرية؟

** بكل تأكيد، هو أحسن من يكتب عن فكر عبد الناصر، لانه كان قريبا من هذا الفكر ومخلصا له، ومن ثمة فهو أحسن من يمكن ان يؤرخ للفترة الناصرية.

مجدي حسنين

عبد الناصر كان يحبه ويأخذ منه المعلومات ويعطيها له

* لم يحاول هيكل أن يقترب من محمد نجيب
* لقد كان ذكيا وركز على عبد الناصر
* هيكل لم يكن يتدخل في الاجهزة والادارة

مجدي حسنين: أمين صندوق الضباط الاحرار، ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب عبد الناصر - أجري الحوار بمكتبه في القاهرة بمنطقة الدقي في اوت 1991.

* لو نحدد مدى علاقة محمد حسنين هيكل بالضباط الاحرار ودوره في الثورة؟

** كان هيكل مراهنا على عبد الناصر كقائد ثورة ذكي، وعبد الناصر كان يحبه، ويأخذ منه المعلومات ويعطيها ايضا له.

* عندما كنت مديرا لمكتب الرئيس محمد نجيب، ألم يحاول هيكل ان يقترب من محمد نجيب؟

** كلا لم يحدث ذلك.

* ألم تكن له علاقة مع بقية الضباط الاحرار؟

** كلا، لقد كان ذكيا جدا وركز على عبد الناصر.

* ما رأيك في كتاباته؟

** هي كتب ممتازة علمية، وأحسن من كتب علي عبد الناصر، لقد تفرغ لكتابتها فخرجت كتبا محترمة عالميا ومصريا.

* يعتبر هيكل أن عبد الناصر كان صديقه الشخصي، فهل تعتقد ان هيكل بالغ في حجم علاقته مع عبد الناصر في بداية الثورة؟

** عبد الناصر رجل ذكي وداهية، لقد وجد هيكل شابا صغيرا، وضمه الى الثورة.

* هل قام بدور سياسي في بداية الثورة، بخلاف العمل الصحفي؟

** لقد كانت علاقته لصالح الثورة.

* هل كان يحاول أن يأخذ معلومات من الضباط الاحرار؟

** كلا، فقط مع عبد الناصر.

* هيكل، الم يصطدم مع بعض الضباط الاحرار خاصة، وانه اقترب كثيرا من عبد الناصر وربما على حسابهم؟

** كلا، لقد كان ذكيا، فاقتصر في علاقته على عبد الناصر ولم يرد ان يحشر نفسه في صراعات.

* هل كانت له علاقة مع أركان النظام الملكي القديم؟

** ...

* هل تعتقد ان هيكل مؤرخ للناصرية؟

** نعم، هو مؤرخ للناصرية، وبذل مجهودا كبيرا من أجل ذلك.

* عندما مسكت موقع مدير مكتب عبد الناصر، ألم تلاحظ اي طموحات سياسية له؟

** لم يكن يتدخل في الاجهزة وفي الادارة، فقط كانت علاقته مع عبد الناصر.

الفريق أول محمد فوزي

أرفض الحديث عن هيكل

الفريق أول محمد فوزي، القائد العام للقوات المسلحة المصرية من جوان 1967 حتى احداث ماي 1971، عندما طلبنا منه الحديث عن محمد حسنين هيكل قال:

«لقد أساء لي محمد حسنين هيكل كثيرا، وشوهني في أكثر من مناسبة، وأضر بي، لكنني لاحظت ان كتاباته عن عبد الناصر والناصرية كانت ايجابية، وقام بدعاية كبيرة لهما... لذلك سوف لن أرد عليه، ولن أتحدث في هذا الموضوع... فأرجو اعفائي».

أحد الضباط الاحرار

أوقف التسجيل

أحد الضباط الاحرار الذي لا يمكن ذكر اسمه، لما طلبنا منه الحديث عن هيكل قال بانفعال:

«أوقف التسجيل، ده هيكل هو اللي خرب مصر وعبد الناصر والناصرية معاهم...».

ببليوغرافيا: المصادر والمراجع

1 - كتب: حسب الحروف الابجدية

1 - امام، عبد الله، انقلاب 15 مايو: القصة الكاملة، دار الموقف العربي، القاهرة 1983.

2 - باقر،طه ود. حميد، عبد العزيز، طرق البحث العلمي والتأريخ والآثار، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بغداد 1980.

3 - بوند، ف. فريزر، ترجمة راجي صهيون، مراجعة ابراهيم داغر، مدخل الى الصحافة، مؤسسة أ. بدران وشركاه، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت 1964.

4 - بغدادي، عبد اللطيف، مذكرات، المكتب المصري الحديث، القاهرة 1977.

5 - دوفرجيه، موريس (Maurice Duverger)، مدخل الى علم السياسة، ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور جمال الاتاسي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق بدون تاريخ طبع.

6 - هيكل، محمد حسنين:

* بين الصحافة والسياسة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1984.

7 - وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1982.

8- السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة: رسائل الى صديق هناك، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1982.

9 - خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر السادات، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة السادسة 1983.
10 - لمصر لا لعبد الناصر، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى في مصر 1987.
11 - قصة السويس: آخر المعارك في عصر العمالقة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1982.
12 - سنوات الغليان: حرب الثلاثين سنة، الجزء الاول، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى 1988.
13 - الزلزال السوفياتي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو 1990.
14 - آفاق الثمانينات، شركة المطبوعات للتزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1982.
15- د. زكريا، فؤاد، كم عمر الغضب؟ هيكل وازمة العقل العربي، دار القاهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية 1984.
16 - حمروش، احمد، قصة ثورة 23 يوليو، شهود ثورة يوليو، الجزء الرابع، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية 1984.
17 - كروم، حسنين، عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين، دار المأمون للطباعة، القاهرة، الطبعة الاولى أكتوبر 1975.
18 - عبد الناصر، جمال، الميثاق، دار المسيرة، بيروت بدون تاريخ طبع.
19 - صبحي، سمير، صحيفة تحت الطبع، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة 1980.
20 - الصيداوي، رياض، حوارات ناصرية، نقوش عربية، تونس 1992.
21 - رسل، برتراند، حكمة الغرب، الجزء الثاني، ترجمة فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، ديسمبر 1983.
22- ذويب، عبد المجيد، وآخرون، تحرير الشعوب المستعمرة، الجزء الاول، كتاب التاريخ المدرسي، المركز القومي البيداغوجي، تونس بدون تاريخ طبع.

2 - دوريات:

23 - الهوش، د. أبو بكر محمد، «المعلومات، مفهومها ومصادرها»، مجلة «الوحدة»، السنة الخامسة عدد 54، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، مارس 1989.
24 - نفس المؤلف، «نحو مجتمع المعلومات في الوطن العربي»، مجلة «الوحدة»، السنة السابعة، عدد 76، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، جانفي 1991.
25 - هيكل، محمد حسنين، (مقابلة تمت معه)، «المستقبل العربي»، السنة الرابعة، عدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جويلية 1981.
26 - نفس المؤلف، من مشاركته في ندوة حول «سنوات الغليان»، «المستقبل العربي»، السنة الثانية عشر، عدد 128، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر 1989.
27 - صايغ، يزيد، «كلمات شهيرة قرأتها القلة، مجلة «الفكر الاستراتيجي العربي»، السنة الاولى العدد الثالث، معهد الانماء العربي، بيروت، جانفي 1982.

3 - صحف ومجلات:

28 - الجمال، أحمد، «الناصرية محاولة للفهم» مجلة «الشراع» اللبنانية، عدد 1987/1/19.

29 - هيكل، محمد حسنين، «الى متى الضباب؟»، الاهرام، عدد 1970/1/16.
30 - نفس المؤلف، «السياسة الامريكية والارادة الاسرائيلية»، الاهرام، عدد 1970/2/20.
31 - ن.م، «المسدس وفي يد من هو؟»، الاهرام، 1970/3/6.
32 - ن.م، «أزمة الشرق الأوسط»، الاهرام، عدد 1970/3/20.
33 - ن.م، «ما هو الخلاف والاختلاف؟»، الاهرام، عدد 1970/8/14.
34 - ن.م، «عن الاقتناع بامكانية تحقيق هدف»، الاهرام، عدد 1971/2/26.
35 - ن.م، «التضاريس في الطبيعة والسياسة»، الأهرام، عدد 1971/3/5.
36 - ن.م، «ماذا أقول؟»، الاهرام، عدد 1971/5/21.
37 - ن.م، «السؤال الأول والأكبر»، الاهرام عدد 1971/5/28.
38 - ن.م، «مرة اخرى ... العلاقات العربية - السوفياتية»، الاهرام، عدد 1971/8/27.
39 - ن.م، «الخطوة الضرورية»، الاهرام عدد 1971/11/26.
40 - ن.م، «وقفة موضوعية مع صديق»، الاهرام عدد 1972/8/18.
41 - ن.م، «علامات على طريق» الاهرام عدد 1972/12/11.
42 - مقال «هيكل في نقابة الصحافيين»، مجلة «الشراع» اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 242، 3 نوفمبر 1986.
43 - مقابلة مع هيكل، أجراها صلاح منتصر، مجلة «أكتوبر» المصرية، السنة الثانية عشر، عدد 606، 5 جوان 1988.
44 - مقابلة مع هيكل، أجراها صلاح منتصر، مجلة «أكتوبر» المصرية، السنة الثانية عشر، عدد 608، 19 جوان 1988.
45 - حمروش، احمد، «زيارة جديدة لهيكل»، «روز اليوسف» المصرية، عدد 1986/11/24.

46 - ن.م، «زيارة جديدة لهيكل»، «روز اليوسف» المصرية، عدد 1 ديسمبر 1986.
47 - ن.م، «زيارة جديدة لهيكل»، «روز أليوسف» المصرية، عدد 1986/12/8.
48 - ن.م، «زيارة جديدة لهيكل» «روز اليوسف» المصرية، عدد 1986/12/15.
49 - ن.م، «زيارة جديدة لهيكل»، «روز اليوسف» المصرية، عدد 1986/12/22.
50 - مقابلة مع احمد حمروش، مجلة «صباح الخير» المصرية، أجرى الحوار أرشاد كامل، تعذر علينا الحصول على التاريخ.
51 - منتصر، صلاح، «الأستاذ هيكل، شاهد أم شريك» الاهرام، عدد 1983/5/1.
52 - شري، محمد باقر، «عبد الناصر مات أو أميت»، مجلة «الشراع» اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 5 جانفي 1987.
53 - شري، محمد باقر، «عبد الناصر مات أو أميت!»، مجلة «الشراع» اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 252، 12 جانفي 1987.
54 - الخولي، لطفي، «مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري»، «مجلة الوطن العربي» الباريسية، السنة الخامسة، عدد 244 ، من 16 الى 22 أكتوبر 1981.
55 - الخولي، لطفي، «مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري»، مجلة «الوطن العربي» السنة الخامسة، عدد 245. من 22 الى 29 أكتوبر 1981.

4 - مقابلات خاصة:

56 - أحد الضباط الأحرار، رفض ذكر اسمه بشدة، وهاجم هيكل دون أن يسمح بالنشر، تمت المقابلة في أوت 1991 بالقاهرة.
57 - داوود، ضياء الدين، وزير الشؤون الاجتماعية، ووزير الدولة لمجلس الأمة، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وهو اليوم أمين

الحزب العربي الديمقراطي الناصري، تمت المقابلة في أوت 1991 بالقاهرة.
58 - هيكل، محمد حسنين، تمت المقابلة بمكتبه في أوت 1991 بالقاهرة.
59 - حسنين، مجدي، أمين صندوق الضباط الأحرار، ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب جمال عبد الناصر، تمت المقابلة في أوت 1991 بالقاهرة.
60 - فائق، محمد، وزير الخارجية ووزير الاعلام، في عهد عبد الناصر وبداية عهد أنور السادات، تمت المقابلة في أوت 1991 بالقاهرة.
61 - فوزي، الفريق أول محمد، القائد العام للقوات المسلحة المصرية من جوان 1967 الى ماي 1971، تمت المقابلة في أوت 1991، بالاسكندرية.
62 - شرف، سامي، مدير مكتب جمال عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة، في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات،تمت المقابلة في أوت 1991 بالقاهرة.

الفهـــــــرس